الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري -قسنطينة- كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها الرقم: .....

رقم التسجيل:.....

المشرق العربي في عيون الرحّالة الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر
- جيرار دو نرفال أنموذجا -

مذكرة مكمّلة لنيل درجة الماجستير في أدب الرحلات

إعداد الطالبة:

شهرزاد بهناس

إشراف الأستاذ:

الدكتور.عبد الله حمادي

لجنة المناقشة:

أ.د.	جامعة.....	رئيسا
أ.د.عبد الله حمادي	جامعة منتوري -قسنطينة-	مشرفا ومقررا
د.		عضوا مناقشا
د.		عضوا مناقشا

السنة الجامعية (1432هـ / 1433هـ) - (2011م /

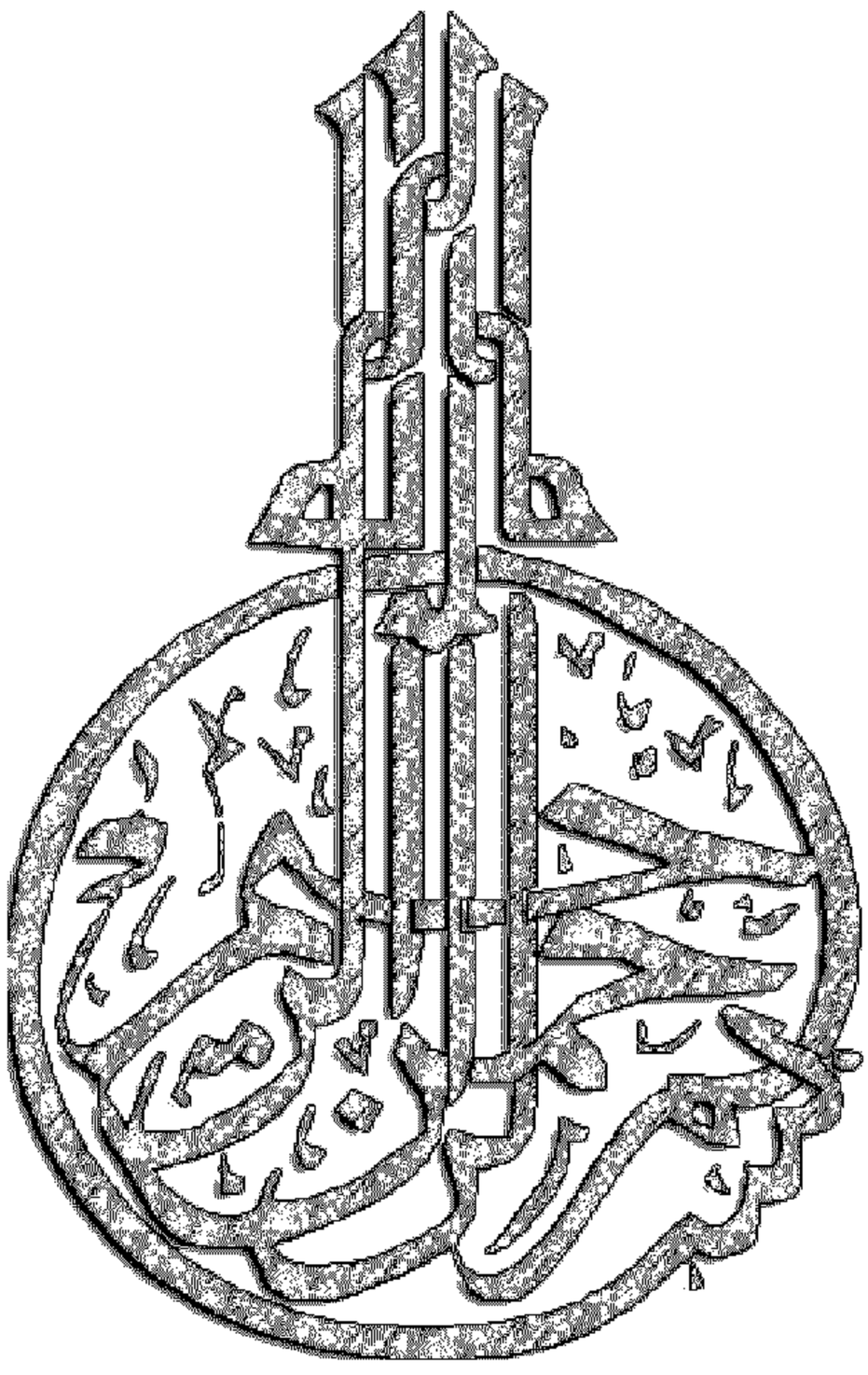

إهداء

إلى من ربياني على الخير والعلم

والديَّ العزيزين.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

وكان وراء إنجاز هذا البحث.

إلى كل من آمن بشيء اسمه الاختلاف والمساواة.

شكر وتقدير

أبدأ بالثناء العطر على أستاذي، الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي، الذي تفضّل وتكرّم بقبول الإشراف على هذا البحث، فكان لنصائحه وتوجيهاته العلمية القيّمة الفضل في تقويمه ولجميل صبره ورحابة صدره الدافع القوي لي لإنجاز هذا العمل بكل ثقة وتخطّي الكثير من العقبات.. فله منّي كل الاحترام والتقدير. كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان لمعهدي العتيد، معهد الآداب واللغة العربية بجامعة (منتوري -قسنطينة-) لما له من فضل في خروج هذا البحث على صورته النهائية.

والله أسأله صواب القصد وسواء السبيل

فهو سبحانه وليُّ التوفيق.....

المقدمة

الانطلاق نحو بلدان بعيدة.. من منَّا لم يرغب في هذا؟ إنَّ الرحلة قطعٌ للرتابة اليومية وتوسيع للأفق واستنشاق لرائحة المغامرة والمخاطرة واكتشاف للعالم؛ لطبيعة أخرى وشعوب مختلفة، الرحلة كلمة سرية مليئة بالوعود والأحلام.. اختيارنا لموضوعنا (صورة المشرق العربي في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر –جيرار دو نرفال أنموذجا–) لم يأت جزافا أو صدفة فله أسبابه التي يمكن إجمالها في الآتي:

معالجة موضوع يتجاوز بحكم طبيعته البيادر الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية الفرنسية إلى شعوب منطقة عرفت في أعر ض مراحلها انتشارا للعواطف ذاتها والتحاما عضويا للمشاعر فيما بينها وواجهت لفترة طويلة جدا تاريخا واحدا وتواجه الآن تحديات واحدة في سياق تاريخ منسجم.[1]

كان أغلب الرحَّالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر إلى المشرق العربي من الأدباء، ويحضرنا هنا ما قاله (جوته) من أنَّ كل أدب يعكس حاجته مرحليا للالتفات إلى الخارج.[2] ووقع اختيارنا لرحلات توزَّعت على فترات متفرقة من النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي شهدت نشاطا كبيرا للرحَّالة الفرنسيين؛ قام (شاتوبريان) برحلته بداية القرن (1806) ثم (لامارتين) سنة (1832) وتلتهما رحلة (دو نوفال) بعد ذلك بعشر سنوات (1842) ثم (فلوبير) منتصف القرن (1849)، فما سرُّ هذه الجاذبية يا ترى؟ هل كان مقدمهم أمرا عرضيا؟ هل كانوا طلاب سياحة وثقافة ودرس فقط؟ هل رحلوا بحثاً عن رؤى أو لمجرد الرؤية؟

لم يكن اختيارنا للفترة الكولونيالية مجانيا في ظل ازدهار الدراسات السوسيولوجية حول (صورة المستعمِر) و (صورة المستعمَر). إنَّ فكرة الموضوع تدور حول هاجس حضاري في صميم الحدث الثقافي الراهن الذي تسيطر فيه أفكار الصراع على حساب إمكانيات العيش في الفضاء العالمي المشترك، والقراءة الموضوعية لأنفسنا في مرآة الآخر تعتبر نضجا وتخطي لحدود الانطواء والحساسية المرهفة خاصة ونحن نعيش عصر عولمة والعالم الغربي يعمل اليوم على إحياء صور نمطية في الأذهان. وقد أخذ الشرق عند الكتَّاب الرحَّالة (écrivain voyageur) الفرنسيين في القرن التاسع عشر أشكالاً مختلفة منها: الرؤيا الزائفة والرؤيا الصحيحة التي تكاد تكون تسجيلية وهرب النفس القلقة المضطربة نحو آفاق جديدة ومن ثمة انقسموا إلى ثلاث فئات:

الذين تحدَّثوا عنه دون أن يروه ، ولعل الرحلة الخيالية لا تقل أهمية عن الرحلة الفعلية [3]، والكلمة "سراب ذهني"[4] يقول أحد المفكرين المعاصرين.

1- وسيم خالد: ملامح الشخصية المصرية. مجلة الكاتب. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.السنة الرابعة،ع 25.يوليو 1965م. ص:144.

2- د.سعيد علوّش: مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي - في سيميائية الاستشراق. ط01، الشركة العالميّة للكتاب سوشبريس، بيروت - لبنان: دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء دار الكتاب العالمي
ب.ل،1407هـ/1987م. ص:456.

3- د.حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. ع138. ص:43(بتصرف).

4- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11. ع 03. ص:200 [828].

الذين تحدثوا عنه دون أن يروه وإنَّما قرأوا عنه، ومنها الكيفية التي استطاع بها (فكتور هيغو) اقتباس ديوانه الشعري المشرقيات (Les orientales) الصادر بباريس سنة 1829 من مادة الرحلة التي كانت متوفرة بكثرة مقدِّما صورة وهمية استعارية عن الشرق بإحالات جغرافية.

الذين تحدثوا عنه انطلاقا من تجربتهم الخاصة. انقسمت بذلك أعمالهم إلى: أعمال خيالية بحته – أعمال يستند فيها الخيال إلى الواقع – أعمال كانت ثمرة لملاحظة الواقع مباشرة، وقد نال الكثير منها هي وأصحابها بدأً بـــ (شاتوبريان) وصولا إلى (باراس) صاحب:

Jardin sur la route (1922), une enquête aux pays du Levant (1923).

نجاحا كبيراً، وطوال تلك الفترة اشتهرت أسماء يعرفها القارئ العربي حق المعرفة مثل أناتول فرانس وأوجين فرومونتان وبيير لوتي كاتب:

Les désenchantées (1806), Aziyadé (1879), Fantôme d'orient (1892).

(أندريه جيد):

L'immoraliste (1809), voyage d'hier (1893), El Hadj (1899).

(تيوفيل غوتييه):

Le roman de la Momie (1858), L'orient (1877).

اختزالنا لخطاب الفرنسي في القرن التاسع عشر بـــ شاتوبريان ولامارتين وجيرار دو نرفال وغوستاف فلوبير يعود في المقام الأول إلى اعتبارات جغرافية أملتها خريطة الدراسة وإلى اعتبارات فنية في المقام الثاني بتناول أدباء مشهورين ومقروءين لهم فلسفتهم المؤثرة في التاريخ البشري دوَّنوا رحلاتهم في كتب احتفظت دون الكثير من غيرها بشبابها وقيمتها الأدبية والفنية:

رحلة شاتوبريان:

تبع الحجاج إلى الأراضي المقدَّسة ومعظمهم من رجال الدين خطى (شاتوبريان) وكان الأدباء منهم يحملون معهم دربهم[1]

[François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte,la Barbarie et l'Espagne, (1806 - 1807)].

[خط سير من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس، الذهاب عن طريق اليونان والعودة عن طريق مصر وتونس وإسبانيا، **(1806 - 1807)**].

رحلة لامارتين:

يبقى أنَّ (لامارتين) أوَّل من أدخل عبارة (رحلة إلى الشرق) في الأدب الفرنسي، و كانت له و(جيرار دو نرفال) بعد ذلك الجرأة لزيارة الشرق الأدنى والأوسط.

رحلة جيرار دو نرفال:

اهتم (جيرار دو نرفال) بمصر اهتماماً خاصا وعالج موضوعها معالجة فنية رائعة ميَّزتها عن غيرها، وهذا دون المساس بالقيمة الأدبية لتلك الكتابات.

1- Berchet Jean - Claude: Le voyage en Orient - anthologie des voyageurs français dans le Levant au dix- neuvième Siècle. Lafont,1985, p:85.

رحلة غوستاف فلوبير:

الجديد في رحلة (فلوبير) إلى الشرق الأوسط هي آلة التصوير التي كان يحملها صديقه (مكسيم دو كمب) معه.

برقسم البحث إلى: مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة.

تكلمّنا في المقدمة عن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع والخطة المتبعّة ومنهج الدراسة. مهّدنا في المدخل لواقع الرحلة الغربية إلى الشرق وصورة الشرق في الخطاب النثري الفرنسي قبل القرن التاسع عشر وقضاياه ومقاصده وشخصياته تضمّنت تباعاً بدايات التكوين - القرون الوسطى والحروب الدينية - بدايات النهضة وتشكّل صورة الآخر - الكلاسيكية وعصر الأنوار (بين التغرّب والتنوير)، ومثل هذه الدراسة التاريخية من شأنها أن تبيِّن حدود الالتقاء والصراع في علاقة أوروبا والشرق قبل القرون الوسطى وبعدها إلى القرن التاسع عشر وأن تلقي الضوء على أحداث بنيت على خلفيتها أعمال إبداعية لأدباء شاركوا في قضايا عصره م، لكننا لم نناقش المقولات الغربية المتباينة أحيانا و المتشابهة أحيانا أخرى عن الشرق والشرقيين فذلك ليس غاية البحث وقبل كل ذلك مهّدنا لبسطنا التاريخي بتأصيل معرفي لمفهوم الشرق في الحقبة الوسيطة من وجهة نظر الغرب الأوروبي في وقت لم يكن قد تبلور فيه بعد هذا التمييز الدقيق بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى والشرق الأوسط. ضمَّ الفصل الأول ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: شاتوبريان

المبحث الثاني: لامـــارتين

المبحث الثالث: فلوبير

عرضنا في كل مبحث لسيرة الأديب الذاتية ورحلته في مستوييها العام والفني على النحو التالي:

1. المستوى العام:

تاريخ النشر.

محتوى الرحلة.

رفقة الرحَّالة وعتاده.

مسار الرحلة.

الخلفية التاريخية والثقافية التي ساعدت على إنجاب الرحلة.

أهم محطات الرحلة.

أهم ما تميزَّت به الرحلة.

الغاية من الرحلة.

أهم ما نستنتجه من قراءة الرحلة.

2. المستوى الفني:

أسلوب الرحلة:

تنوَّعت كتابات الرحَّالة بين الأسلوب السردي والأسلوب الشعري ولكلٍّ منهما وسائله.

الواقعي والمتخيل في الرحلة.

البحث عن نقاط تماس بين الرحلة والقصة أو الرحلة والرواية وغيرهما؛ فأدب الرحلة يجمع بين مختلف الأجناس الأدبية.

الهدف من الرحلة، تغذية الروح الخيالية أم الروح العقلية؟

مسار الزمان والمكان، زمن خطي كرونولوجي- زمن دائري- تداخل في الزمان والمكان...

شعرية المكان ، تكلَّم (لفيس شتراوس) عن شعرية المكان وكذلك فعل (باشلار) في كتابه (شعرية المكان)، ومعناها ما يضيفه الرحَّالة عن طريق الوصف وما تضفيه أحاسيسه على المكان المجرَّد من شعرية.

حاولنا في الفصل الثاني الذي أفردناه لرحلة (جيرار دو نرفال) الولوج إلى عالم الخاص ونقصد عالم (الأساطير المصرية) الغامض. وخرج الفصل الثالث من الإطار النظري إلى التطبيقي حيث قمنا بالموازنة بين نصين أو أكثر على مستوى: الفكرة – الصورة – الهدف وفضَّلنا القيام بذلك على الطريقة الأفقية أي كل عنصر أو جزئية على حدة ضمن **صور توبوغرافية** (بما تحويه من أحياء ومعالم دينية ومناظر طبيعة) و**صور بشرية** (عن الشرقي والمرأة الشرقية) يلتزم فيها الباحث بموقف ثابت حتى يصل إلى اكتشافات ذات دلائل. قدَّمنا في الخاتمة ملخصا بأهم ما توصَّلت إليه الدراسة من نتائج يمكن أن تجيب عن بعض التساؤلات تتعلق بتوجهاتهم الإيديولوجية ومدى صدقهم في نقل صورة بلاد المشرق خلال القرن التاسع عشر وعمق كتاباتهم وأهدافها وفائدتها وإضافتها للمجتمع العربي. وقد خضع ترتيب المصادر والمراجع للتسلسل الألفبائي لأصحابها، وهي دراسات أغنت قراءتنا المتأنّية لرحلات الأدباء في نصوصها الأصلية: درب (فرانسوا- أوغست.رينيه دو شاتوبريان): **[خط سير من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس، الذهاب عن طريق اليونان والعودة عن طريق مصر وتونس وإسبانيا، (1806 - 1807)]**

[François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte,la Barbarie et l'Espagne, (1806 - 1807)]

تدوينات (ألفونس دو لامارتين): **[ذكريات انطباعات أفكا ر ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق (1832 – 1833) أو ملاحظات رحَّالة للسيِّد.لامارتين]**

[Lamartine.Alphonse de. Souvenirs,impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833) ou note d'un voyageur par M. de Lamartine]

جيرار دو نرفال في: (**رحلة إلى الشرق**) **[1842 - 1843]**

[Gérard de Nerval. Voyage en orient (1842 - 1843)]

غوستاف فلوبير في: (**رحلة إلى الشرق**) **[1849 - 1851]**

[Gustave Flaubert. voyage en orient (1849 - 1851)]

غوستاف فلوبير: (**المراسلات**)

Gustave Flaubert. Correspondences. (02 vols). Gallimard. Paris, 1973

تميَّز كتاب: (الإستشراق/ المعرفة. السلطة. الإنشاء) لـــ (إدوارد سعيد) بطرحه أفكاراً جديدة سمح بإعادة قراءة السرديات الغربية بطريقة أكثر جدية وأكثر وعي، هذا وقد أفدنا بشكل أو آخر من كتب عربية وأجنبية كثيرة لم تتكلم بالضرورة عن رحلة الأدباء الفرنسيين إلى المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر بل لا تتعرض أحياناً إلى أدب الرحلة مباشرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أبو الرضا، سعد. معالجة النص في كنب الموازنات التراثية، منهج وتطبيق. الإسكندرية: منشأة المعارف.دت.

الحاوي، حسيب. الأدب الفرنسي قي عصره الذهبي. حلب: دار الشرق العربي، 1414هـ/1994م.

داود، أنيس. الأسطورة في الشعر العربي الحديث.

سعد الله، أبو القاسم. تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر، 1983.

صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.دت.

علي، عبد الرضا. الأسطورة في شعر السياب. ط04. بيروت: دار الرائد العربي، 1984.

Guédy Pierre. L'Egyptienne. Albert Méricant. Paris,1903.

Guerbin. H. Le baiser de la déesse. L'Albert Mérhcant. Paris,1905.

Bevuin Albert. L'âme romantique et le rêve. Corti. Paris,1937, réédition,1939.

Dufrenoy Marie Jouisse. L'Orient Romanesque hn France (1704 - 1789) Beatchemin. Montréal,1946.

Carrouge Michel. Les pouvoirs de la femme selon Nerval et Breton. Cahiers du sud. N°292 ,1948.

Cast Expierre George. Le conte fantastique en France de Nodier a Maupassant. Corti. Paris, 1951.

Moreau Pierre. Romantisme français et syncrétisme religieux. Symosium, Summer,1955.

Moreau Pierre. Le romantisme. Deluca. Paris,1957.

Butoe Michel. Le génie du lieu. Grassert. Paris,1958.

Curtvis.E.R. La littérature européenne et le moyen age. P.V.E. Paris,1958..

Schab Raymond. La renaissance orientale. Payot. Paris,1961.

Starobinsk Yjean. L'œil vivant. Gallimard. Paris,1961.

Taha Hussein Moenis. Le romantisme français et l'islam. Dar El Maaref. Liban,1962.

P.M. Wetheril. Flaubert et la création littéraire. Niset. Paris,1964.

Claude Pichois et Rousseau Andre. La littérature comparée. Ed.A : colin,1967.

Abd el jalil. L'image du Maroc dans la littérature française. SNED. Alger,1973.

Jean Bruneau. Le conte oriental de Flaubert. Penocl. Paris,1973.

Bourgeois René. L'oironie romantique. F.U.G,1974.

Jean Raymon. Poétique du desir. Seuil. Paris,1974.

Jean Raymon. Lecture du desir. Seuil. Paris,1977.

cf. Albalat. Gustave Flaubert et ses amis. Plon. Paris,1977.

Anatole France, portrait de Flaubert, la vie littéraire1981.

Jean Richer, orphisme et sabéisme dans le voyage en orient de Nerval. Le faste.

Guy Michaud et P.H, Vantie chem. Le romantisle. Classiques hachetta.

Barpe jean - marie. Voyageurs et écrivainc français en Egypte. Institut français d'archéologie orientale. Le Câire,1932; [02 volumes].

Discret des palais de Syrie. ©Quantara. N°31. Institut du monde arabe, mai 1999.

Michel Décaudin. Deux aspects du mythe au xx (vingtième) siècle. C.A.I.E.F. N°.22. Paris.

Pierre Florres. Leconte Delisle l'homme et l'œuvre. Hatire Boivin

Henri et Anne Stierlin. L'Egypte des Milles et une Nuit.

Gérard de Nerval l'histoire du calife Hakam.Édition. L'Esprit frappeur. Web de sign:Afrik.net

Harry Levin. The Gates of horn - A study of live French realists. New York - Oxford, P.U.

ورغم المحاولات المتكررة لم نتمكّن من الحصول على كتب كان من الممكن أن تخدم هذا البحث مثل:

تاريخ الأدب الفرنسي لـــ (برينال).

تاريخ الأدب الفرنسي لـــ (لانسون).

M.Ste - Beuve, Chateaubriand sa vie et ses écrits.

M Danilo, Chateaubriand et son groupe littéraire.

M.Benoit. Chateaubriand et ses critiques.

اشتمل الفهرس على عناصر البحث ومحتوياته، وخُصِّص للخرائط والصور ملحقاً مستقلاً.

لقد توخَّينا في دراستنا الأكاديمية للأعمال المختارة الموضوعية في العرض والرغبة المجرَّدة في البحث عن الحقيقة دون الوقوع في فخ الانتقائية، واقتضت طبيعة البحث الاستعانة بعدَّة مناهج بدلا من منهج واحد؛ **فالمنهج التاريخي** كان ضرورياً لتتبع صورة الشرق كما تشكَّلت في الثقافة الغربية وكما تراكمت في المخيلة الفرنسية منذ أسطورة بدايات التكوين (La Geneze) مرورا بالقرون الوسطى وصولا إلى الأزمنة الحديثة وكذا لوضع الكاتب الرحَّالة (Ecrivain voyageur) في البيئة التي نشأ فيها وتفاعل مع سمات واقعها فالرحَّالة ثمرة من ثمرات عصره عمل على إنضاجها الزمان والمكان والحال السياسية والاجتماعية والأدبية والعلمية والاقتصادية والدينية يتأثَّر ويسعى إلى التأثير بما حصل له من سعة ثقافة وأدركه من نضج فكر متفتح والمعرفة بحقائق وخبايا الأديب يمكن لها أن تضئ جوانب كثيرة عن رحلته، وللباحث المقارن أن يسير في أحد خطين يختلفان اختلافا ملحوظا ولو أنَّهما يختلطان اختلاطا مشروعا[1]:

1- رشيد رايس: صورة الجزائر والجزائري في الكتابات النثرية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر. دكتوراه دولة في الأدب المقارن 2003م، إشراف الأستاذ الدكتور الربعي بن سلامة. ص: 55.

2- د.الطّاهر أحمد مكّي: الأدب المقارن أصوله وتطوّره ومناهجه. ط 01، القاهرة: دار المعارف، رمضان1407 هـ/مايو 1987م. ص ص: 316 -317(بتصرف).

3- محمد الشبايكي، المدعو (الشبوكي): ديوان الشيخ الشبوكي. رويبة: منشورات المتحف الوطني للمجاهد (المجموعة الأولى). طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1995م. كلمة شكر.

1- دراسة ما تعرفه دولة عن دولة أخرى في عصر معين في ضوء ما يقدِّمه الرحَّالة.

2- دراسة رحَّالة بعينه؛ أهوائه، آراءه، تصوُّراته، سذاجته، مكتشفاته.

يتجِّه الباحث في الأولى إلى الكتب ويجد نفسه مسوقا بالضرورة إلى الأخذ في عين الاعتبار كتبا ثانوية دون إغفال الكاتب الرحَّالة تماماً، ويتجه في الثانية إلى الكاتب الرحَّالة الذي يريد اكتشاف ثقافة البلاد التي رحل إليها ومستواها من الحضارة أو البداوة والعذرية قبل بدء الرحلة وخلالها ويخلق ذلك عنده: "فضولا طبيعيا لمعرفة كل شيء ويهيِّئ مناخ ملائما للتأثر به يمضي على مهل ويمهِّد الرحَّالة نفسيا لتتبعُّ ما يجري فيه وعنه وتمثُّله."[2] أمَّا **المنهج النفسي** فكان وسيلتنا إلى فهم سيكولوجية الرحَّالة خاصة فيما يتعلق بـــ (دو نوفال) وأحاسيسه التي عكستها غالباً شخصيات رواياته، وفرض **المنهج التحليلي** نفسه حين احتجنا للموازنة وهي المواجهة التي أردناها تحليلية لأعمال أدبية كاملة وفق الطريقة الطولية أو ما يطلق عليه (الطريقة الرأسية) في الدراسة أي تناول صور كل رحَّالة (كوحدة) على حده ثم الانتقال بعد ذلك إلى رحَّالة آخر.

وبعدُ، فقد اعترض طريقنا كثير من العقبات ولاقينا كثيراً من الصعاب وتحمَّلنا كثيراً من المشقَّة، ولا نظن أنَّ هناك بحثاً دون صعوبات ، وإن كانت الصعوبات التي يلاقيها الباحثون ليست متكافئة. ولعلَّ قلَّة الدراسات التي تناولت جانبا مهمًّا في حياة (دو نرفال) ونقصد ارتباطه بعالم الأساطير المصرية يؤكِّد مدى صعوبة التوغل في هذا المجال حيث إنَّ مساحات البحث فيه تتطلب الكثير من الإلمام بهذا العالم الغامض وخفاياه.. وهي دعوة لفسح المجال لإبراز هذه الثروة الفكرية والأدبية المدفونة عن طريق البحث والتنقيب.

ونتوجَّه هنا بالشكر إلى كل من ساعدنا في إخراج هذا البحث على ما هو عليه وشجَّعنا ولو بكلمة طيبة فقد كان لها أكبر الأثر، ونخص بالشكر أستاذنا المشرف، الأستاذ الدكتور.(عبد الله حمادي) الذي لم يبخل علينا بخبرته الثرية وتوجيهاته القيِّمة وحرص منذ الوهلة الأولى أن يترك لنا كامل الحرية في اتخاذ قرارات مناسبة ما نعتبره مصدر ثقة نعتز بها كثيراً، ونقول له:

أيا فاضل الأخلاق شكرك واجب عليَّ فخذه بالوداد معطَّرا[3]

كما نتقدَّم بشكرنا للسادة الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الذين نعدهم على الاستفادة من ملاحظاتهم للارتقاء بمستوى هذا البحث ، إذ لا نستطيع الزعم بأننا قد أوفينا هذا البحث حقه ، وإن وُفِّقنا في شيء فإنَّما الفضل لله عز وجل، وإن كانت الأخرى فحسبنا الجهد المخلص لوجه الحق سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

والله نسأله التوفيق تالين قوله تعالى:

چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە چ[1]

صدق الله العظيم

---

1 سورة (طه). الآية [25] إلى الآية [28].

المدخل

التأصيل التاريخي و المعرفي

لعلاقة الغرب بالشرق

تحديد جغرافية المشرق العربي

تحديد فترة القرن التاسع عشر

نبذة تاريخية عامة عن القرن التاسع عشر في فرنسا

الأوضاع السياسية

الأجواء الأدبية و الفكرية في فرنسا القرن التاسع عشر

لمحة تاريخية عن المشرق العربي في القرن التاسع عشر

مدخل تاريخي للدولة العثمانية

أساليب الحياة العامة للشرق في القرن التاسع

الأوضاع السياسية

النظام الاجتماعي و السياسي في عهد الدولة العثمانية

الأجواء الثقافية لشرق القرن التاسع عشر

علاقة أوروبا بالمشرق العربي قبل القرن التاسع عشر

دوافع نشاط رحلة الكتاب الفرنسيين إلى المشرق العربي خلال القرن التاسعشر

1 -أسباب سياسية

التوسّع الاستعماري

2 -أسباب مادية وتقنية

التقدم التقني

تطور وسائل النقل

الطباعة

تطور وسائل الإعلام

3 -أسباب ثقافية وفكرية

حكايات ألف ليلة و ليلة

الإستشراق

ا -الاستشراق العلمي

ب -الاستشراق الديني

ج- الاستشراق الفني

الرومانسية

انتشار تعلم اللغة العربية

الترجمة

4 -أسباب روحية

الغريب

تحديد جغرافية المشرق العربي:

الشرق من وجهة نظر الفرد الأوروبي وخاصة الأوروبي الغربي هو ما يقع في اتجاه الغرب، وتغيَّرت مفاهيم كلمة الشرق في الموسوعات الأوروبية على مدى السنين، فكان بالنسبة لأوروبا العصور الوسطى تلك البلاد الواقعة على السواحل الشرقية والجنوبية الشرقية للبحر المتوسط وكل البلاد المتغلغلة في اتجاه الشرق لكنه لم يشمل العالم الإسلامي فلا تدخل إسبانيا الإسلامية وشمال إفريقيا باستثناء مصر[1]، وانصرفت في مطلع القرن الثامن عشر إلى الهند والصين أكثر من انصرافها إلى الشرق الأوسط ومصر[2]، و لم يكن مألوفا ولا يرجع ذلك مطلقا إلى نقص في المعرفة الجغرافية التمييز العميق الجذور ذلك التمييز بين الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى. نقرأ في (القاموس العالمي للقرن التاسع عشر) لـ (بيير لاروس): "لم يسأ تحديد شيء أكثر من التخوم التي ينطبق عليها هذا الاسم . حدوده متغيرة: لذا، فإن كان يغطي حتمياً أوروبا مصر، تركيا، فلسطين وسوريا، فليس الأمر سواء مع أقاليم مثل رودس، قبرص، اليونان أو إيطاليا التي يربطها الرومانسيون بلا انفصال مع رحلة إلى الشرق."[3]

غزت جيوش فارس بلاد اليونان باسم الشرق، واستأنف العثمانيون الصفويون الصراع الذي دار بين البيزنطيين والساسانيين في القرن السادس الميلادي[4] حتى انسحاب السلاطين العثمانيين من هذه المناطق في العصور الحديثة، وإلى غاية القرن التاسع عشر كانت أقاليم جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا ما تزال بالنسبة إلى الأوروبيين تعرف باسم الشرق ، دون حاجة إلى تعريف أدق . كانت المشكلة آنذاك (المسألة الشرقية) لكن عندما بدأ اهتمام العواصم الأوروبية بالشرق الأقصى ظهرت الحاجة إلى إيجاد تعريف أدق من التعريفات السابقة، وحتى أواخر القرن التاسع عشر كان يطلق تعبير الشرق الأدنى على هذا الجزء من جنوب شرقي أوروبا الذي ما يزال حيزها تحت الحكم العثماني ثم امتد فترة من الزمن تجاه الشرق، ويضم خاصة بالنسبة إلى الأمريكيتين الجزء الأكبر من أراضي الإمبراطورية العثمانية في آسيا وإفريقيا وأوروبا أيضا، ولما تبيَّن للإنجليز أن الشرق الأدنى أقل قربا مما كان يُعتقد في البداية اختفى تعبير الشرق الأدنى تقريبا وحلَّ محله تعبير الشرق الأوسط مغطياً بذلك مساحات واسعة من جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا[5] وأرض الهلال الخصيب، ويشمل هذا الأخير العراق و الأراضي الممتدة من وادي نهر دجلة و الفرات في نصفه الشرقي وسوريا في نصفه الغربي باعتبارها وحدة جغرافية تمتد من جبال طورس في الشمال إلى صحراء سيناء وخليج العقبة في الجنوب ، وبين طرفي الهلال الخصيب تقع (بادية الشام) وهي امتداد للمستطيل

1- د.جوزيف نسيم: نقاط التلاقي والصراع بين أوروبا الوسطى والشرق. مجلة عالم الفكر. الكويت: وزارة الإعلام. م 10، ع01. أبريل - مايو - يونيو 1979. ص: 224.
2- رشدي صالح، الرحالة الذين زاروا مصر و وصفوا حياتها. مجلة الكاتب. السنة الثانية، ع 20. ص: 12.
3- «Rien de plus mal défini que la contré à la quelle on applique ce noms. Ses frontière sont variable: En effet, s'il recouvre presque invariablement l'Egypte, La Turquie, La Palestine et La Syrie, il n'en est pas de même pour des régions comme Rhodes, Chypre, la Grèce ou l'Italie que les romantiques rattachent immanquablement au voyage en Orient.»

Pierre Larousse: Dictionnaire Universel de dix- neuvième siècle, p:56

4- أ.د.عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1561 - 1922). دار المعرفة الجامعية، 1996م. ص:16.
5- أ.د.عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1561 - 1922). ص:14.

الصحراوي وشبه الصحراوي العظيم الواقع إلى الجنوب أي الجزيرة العربية نفسها، وتقع بين جبال طورس شمالا وشبه جزيرة سيناء جنوبا والصحراء شرقا والبحر المتوسط غربا أربع دول حديثة هي سوريتي ولبنان وفلسطين والأردن، كان الرومان يسمو نها (سورية وفلسطين) وأطلق عليها العرب اسم (الشام) وأطلق عليها التجار الأوروبيون اسم الليفانت (Levant) أو (حوض الليفانت) بمعنى الحوض الشرقي للبحر المتوسط والبلاد الأخرى الواقعة إلى الشرق منه، ويمتد الشرق الأوسط إلى المنطقة الممتدة من الهند إلى بورما وسيلان في تأكيد رائع على الشرق القائم خلف المتوسط، أما الشرق الأقصى فيقصد به قبل كل شيء الصين واليابان وكذا شرق سيبيريا وجنوب شرق آسيا.[1] تبقى مسألة مهمة تجب الإشارة إليها وهي أن الشرق العربي يقع في المنطقة التي تعرف حاليا باسم منطقة الشرق الأوسط ويكوّن الجزء الأكبر منها، هذا ويختلف الشرق الأوسط الجغرافي والتاريخي عنه بالتحديد السياسي، فللشرق الأوسط الإسلامي مثلا بدأ بالفتوحات العربية الكبرى في القرنين السابع والثامن، وهي الفتوحات التي أقامت للمرة الأولى منذ عصر (الاسكندر) إمبراطورية موَّحدة تمتد من شمال إفريقيا إلى حدود الهند والصين، وقد كان للعرب في هذه الفترة دور عظيم في نشر الإسلام ببلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على اختلاف أصولها وثقافتها وتعريب مجتمعاتها [2] وإنشاء ما سمي (قيادة الشرق الأوسط) و(مركز تموين الشرق الأوسط)، وعمَّ أثناء الحرب العالمية الثانية استعمال عبارة الشرق الأوسط لتحديد منطقة ذات كيان لا يحتمل الخطأ، لكن الالتباس في تحديده تحديدا دقيقا ما يزال إلى الآن رغم أن الظواهر الجغرافية القوية والتاريخ الطويل ساعدا في رسم شخصية مميزة ومألوفة عنه[3]، ويضم الشرق الأوسط حاليا كلاً من تركيا وفارس والعراق والجزيرة العربية ودول اللفانت الأربع ومصر فضلا عن بعض الامتدادات تجاه الجنوب والغرب حتى المناطق الإفريقية التي تتكلم اللغة العربية وقد تضاف أفغانستان وينتهي عادة الجزء الشمالي من الشرق الأوسط عند الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي، وتاريخيا ضم شمال التخوم السوفيتية فيما وراء النهر والقوقاز وآسيا الوسطى بلدانا ظلت حتى القرن التاسع عشر مكمِّلا لعالم الشرق الأوسط وإلى فترات مبكرة من التاريخ كانت تلك المناطق تحسب على الإمبراطوريات الإسلامية العربية والفارسية والتركية بمدنها الإسلامية الكبيرة مثل سمرقند وبخارى والتي لا تقل أهمية عن بغداد أو القاهرة أو أصفهان أو استانبول، ويقع على حدود الشرق الأوسط كلاً من جورجيا وأرمينيا كإقليمين مسيحيين لعبا أدوارا مختلفة في البلاد الإسلامية وكان لهما في أحيان كثيرة تأثير على شؤون المنطقة.[4]

1- د.جوزيف نسيم: نقاط التلاقي والصراع بين أوروبا الوسطى والشرق. مجلة عالم الفكر. م 10، ع01. أبريل - مايو - يونيو 1979. ص: 224.
2- أ.د.عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1561 - 1922). ص: 19(بتصرف).
3- أ.د.عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1561 - 1922). ص ص: 11 - 16(بتصرف).
4- نفسه، ص: 19.

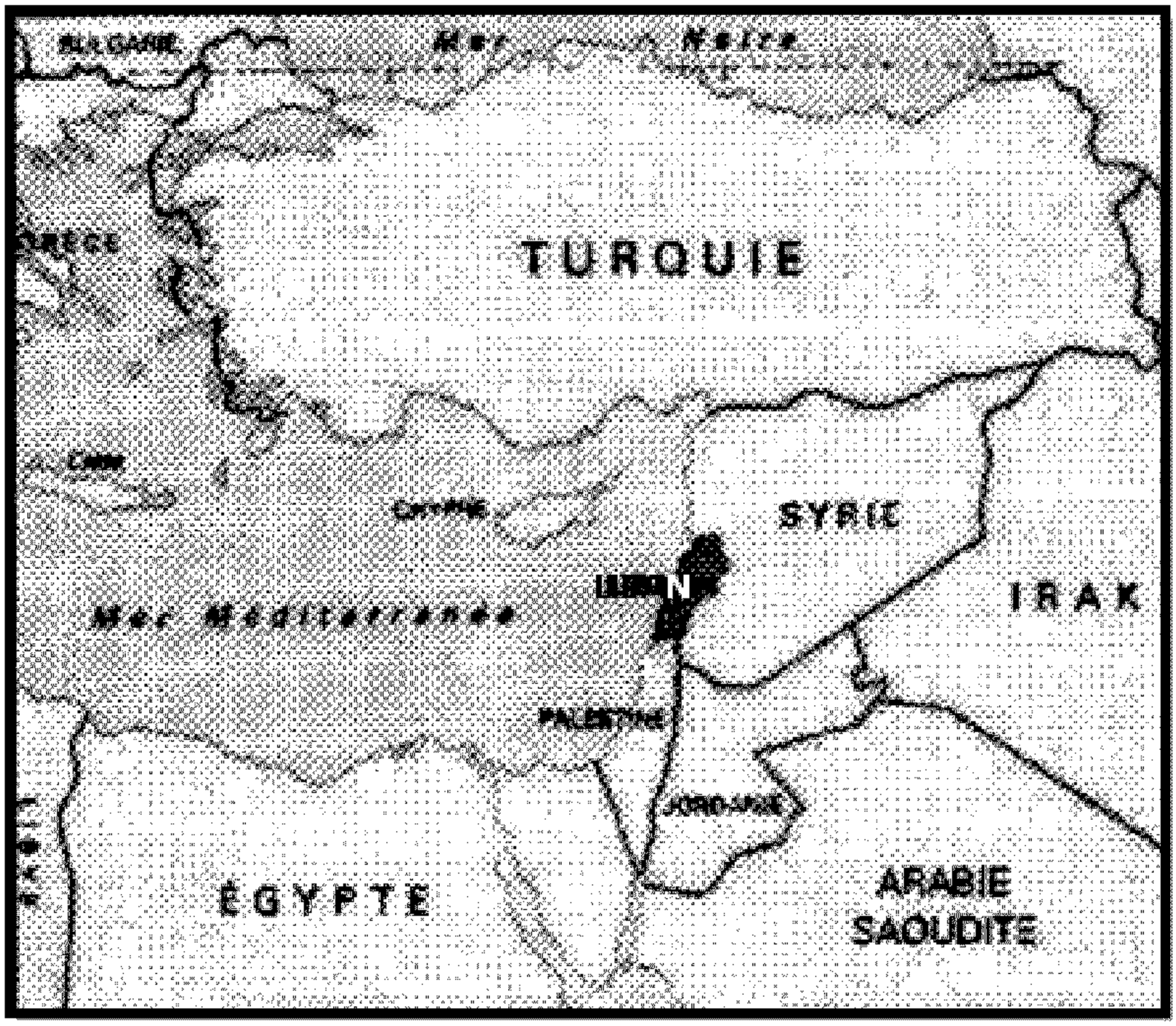

الشرق الأوسط.[1]

1- أ.د.عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1561 - 1922). ص:14.

تحديد فترة القرن التاسع عشر:

لم يُتفق على فترة واحدة للقرن التاسع عشر؛ ففي حين ردَّ الدكتور (حسام الخطيب) بدايته إلى سنة 1812[1] يحصره (مارك نادو) بالفترة الممتدة بين 1815 و 1914 وآخرين بسنوات 1804 و 1878.[2]

نبذة تاريخية عامة عن القرن التاسع عشر في فرنسا:

الأوضاع السياسية:

صنع القرن التاسع عشر الحضارة الغربية الحديثة التي تتمتع بها أجيال اليوم في كل من ألمانيا وفرنسا وهولندا وإنجلترا... فللصناعة والفلسفة العلمية وحرية الصحافة والتعبير والتعددية المذهبية وحرية المعتقد الديني والحريات السياسية والديمقراطية كلها من مكتسبات ذلك القرن، لكن تلك الحريات لم تنزل على الأوربيين هدية من السماء وإنما كانت نتاج مخاض اجتماعي وسياسي عنيف شحن النصف الأول من القرن التاسع عشر باضطراب اجتماعي واقتصادي : "غيَّرت الخضَّات العلمية والتقنية المجتمع الفرنسي؛ وكان أن طفت طبقة جديدة من البروليتاريا والعمال غير مستقرة."[3]

وشهد بعدها ثورات دموية عديدة كثورة 1848 وثورة 1871 المشهورة باسم (كومونة باريس) و(الثورة الفرنسية الكبرى) سنة 1789، وفيما كانت نداءات الثورة الفرنسية بالحرية والإخاء والمساواة تفعل فعلها في الجماهير الجائعة المتعبة التي استغلها الصناعيون إلى أبعد حد حتى أن الرجل والطفل كانا يعملان في المناجم أكثر من ست عشر ساعة ولا يكادان ينالان قوت يومهما من الخبز[4] جذبت الأفكار الثورية انتباه العامة والمفكرين وأثارت النقاش على مستوى يتجاوز القضايا اليومية والبيئة المحلية المحدودة[5]، وقد عرض البروفيسور (ميشيل وينوك) في كتابه (أصوات الحرية- الكتاب الملتزمون في القرن التاسع عشر) مواقف مثقفين فرنسيين انخرطوا والتزموا بهموم هذا القرن ليس أقلَّهم شاتوبريان وفيكتور هيغو وشارل بودلير و فلوبير ولامارتين... ومن يهُمُّه صوت الحرية أكثر من الكاتب أو الشاعر أو الفيلسوف؟ لكن كثير من تلك الأسماء التي بنت مجد الآداب الفرنسية دفع ثمن النضال لأجل الحرية بشكل أو آخر؛ فمنها من تعرَّض للنفي فترة طويلة مثل (فيكتور هيغو) وفصُل البعض عن عمله وتعرَّض آخرين للتهديد أو المضايقة أو السجن أو حتى التصفية الجسدية، ويبقى الاستبداد السياسي والتزمت الديني الكاثوليكي من أبرز قضايا القرن التاسع الذي عجَّ بتساؤلات فلسفية وسياسية، ومع انتشار الفلسفات العقلية وتمجيدها العلم كحل لمشاكل البشرية نحو فلسفة (كونت) و(هيغل) و(سواجي) عاد الحنين إلى الروحانيات وتم تدمير أسس العقيدة المسيحية

1- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:169.
وكذا:
د.حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوُّره ونشأة مذاهبه. دمشق: 1972م. ص:165.

2- http://fr.wikipedia.org/wiki/Alphonse_de_Lamartine

3- «Les bouleversements scientifiques et techniques changent la société française; une nouvelle classe émerge, c'était celle du prolétariat et des ouvriers plus mobile.»
http://www.dissertationsgratuites.fr/dissertations/Le-Xixe-Siecle-Politique/55149.html

4- د. حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوُّره ونشأة مذاهبه. ص:155.

5- الطاهر احمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوُّره ونشأة مناهجه. ص:89.

التقليدية ولكن دون تقديم البديل على مستوى الروح والقلب وهو بديل كان ضروري لتحقيق تماسك الجماعة التاريخية ؛ فالدين ليس تفسير شمولي للعالم وغاياته النهائية قبل الموت وبعده وليس عزاء لأولئك الدين يقتربون من لحظة الموت فقط وإنما هو قاعدة صلبة للهوية الجماعية ووحدتها المتراصة، ولأن المذهب المسيحي الكاثوليكي الذي يؤمِّن لفرنسا هذه الهوية وتلك الصلابة تزعزع وفقد الكثير من مصداقيته بعد الثورة الفرنسية والنقد الصارم من فلاسفة التنوير فقد شعر الناس بالهلع والخوف وفقدوا الإحساس بالأمان والاطمئنان وأحسوا كأنهم يتامى ولا يعرفون بأي شيء يمضمون راح مفكروا القرن التاسع عشر وشعرائه وروائييه يبحثون عن البديل بعد انهيار العقيدة التقليدية التي هيمنت على فرنسا طيلة ثمانية عشر قرنا، فبلور الفيلسوف الشهير (سان سيمون) مشروع مسيحية ليبرالية قائمة على العلم والعقل اختار لها اسم (المسيحية الجديدة) وهي تختلف عن (المسيحية التقليدية) القائمة على التسليم دون مناقشة وعلى هيمنة البابا ورجال الدين واقترح (لامارتين) مشروع (الكاثوليكية الجديدة) وقدَّم (أوغست كونت) مشروع (دين البشرية)، و تتقاطع كلها عند نقطة أساسية هي رفض التزمت الأصولي للمسيحية التقليدية التي تتبنى المعجزات وتنافي العقل، لكن أنصار المسيحية التقليدية لا يزالون هم الأغلبية لذلك فالصراع بينهم و بين أتباع التيارات الجديدة كان شبه محتوم، وفعلا فقد شق ذلك الصراع الخطير فرنسا وعموم أوروبا إلى قسمين : قسم تقليدي وقسم حديث؛ أي قسم مصرٍّ على التأويل القديم للدين المسيحي وقسم مصرٍّ على تأويل جديد لنفس الدين ويرون في ذلك أكثر انفتاحا وتحررا وعقلانية، والملفت أن الأنظمة كانت تتوالى على حكم فرنسا وتعود بانتظام كل عشرين سنة في انتقال بطيء على رقعة من الأزمات [1]، وتلخِّص هذه القائمة الرقمية البسيطة قرناً من الاضطرابات اليقظة في تاريخ بلد:

إمبراطوريتان:

القنصلية والإمبراطورية الأولى: 1804 - 1814 (نابوليون الأول، 1765 - 1821).

الإمبراطورية الثانية: 1852 - 1870 (نابوليون الثالث، 1888- 1873).

ثلاث ملكيات:

الإصلاح وعودة الملكية: 1815 - 1824 (لويس الثامن عشر، 1755- 1824).

الملكية والعودة إلى الدين: 1825 - 1830 (شارل العاشر،1757 - 1836).

ملكية جويلية: 1830 – 1848(لويس فيليب الذي وضع حدا لفكرة دين الدولة سنة 1830).

جمهوريتان:

الجمهورية الثانية: تم إعلانها بعد تنازل (لويس فيليب) عن العرش في 25 فيفري 1848 واستمرت إلى غاية 02 ديسمبر 1852.

الجمهورية الثالثة: 04 سبتمبر 1870 – 10 جويلية 1940.

1- Belte G.Hirch et Cha La IP.Thompson: Préparation à la lecture. ©S.Mounier Clay PH .D - VC Davis - californien, p:54.

ثلاث ثورات:

ثورة 1830: بسبب تصرف الملك (لويس فيليب) الذي وضع حدا لفكرة (دين الدولة) التي أسسها الملك (شارل العاشر).

ثورة فيفري 1848: وقد أنهت ملكية جويلية.

الحرب الألمانية – الفرنسية – البروسية (1870 - 1871).

الأجواء الأدبية والفكرية في فرنسا القرن التاسع عشر:

شهِد القرن التاسع عشر نزوغ عدد من الاتجاهات والمدارس الأدبية؛ فشغلت الابتداعية نصفه الأول وتقاسمت نصفه الثاني الواقعية الطبيعية والرمزية والبر ناسية[1]، وكان انتصار الحركة الواقعية في أوروبا أسبق وأوضح منه في أمريكا وطوَّرتها فرنسا تطويرا واعيا عند وصولها إليها سنة 1830؛ فالنثر القصصي الواقعي الذي كتبه ستندال وميريميه وبلزاك أصبح يعرف بالواقعية التشاؤمية ثم بالمذهب الطبيعي مع فلوبير وزولا[2] ومع حلول عام 1885 كانت هذه الحركة النشيطة قد أنهت دورها [3]، وقد دعت الحاجة إلى مثل هذا المذهب خاصة مع:

التأثير الكبير للحركات الفلسفية لاسيما فلسفة (أوغست كونت) الوصفية.

نمَّت العلوم الرياضية في نفوس الناس الإيمان بالحقيقة.

رسَّخ ازدهار الاقتصاد في البلاد أفضلية الواقع على الخيال.

حبَّب اختراع آلات التصوير والسينما الواقع في النفوس.[4]

وطبعت الرومانسية القرن التاسع عشر ومهَّدت لبقية المدارس وكانت الأصل الذي تفرَّع عنه بقية المذاهب والاتجاهات حتى إنَّه نسب إليها وأُطلق عليه (العصر الرومانسي)[5]:

الرومانسية الاجتماعية الرومانسية التصويرية الرومانسية الغنائية

الفن للفن نحو البرناسية الرومانسية الروحية

نحو الطبيعية نحو الواقعية نحو الرمزية

1- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نيرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. الكويت: وزارة الإعلام. المجلد 11، ع 03. أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 1980م. ص:270.
2- حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ط7. ص:244.
3- نفسه. ط07. ص.244.
4- محمد عبد الرحمان شعيب: الأدب المُقارن مسائله ومباحثه. بنغازي:1969م. ص:312.
5- نفسه. ص:821.

لمحة تاريخية عن المشرق العربي في القرن التاسع عشر:

كان لانفتاح الشرق خلال القرن التاسع عشر على الفكر الغربي بعد عزلة عاشها طيلة الثلاث قرون الماضية أثره الكبير، و نعتقد من الخطأ فصل أحوال المشرق السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن التاريخ العام للدولة العثمانية.

مدخل تاريخي للدولة العثمانية:

استمرت الخلافة العثمانية لأكثر من سبعة (07) قرون متتالية منذ بدأت إمارة صغيرة في الأناضول سنة **699هـ/1299م** إلى حين انقلاب (كمال أتاتورك) الذي أعلن إنهاء الخلافة سنة **1324هـ/1924م**، وقد ضمَّت ثالث أكبر أرشيف إسلامي في العالم، و: "ظلت الإمبراطورية العثمانية لوقت طويل واحدة من أقوى دول العالم، أسسها مع بدايات القرن الرابع عشر، العثمانيون (أحفاد عصمان أو عثمان)، سلالة من أصول تركية – على أنقاض امبراطورية السلاجقة."[1] ولا يزال التاريخ يحفظ في صفحاته حتى اليوم تلك الوقائع الحربية الهائلة التي وقعت في القرن التاسع عشر بين الدولة العثمانية والشعوب البلقانية[2]. لكن "شهد القرن التاسع عشر حقيقة دولة ذات بنية قديمة غير قادرة على التجدُّد رغم الإصلاحات التي قام بها (طانزيم) بداية من 1839 (...) لتنتهي الإمبراطورية العثمانية إلى التفكك التام منذ 1932، وأسست تركيا الحديثة التي بنيت على أنقاضها سنة 1932."[3]

أساليب الحياة العامة للشرق في القرن التاسع عشر:

الأوضاع السياسية:

النظام الاجتماعي والسياسي في عهد الدولة العثمانية:

انتابت الإمبراطورية العثمانية أواخر القرن السابع عشر أمراض كثيرة ودخلت أزمة خطيرة جدا تردَّد صداها في ميادين الحياة كافة ؛ تدهور الاقتصاد ودبَّ الفساد في مكنة الدولة وخرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة المركزية وفقد الجيش المتفسِّخ قدرته القتالية وانحطَّت الثقافة فيما أفضى تفسُّخ النظام الإقطاعي العثماني إلى استحالة تطوُّر القوى المنتجة فضلا عن تحطيم القوى الإنتاجية الموجودة [4]، وما أن أطل القرن التاسع عشر حتى تحكَّمت العلل بالإمبراطورية العثمانية وسهل على المنشقين والمستعمرين القيام بحركاتهم داخلها، وأمام الضعف الذي سيطر على الدولة العثمانية وعجزها عن دفع الضرر عن رعاياها

---

[1]- «L'empire ottoman a long temps été l'un des plus puissants états de la planète, fondée du tout début du quatorzième siècle - par les osmanlis (descendants d'Osman ou Uthman), une dynastie d'origine turkmène - sur les ruines de l'empire seldjoukide."

http://www.cosmovisions.com/ChronoOttomans.htm

[2]- مصطفى لطفي المنفلوطي: في سبيل التاج. دار النفيس للطباعة. د ط. د ت. ص: 05.

[3]- «Le Dix- neuvième siècle aura marqué en fait l'origine d'un état aux structure archaïques, incapable de se moderniser, malgré les réforme entreprises à partir de 1839 par Tanzimat (...) L'empire Ottoman sera ainsi complètement démantelé des les années 1932, La Turquie moderne construite sur sa ruine a été fondée en 1932.»

http://www.cosmovisions.com/ChronoOttomans.htm

4- لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث. ط01. بيروت: دار التقدم، 1971م. ص:27.

راح المفكرون العرب يهتمون بإصلاح بلادهم إصلاحا داخليا وعمَّت سلسلة من الا نتفاضات في العالم العربي لعل أبرزها:

انتفاضة الشعب المصري سنة 1805 والتي حملت (محمد علي باشا) إلى الحكم، فأعاد هذا الأخير تنظيم جهاز الدولة وأرسل البعثات العلمية إلى الغرب كما جاء بالفرنسيين لدفع عجلة النهضة التقنية للشرق[1] وأجرى إصلاحات في ميادين عديدة زراعية وصناعية وتجارية وعسكرية وثقافية وغيرها... وكان عهده فاتحة تاريخ جديد على العالم العربي وتحوَّلت فيه مصر وفي زمن قصير للغاية من تابع ضعيف إلى مؤثِّر مباشر في الأمن الأوروبي، وقد اختار المؤرخون اسم (المسألة المصرية) أطلقوه على الدور الذي لعبته مصر في منطقتها.[2]

(الدعوة الوهَّابية) سنة 1744، تميزت هذه الحركة بظهورها في إقليم (نجد) بالجزيرة العربية، المنطقة الصحراوية المباركة التي شهدت انبلاق نور الإسلام الأول وكانت دائماً أصلح البيئات لظهور الدعوات الإصلاحية. نشأ مؤسس هذه الحركة (محمد بن عبد الوهاب) [1703- 1791] في بلدة (العيينة) إحدى قرى نجد في كنف والده الحنبلي المذهب، أكثر المذاهب تشدُّدا في الرجوع إلى القرآن الكريم والسنَّة وإنكار البدع المستحدثة. تعد (الدعوة الوهَّابية) أول حركة سلفية في العصر الحديث ومن أولى الحركات الإصلاحية التجديدية في الدولة العثمانية، قاومت الفساد العثماني بيد والبدع المخالفة لنقاء السلفية الأصولية باليد الأخرى وهزَّت الركود الذي أصاب العالمين العربي والإسلامي مع حلول القرن الثامن عشر بانطفاء تلك الشعلة الخلاَّقة التي دفعت العرب الأولى إلى تطوير العلوم والآداب والفنون والفلسفة والفقه الديني والتشريع والجغرافيا والاكتفاء بالشكليات والتظاهر بالعلم، كما تحدَّت الخروج على سيادة الدولة العثمانية في وقت كانت تعاني فيه من الهزيمة والإذلال على يد أعدائها المسيحيين واستحقت بثورتها على الأفكار الفارسية والتركية التي سيطرت على العالم الإسلامي منذ العصور الوسطى أن توسم بـــ (ثورة العروبة) وذلك أمام الضعف النسبي للدراسات الدينية فلا نجد عالِما واحدا في العهد العثماني أضاف جديدا إلى ما جاء به فحول الفقهاء في الشريعة والخلافة والإمامة ونظام الحكم.

انبثقت حركات إصلاحية أخرى في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي بعضها مشابه للحركة الوهَّابية وبعضها متأثر بها آخذ عنها؛ ففي اليمن مثلا ظهر أعلم علمائه وإمام أئمته (الشوكاني) [1758 – 1834] بدعوته المشابهة لدعوة (ابن عبد الوهاب) فنادى بمحاربة البدع والتقليد وحث على الاجتهاد، وفي مصر رمت أفكار الإمام (محمد عبده) [1849- 1905] الإصلاحية إلى تحقيق هدفين من قوام الدعوة الوهابية: التوحيد وفتح باب الاجتهاد، ويحتفظ التاريخ بأسماء كثير من الأعلام مثل أحمد باشا الجزار و ظاهر العمر والأمير بشير الثاني الشهابي... ولإخماد الفتن الداخلية والحوادث الطائفية التي لم تفتأ تتزايد فقد

1- د.حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوُّره ونشأة مذاهبه. ص: 166

2- محمد عبد الستار البدرى: محمد علي يتحدى أوروبا. دار الشروق.2001م. ص:23.

عمل (محمد علي باشا) على إقامة دولة عربية موَّحدة حديثة على أنقاض الدولة العثمانية وكاد أن يتم له ما أراد بفضل أسطوله وجيشه لولا أن الدول الأوروبية أوقفت زحفه وأحبطت مسعاه لأن ذلك يهدِّد مصالحها ويضعف نفوذها في الشرق[1]، و رأى (بيتر مانسفيلد) مثلا بأن حاكما له فاعلية (محمد علي) ونشاطه لكن أكثر استنارة منه يجب أن يحل محل هذا الطاعن في السن.[2] كان سقوط (محمد علي) إيذانا بتدخل سياسي واجتماعي واقتصادي وفكري في الشرق ومع تغلغل الرساميل الأجنبية وسيطرة الرأسمال الاحتكاري تحوَّلت البلاد العربية إلى مستعمرات وأدَّى استيراد البضائع الأوروبية المتزايد إلى انهيار المراكز الصناعية القديمة وتخريب الحرف و تراجع الإنتاج الصناعي الوطني وخاصة اليدوي منه الذي أصبح غير قادر على الصمود في وجه الإنتاج الأوروبي خاصة المطبعي منه أما انضمام الأقطار العربية إلى السوق الرأسمالية العالمية كتابع يزوِّد الصناعة الأو روبية بالخامات المحلية الزراعية فقد وسَّع في نطاق استغلاله وذلك لعدم تكافؤ العلاقات وساهمت الإرساليات الأجنبية الدينية في تسهيل اتصال الغرب بالشرق العربي وعمل انتشار التبشير وفتح المدارس والمؤسسات في كل من سوريا وفلسطين على نشر تعاليم الدين المسيحي، ومع تطوُّر التجارة الخارجية نمت مدن تجارية وتوطَّدت البرجوازية الوسيطة وفتحُت طرق مواصلات جديدة ك قناة السويس ومرفأ الإسكندرية وشق طريق بيروت دمشق لكن الزراعة لم تصاحب تطور الاقتصاد الرأسمالي وبقي إنتاجها بضائعيا.

الأجواء الثقافية لشرق القرن التاسع عشر:

أرَّخ الكثير للحركة الفكرية العربية الحديثة ، ولأ ن الفكر نتاج المجتمع كما يقال فقد أُخذت خصائص المجتمع العربي بعين الاعتبار و لم يتم ذلك مستقلا عن عملية التفاعل الثقافي العالمي فللشرق العربي جزء من التاريخ الإنساني العام ساهم ويساهم في الحضارة العالمية بخضوعه لمنطق التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري يتعرض للهبوط والتراجع وأيضا للنهوض واستيعاب الحياة.

أجمع الكثير على أنه وكصدًى مباشرا لحملة (نابليون) على مصر خاتمة القرن الثامن عشر والانفتاح السريع والمباشر على العالم الغربي عن طريق البعثات العلمية التي كان يرسلها (محمد علي) عرَّف العقل العربي إلى "انجازات عصر التنوير الأوروبي "[3]، وأن تطبيق أفكار الثورة الفرنسية في مصر [4] على أيدي رجال مثل دروفيتي (DROVETTI) قنصل فرنسا في مصر ومنجان (Mengin) والكثير من الضباط الفرنسيين الذين عادوا إلى مصر بعد انسحابهم مع (نابليون) مثل كولونيل سيف (Sève)[5] وغيره من الذين اضطروا إلى مغادرة فرنسا حتى يجربها حظهم في مكان آخر[6] كان بمثابة الغرس الحقيقي للثقافة الفرنسية لكن في إطار الإنسان

1- د.سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية. ط01. ص ص: 48 - 220(بتصرف).
2- بيتر مانسفيلد: تاريخ مصر الحديثة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م. ص ص: 112- 113(بتصرف).
3- د.فاروق أبو زيد: عصر التنوير العربي. ط01،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1978م. ص: 15.
4- نفسه. ص: 15.
5- سليمان باشا الفرنساوي (1787 – 1860)
6- د.سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية. ط1، السلسلة الأدبية، بيروت: مؤسسة رحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، 1998م. ص ص:237 - 238.

العربي وتوجُّهاته[1]، فقد جهدت جماعة من الأدباء تخبطَّت في ما ورثته من رطانة العجمة وسقم التركيب على الخروج بوجه من سلامة التعبير وحسن الأداء[2]، وتلاهم جيل أفاد ملَّ أحيوه من بلاغة القدماء وتغذى ملَّ استحدثوه من جديد التعابير دافعين عجلة النهضة العربية إلى الأمام بتدارس العلوم الطارئة وممار سة الفنون الأدبية على اختلافها، لكنَّنا حين نعرف أن العلماء الذين صاحبوا (بونابرت) قد انكبوا على دراسة التربة والمناخ وإمكانيات مصر المختلفة وآثارها وجمعوا بحوثهم في كتاب: وصف مصر (description de l'Egypte) فذلك يجعلنا نعيد النظر في السبب الحقيقي لمجيئهم، أكان نشر المعرفة أم كان لهم هدف آخر لم يعلنوا عنه؟ لقد دبَّ الاستعمار الفرنسي مشروع لافتراس بلد هو قلب العالم الإسلامي العثماني في سابقة استعمارية خطيرة فمن غير المعقول أن الحملة الفرنسية على مصر (1798 - 1801) مجرد مغامرة عسكرية قام بها (نابليون بونابرت) لإشباع رغبة خيالية أو بأمر من الحكومة التي أرادت أن تتخلص منه والصراع الدولي الكبير في سبيل بناء الإمبراطوريات والاستحواذ على السلطة وكسب الامتيازات التجارية والصناعية على أشدِّه. كان يحلو (نابليون بونابرت) أحلام إمبراطورية عظيمة تكون مصر قاعدتها[3] فهي ملتقى المواصلات العالمية وموقعها الجغرافي في قلب الدنيا القديمة بين أضيق بقعة بين البحرين المتوسط والأحمر حيث مراكز الإنتاج والصناعة والاستهلاك وسط إفريقيا وأوروبا وآسيا أعطاها دوراً استراتيجياً في ا لمبادلات التجار ية بين الشرق والغرب و لم تفقد وظيفتها الهامة تلك إلاَّ بعد كشف طريق ر أس الرجاء الصالح ، لكن حملة (نابليون) وبتدخل من بريطانيا أخفقت في تحقيق أهدافها العسكرية واضطرت إلى الجلاء نهائيا عن مصر في 18 أكتوبر 1801. جاء في منشور لـــ (نابليون) قبل وصوله إلى الإسكندرية بيومين:

"إنّكم لم شكون على فتح له آثار بعيدة المدى في حضارة العالم وتجارته، وستطعنون انجلترا طعنة تؤذيها لا محالة في أضعف مواطنها، انتظارا لليوم الذي تُسدون إليها فيه الطعنة القاتلة (...) ولن تنقضي على نزولنا البر أيام حتى نقضي على بكوات المماليك الذين لا يرعون غير التجارة الإنجليزية والذين يظلمون تجُارنا بمعاكساتهم والذين يستبدون بأهل النيل البؤساء (...) إن القوم الدين سنعيش معهم مسلمون، عقيدتهم الأساسية هي {لا إله إلا الله محمد رسول الله }، فلا تعارضوهم واسلكوا معهم كما سلكتم في الماضي مع اليهود والإيطاليين، واحترموا شيوخهم وأئمتهم كما احترمتم شيوخ اليهود وأساقفة المسيحيين."[4]

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر قيام دولة مصرية قوية ومستقلة[5]، وعرفت الفترة الممتدة من الخمسينات إلى السبعينات ظهور حركة تنويرية عربية اجتهد فيها المفكرون والسياسيون على إنقاذ الشعوب العربية مما لحقهم من تخلُّف بسبب العثمانيون.

1- د.سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية. ص:399.
2- د.كمال اليازجي: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (1800- 1900). د ط، بيروت: مكتبة رأس بيروت، 1912 م. ص:07.
3- محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية. ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي. دت. ص:238.
4- د.سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية. ص ص:221 - 233(بتصرف).
5- ز.ل. ليفين: الفكر الاجتماعي و السياسي الحديث في لبنان و سوريا و مصر. عرض و تقديم: سليمان الديراني. مجلة الطريق. بيروت، ع 03. حزيران، 1979.

علاقة أوروبا بالمشرق العربي قبل القرن التاسع عشر:

علاقة الغرب بالشرق أدناه وأقصاه موغلة في القدم إذ تعود إلى (الاسكندر الأكبر) في القرن الرابع قبل الميلاد[1]، ومع ظهور الإسلام اهتم الغرب بالرحلة اهتماما يسَّرته لهم سعة الرقعة الإسلامية العربية الجديدة ودفعتهم إليه رغبتهم في الوقوف على أحوال شعوب هذه الأقطار والتعرُّف عليها عن قرب، وعمل اتساع نطاق التجارة على لفت أنظار الأوروبيين فترة غير قصيرة نحو الشرق [2]، وبلغت ذروتها في العصر الوسيط مع الحروب الصليبية [3] وهي دوافع روحية[4] جعلت من مصر كعبة لطائفة كبيرة م ن الرحل والباحثين، وأدَّى استيلاء الأتراك العثمانيين على القسطنطينية سنة 1453 إلى هجرة حَمَلة الثقافة الهلينية إلى إيطاليا وكان لدى بيزنطة (Byzantium) أفضل المعلومات به ذا الخصوص ذلك أن الدولة البيزنطية انغمست لقرون عديدة في كفاح أو تعايش سلمي مع جيرانها العرب وغيرهم من المسلمين[5]، ومع بداية النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر أبحر كثير من الأوروبيين باتجاه الشرق لاسيما البلدان التي تطل على السواحل الجنوبية والشرقية للبحر الأبيض المتوسط ومنهم من واصل السفر إلى الشرق الأقصى، وبدا أن أوروبا التي عاشت لقرون مرعوبة من الإسلام تترقب خائفة التغيير الذي سيحدثه في ميزان القوى العالمية قد بدأت في النصف الثاني من القرن السابع عشر تدرسه بطريقة علمية في مراكز أبحاث جامعية[6] وعن طريق مبشِّرين وتجار وقناصل وأطباء ومبعوثين رسميين ومغامرين هم دراسة اللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والاهتمام بالمخطوطات التي نُقلت أعداد هائلة منها إلى المدن الأوربية بالإشراف أو التهريب ومنها المجموعة الثمينة من المخطوطات التي جمعها رجل الدين (تشارلز روبنسون) الذي رافق الجالية الإنجليزية بين سنتي 1624- 1630 وتحتفظ بها إلى الآن مكتبة (يوليان) كما تمت ترجمة كثير من كتب الرحَّالين العرب كالكتب البلدانيات لأبي الفداء وابن جبير وابن بطوطة وغيرهم...، ويرد (بورداخ) جزءا مميزا من تقاليد الفروسية وثقافتها وأدبها في العصر الوسيط إلى الصيغة العربية الفارسية للتأثيرات الهلنستية[7]، وتبقى كتابات الكلاسيكيين اليونان مثل أفلاطون في فترة ما قبل الميلاد والمؤرخون الإغريق مثل مثل

جوليوس ويوسفوس وغيرهما... والرومان كهيرودوت وزينفون وسترابون وغيرهم...[8] تأكيد على أن العلاقة بين الشرق والغرب لم تكن وليدة اليوم وإنما لها جذورها العميقة في السنين الماضية التي تخطَّت

1- د.الطَّاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوّره ومناهجه. ص:309.
2- د.شوقي الجمل: تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها. مقدمة الكتاب، ص:ط(بتصرف).
3- د.الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوُّره ومناهجه. ص ص:309 - 310.
4- د. حسن حبشي: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. مكتبة الثقافة الدينية. دت. ص:67.
5- حول العلاقات بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي، أنظر مقال:
أ.أ فازلييف - A.A Vasiliev: بيزنطة والإسلام. وقد تم نشره في كتاب:
Bynes, N.& Moss, H. St. L.B. (eds), Bysantium: An introduction to East Roman civilisation.Oxford,1953.
6- د.الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله و تطوُّره ومناهجه. ص:179.
7- محمد التونجي: الآداب المقارنة. ص:09.
8- د.علي العشاق: دور الرحلات في الكشف عن حضارة الشرق القديم والعراق. سلسلة الندوات 5 (أدب الرحلة والتواصل الحضاري)، مكناس: جامعة المولى إسماعيل. كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1993. ص:23.

القرون والتاريخ والتي قد تُرى متعاكسة مع رحلتي ابن بطوطة وابن جبير من حيث التجوال والتدوين وتصوير البلدان لعل أذيعهم ذكرا التاجر البندقي ماركو بولو ونيكو لودى كونت[1] ودى جوانفيل وبيتر ماريتري...[2] وكان الكتاب المقدَّس (التوراة) قبل كل ذلك مصدر معلومات قيِّم عن المشرق عدا عن المغامرات العسكرية التي سجَّ ل لنا التاريخ الحديث واحدة منها تعود إلى عهد (القديس لويس) الذي سحرته مقابر الفراعنة فشنَّ حملة على مصر وحاول (ليبنتز) في نصه المميَّز سنة 1795 (مذكرة عن غزو مصر) إقناع (لويس الرابع عشر) بإتمام الغزو الصليبي لكن تم التخلي عن المشروع ، لتشتعل موجة الهوس بمصر مع ازدهار علم المصريات الإيجيبتومانيا (EGYPTOMANIE).

دوافع رحلة الكتَّاب الفرنسيين إلى المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر:

دأب الإنسان على الحلّ والترحال و جاب أصقاعا واسعة من العالم لإشباع فضوله بكتشاف المجهول من الأقاليم وما خفي من الأصقال، ولا يخفى علينا ما للفينيقيين والفراعنة واليونان والرومان من رحلات سجَّلها التاريخ، لكنَّه وكلما زادت معرفته اكشف أن العالم الذي يعيش فيه أكثر اتساعا مما اعتقد أجداده..[3]

ونشطت أدبيات الرحلة الواقعية بدءاً من القرن التاسع عشر متجَّهة نحو الشرق والغرب على حد سواء [4]، ومارس المشرق العربي طوال القرن التاسع عشر سحرا حقيقيا على فنانين فرنسيين وكتَّاب بدأً بـــ (فولني) إلى (باراس) مرورا بـ (شاتوبريان) و(لامارتين) اختار أغلبهم سلك نفس خط السير تقريبا: "تتفق الرحلة إلى الشرق جغرافيا، محيطها البحر الأبيض المتوسط الشرقي، وكانت القدس محطة لا بدَّ منها في الرحلة البحرية، جميع الكتاب مروا بها ما عدا جيرار دو نرفال."[5] وقد عمل على تشجيع مثل تلك الرحلات أسباب سياسية وتقنية وثقافية وروحية:

1. أسباب سياسية:

التوسُّع الاستعماري:

كان القرن التاسع عشر عصر الهزَّات بامتياز؛ سقطت الإمبراطورية العثمانية، وقسِّمت إفريقيا[6]، وخلقت ثورة 1789 أجواء سياسية واجتماعية جديدة أحدثا تغييرا كبيرا في الأدب والفكر الفرنسيين ، ورغم صعود نجم (بونارت) مع تعيين نفسه إمبراطورا سنة 1804، لكنَّ جيشه تحطَّم على أبواب موسكو

1- د.حسن حبشي، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. مقدمة الترجمة العربية، ص:ك.
2 - محمد فريد أبو حديد: العناصر الأوربية في دولة السلاطين. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الخامسة،ع 258. الثلاثاء 09 من ذي الحجة سنة 1362 هـ الموافق لـ07 ديسمبر سنة 1943م. ص:227.
3- د.شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها. القاهرة: ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، أبريل 1971م. ص: 109.
4- د.حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 138. شوال 1409 هـ الموافق لـ يونيو - حزيران 1989م. ص:185.
5- «Le voyage en Orient se codifie géographiquement; il se contour à la méditerranée Orientale, et Jérusalem est une étape obligé du périple; touts les écrivains y passent à l'exception de Gérard de Nerval.»

Berchet Jean- Claude : Le voyage en Orient - anthologie des voyageurs français dans le levant au dix- neuvième siècles, p: 12.

6- بين الديكتاتورية والديمقراطية - المعركة السياسية والصراع على اقتسام الثروات. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. السنة الأولى، ع 25. الثلاثاء 20 جمادى الأولى 1358 هـ الموافق لـ 20 يونيه 1939م. ص01 (محور الثقافة السياسي) .

سنة 1812 وكانت نهايته في معركة (واترلو) سنة 1815، لتعود الملكية بعدها وتفوز بجولة مؤقتة خاصة وأن (بونابرت) حطَّم في سعيه لبناء إمبراطوريته الأحرار والديمقراطيين، وارتمى مئات الفرنسيين على اختلاف قناعاتهم السياسية ودوافعهم العسكرية والاقتصادية إلى طريق إيطاليا ومصر وروسيا وعمَّت موجة شك عقائدي وصراع حاد بين المحافظين والأحرار مع زعيمهم (أوغيست كونت) ورومانسيين من أتباع (روسو)[1] ، بل إنَّ الكثير كان يرى بأن الثورة الفرنسية سنة 1848 والثورات القومية التي اجتاحت العالم الغربي بعد ذلك كانت نتاج الفكر الاجتماعي والسياسي لتلك المدرسة[2] التي عُرف عن كتَّابها وشعرائها اهتماماتهم الاجتماعية وتطلعاتهم السياسية.

2. أسباب مادية وتقنية:

التقدم التقني:

تطور وسائل النقل:

وصلت الحملة الفرنسية بحرا إلى مصر ، ووصل (شاتوبريان) إلى أثينا بداية القرن التاسع عشر فوق حصانه وألمَّ بالسفينة التي استقلها من الإسكندرية في طريق العودة شهر نوفمبر 1806 عاصفة بحرية شديدة جعلها تجنح إلى تونس، وتكلَّف سفر (لامارتين) إلى الشرق تفرُّغا ومشقة وأهوالاً كثيرة ومساندة دبلوماسية، لكن تطوُّر القطارات البخارية وولادة ملاحة بحرية متميزة بفتح خط مرسيليا – الإسكندرية البحري سنة 1840 ثم يافا – بيروت وتحسُّن طرق المواصلات البرِّية الدولية والداخلية كخط السكة الحديدية الرابط بين القاهرة والإسكندرية في خمسينات القرن التاسع عشر ثم امتد إلى شمل صعيد البلاد وخط دمشق – بيروت و يافا – القدس وخط بغداد – تركيا – جبال الألب مرورا بسلسلة جبال طورس والحماية التي حظي بها الرحَّالة من الإداريين الأوروبيين في الأراضي المستعمرة عمل على تسهيل عملية الرحلة إلى الشرق وتقصير مدَّة الرحلة ومرور سريع وآمن، فتمكَّن (دو نوفال) بعد أقل من نصف قرن عن رحلة (لامارتين) أن يصل إلى الإسكندرية في أسبوعين لا أكثر واستغرقت رحلة (فلوبير) بعد ذلك بأقل من ستة (06) أعوام ثمانية أيام (08) لا غير، وقد دفع خط السكة الحديدية نهاية القرن بسيَّاحه الأوائل وبعد فتح قناة (السويس) راج ما يعرف بـــ (سياحة المجموعات).[3]

الطباعة:

ساعد اختراع الطباعة على نشر كتابات الرحَّالة واقتسام خبراتهم مع الجمهور المتلهِّف والكسب كثير منها لشعبية كبيرة بين قرَّاء من كافة المستويات.

تطوُّر وسائل الإعلام:

1- د.حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوُّره ونشأة مذاهبه، ص: 165.
2- بين الديكتاتورية والديمقراطية، المعركة السياسية والصراع على اقتسام الثروات. مجلة الثقافة: ص: 115.ظ
3- Christian Bernaud : Thème littéraire du dix- neuvième siècle: le voyage en orient. Jérusalem. N° 05

اهتم الغرب دوماً بالشرق فيما يعرف باسم الشرقنة (orientalisme)، ورغم تقريب الرسّامين الفرنسيين صورة الشرق قبل ظهور التصوير الفوتوغرافي والسينما بعد ذلك لكن لضعف وسائل الإعلام وجب انتظار النهضة الشرقية (la renaissance orientale) حسب (إدغار كينيت) إلى غاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومع انتشار السلوكيات الشرقية في أوروبا وخاصة فرنسا[1] زاد شغف الناس وعلماء الاستشراق بالثقافة العربية.

3. أسباب ثقافية وفكرية:

حكايات ألف ليلة وليلة:

كانت تركيا (رجلا مريضا) يوشك أن يودع الحياة ويدخل عالم الصمت فيما تستقبل (الأستانة) زائرين ومغامرين وساق القدر رجلا فرنسيا كان يقضي وقتا ممتعا هناك أواخر القرن السابع إلى بعض الحكايات الشعبية، درس المستشرق أنطوان جالان (Antoine Galland) [1646 - 1715] في معهد فرنسا وكان عضو مؤثّرا في أكاديمية الآداب الجميلة ورافق السفير (دى بوانتيل) إلى الباب العالي[2]، ترجم أجزاءً من حكايات (السندباد) ترجمة حرة لا تتقيد بالأصل نشرت سنة 1704 باسم (الليالي العربية) أو (ألف ليلة وليلة)، كانت قصصا ممتعة غامضة ساحرة جذّابة عكست عادات الشرق وأخلاقه... ورغم مبالغات (جالان) وتهاونه في الترجمة إلاّ أنه طرق الحديد ساخنا وزرع بذورا قوية في الأرض الخصبة، فأوروبا التي دخلت القرن التاسع عشر منذ أربع سنوات لا أكثر كانت تبحث عن أسواق لها في آسيا وإفريقيا وكانت عيون المغامرين تتطلّع إلى أرض تفيض بالذهب والعاج والأساطير [3] وعالم السراي والحريم[4] والقصور والحفلات تحوّل عقرب التاريخ عندها إلى المشرق العربي فاتحا المجال لتبادل ثقافي: "بعد انتشار ترجمة ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص جاء إلى مصر أولئك الرحّالة الذين وصفوا حياتها."[5] لا غرابة إذاً أن انفجرت قصص (ألف ليلة وليلة) كما لو كانت لغما[6] فأُعيد طبعها مرارا وترجمت إلى عدّة لغات ، وقد جاء في مقدمة الطبعة الفرنسية سنة 1922 أن: "هوميروس وأوسيان وألف ليلة وليلة فتنوا شعوبنا المتحضرة بطريقة واحدة رغم اختلاف المضمون"[7] ويرى (جان بارود) أن كتاب (الليالي) واحد من الأعمال المحبّبة لـــ (مونتسكيو) وكل محب للأدب الرومانتيكي وأشاد واحد من أعظم الأدباء وأصحاب الفن[8] هو الكاتب

1- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié. S classiques de la civilisation françaises.Collection dirigée par Yves Brunsvick et paul Ginestier. libraire Marcel Didier. Paris, D.l.4e trim,1974, p: 31.

2- Hacéne Saadi: La construction de l'identité de l'autre à travers des textes littéraires français de Chateaubriand à Camus. HERMES 30. Cognition - Communication - Politique. Stéréotypes dans les relations Nord - Sud. Ce numéro est publié avec le concours de Centre National du livre CNRS Editions Paris 2001, pp: 137 - 138.

3- رشدي صالح: الرحالة الذين زاروا مصر ووصفوا حياتها. الكاتب. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. دار التحرير للطباعة والنشر. السنة الثانية، ع 20. نوفمبر 1962م. ص: 15

4- د. مي عبد الكريم محمود: تائهون في صحراء الإسلام. دمشق: دار الأهالي 2003م. ص: 141.

5- رشدي صالح: الرحالة الذين زاروا مصر ووصفوا حياتها. مجلة الكاتب. ص: 16.

6- نفسه. ص: 17(بتصرف).

7- نفسه. ص: 14.

8- محمد النونجي: الآداب المقارنة.ط01، القاهرة: 1419 هـ/1990م. ص: 60.

الألماني الكبير (يوهان فلجانجج وته) بتأثير عبقرية الشرق في الآداب الأوروبية من خلال ديوان شعره الخالد (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي).[1]

الاستشراق:

يقابل (المستشرق) مصطلح (المستغرب) ليعني: "الشخص المهتم بمعرفة العالم العربي أو الشرق وشمال إفريقيا"[2]، ويؤكد (إدوارد سعيد) : "إنَّ المستشرق هو كل شخص يدرس أو يكتب أو يقوم بأبحاث عن الشرق عامة أو في مجال من مجالاته الخاصة ويسري هذا على الإثنولوجي كما على السوسيولوجي والمؤرخ الفيلولوجي."[3] ولم يخرج الدكتور (صلاح فضل) عن ذلك فالمستشرق من يؤهل على تعلم إحدى اللغات الشرقية أو يؤلّف حول آدابها أو يترجم كتبها أو يحقق مخطوطاتها، وقد دخل مصطلح الاستشراق في الاستعمال القاموسي للأكاديمية الفرنسية حسب (م. رودانسون) سنة 1838 أما دخوله إلى اللغة الفرنسية فكان سنة 1799. عرفت الدراسات الاستشراقية وخاصة عن مصر قفزة نوعية سواءً في إطار الإرساليات العلمية أو كرحلات فردية وهذا مع الانفتاح الشرقي وحملة (بونابارت) التي أعادت بعد قرون الاتصال المباشر بين العرب والفرنجة وكذا مع: "راج الاستشراق مع الرومانسية الغنائية والصراع اليوناني- التركي على السواء."[4]

أ -الاستشراق العلمي:

دفع الفضول لإعادة اكتشاف أقدم حضارة في البحر الأبيض المتوسط إلى دراسة تاريخ مصر وآثارها وأهميتها الاستراتيجية (EGYPTOLOGIE)[5]؛ فكانت أبحاث المستعرب (سلفاستر دو سازي) [1755- 1038][6]، 1038][6]، والأبحاث العلمية لعلماء الحملة الفرنسية الذين رافقوا (بونابارت) وحاولوا تجاوز جهلية المكان في كتاب (وصف مصر)[7] وكتب (رونان) [1863- 1883]: (تاريخ أصل المسيحية العلمية الحديثة في الاستشراق الأوروبي)[8] ورسومات فيفان دنون (Vivant denan)[9] ، وازدهرت التنقيبات الأركيولوجية بداية بداية القرن التاسع عشر ومنها أبحاث شامبوليون (Champollion) سنة 1822 في رسائله إلى السيدة داسيي (Dacier Lettre à M.) وفك الخطوط الهيروغليفية (Déchiffrement des hiéroglyphes) سنة 1824.

ب- الاستشراق الديني:

انتشر التبشير الكاثوليكي على حساب الكنائس الشرقية وسرعان ما أوكلت لها فرنسا وإيطاليا وإسبانيا دوراً سياسياً.

1- كتب (إليو ليتمان) عن تأثر (جيته) نفسه ب(ألف ليلة وليلة) كتابه: (نشوء وتطور ألف ليلة وليلة في أعمال جيته)، وكتبت (كارينا موسن): (جيته وألف ليلة وليلة).
2- د.عبد الرحمان زكي: القاهرة في نظر المستشرقين - أزهى عصور الاستشراق. الثقافة. السنة الثالثة، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. السنة الثالثة،ع 03. مارس 1979م. ص: 215.
3- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة.السلطة.الانشاء.تعريب: كمال أبو ديب. ط01، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1981م. ص: 14.
4- «L'Orientalisme mis à la mode, à la fois par le lyrisme romantique et le conflit Gréco -Turc. »

Colette Murcie: Anthologie de l'œuvre de Victor Hugo, p: 89

5- Vivant Denant: Les photographes de dix- neuvième siècle, p: 24

6- Gérard de Nerval: Voyage en Orient. Extrait présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stéttié, p: 15

7- أهدي أول أجزاءه سنة 1809 إلى الإمبراطور (نابليون) ونشر آخرها سنة 1822 وأعيد طبعه عدّة مرات بين سنوات 1821 و 1829.

8- د.عبد الرحمن زكي: القاهرة في نظر المُستشرقين - أزهى عصور الاستشراق. مجلة الثقافة. السنة الثالثة، ع 03. ص: 56.

9- Gérard de Nerval: Voyage en Orient. Extrait présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stéttié, p: 15

ج- الاستشراق الفني:

أكّد الاستشراق أنّه ليس موضة عابرة بل مدرسة في حد ذاته، وانتقل من مجرد إلهام بالأيقونة ومجموع تقنيات إلى مرحلة من المراحل الفني ة، فمصر مثلا التي راودت أحلام ر جال السلطة والسياسة الفرنسيين قد ألهمت أيضا فنانين تشكيليين لكثر قبل حملة (بونابرت)؛ فنحتت في فترة حكم (لويس السادس عشر) تماثيل لـ (أبي الهول) متكئ على ذراعيه فوق مناضيد مزخرفة من المرمر وزيّنت بعض المدافئ والمسلات في حدائق (سوزاي- سو- إيتيول) بتماثيل برونزية تُحاكي تماثيل (إيزيس) وبنيت قاعة للرقص المصري وهرم من الخشب في ميدان النصر القومي والقماش شيّده الثوّار احتفالا بمرور عام على ثورة 1789[1]، وغيّرت حملة (البُورة) ومعارك اليونانيين في سبيل الا ستقلال من الدولة العثمانية بعد فشل حملة (بونابارت) عسكريا في التصوي الفني عند الفنانين من شرق زخرفي إلى شرق مليء بالإيحاءات الفنية والصور الخلاّبة، عكسته لوحات كان لها وقعها على العامة والمفكرين، كلوحات (غييومي) و(بيلي) و(فرومونتان) ولوحات الرسّام الرومانسي (دولاكروا) [1798 - 1863] الذي نسج سنة 1840 دخول الصليبيين إلى اسطنبول ورسم (سلطان المغرب) سنة 1845 و(odalisque la grande) سنة 1814 و(نساء الجزائر) سنة 1834 و(Odalisque à l'esclave) سنة 1839.

الرومانسية:

ليس قصدنا ولا هذا مكانه أن نقف عند الرومانسية مذهبا نقديا نفصّل القول في بواعثه وخصائصه وغاياته لكن سنحاول إلقاء الضوء على جوانب منها عملت كسبب مباشر في دفع الكثيرين إلى طريق الشرق. اعترفت الأكاديمية الفرنسية رسميا بمصطلح (الرومانسية)[2] سنة 1798 وتربّعت كمدرسة في النصف الأول من القرن التاسع عشر أما الثورة الحقيقية للابتداعية فكان عليها أن تنتظر الربع الثاني من القرن التاسع عشر (1897 - 1842)[3]، كان أغلب أدباء ا لحركة الرومانطيقية من النبلاء[4] وقد شعر أكبر وأشهر شعرائها برغبة في العودة إلى الماضي؛ إلى أطلال حضارة الشرق الأدنى[5] وفنونه واكتشاف المجهول من الأقاليم[6]، فرشطت الأكاديميات والمؤسسات العلمية الأوروبية في إرسال بعثات إلى الشرق وتعود أول بعثة منتظمة إلى الملك الدانمركي بين 1761 و1767 برئاسة العالم الرياضي الدنمركي (كارستن نيبور) الذي وصف بدقة علمية بقيّ آثار (بابل نينوي) وقدّم نماذج من ا لخط المسماري[7]، وزاد تنافس الإنجليز والفرنسيين والألمان على فك رموز الكتابات الشرقية القديمة وأسرارها[8]، والبحث عن الج مال خارج

1- حسين نصر الله: عالم الشرق الساحر يجذب الفنانين الفرنسيين ويبهرهم. يومية الوطن. المملكة العربية السعودية: مؤسسة سمير للصحافة والنشر. السنة الثانية، ع 447. الخميس 05 شوال 1422 هـ الموافق لـ 20 ديسمبر 2001م.
2- د.حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوّره ونشأة مذاهبه. ص:165.
3- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب و النقد في الغرب.ط07، ص:69.
4- ليلى عنان: الرومانسية الفرنسيّة بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي. مجلة فصول. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج02 (الأدب المقارن). المجلد 03، ع 04. يوليو - أغسطس- سبتمبر 1983، ص:122.
5- د.علي العشاق: دور الرحلات في الكشف عن حضارة الشرق القديم والعراق. سلسلة الندوات 5 (أدب الرحلة والتواصل الحضاري) ، مكناس: جامعة المولى إسماعيل. كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1993. ص:55.
6- نفسه. ص:29.
7- نفسه. ص:29.
8- د. الطاهر أحمد مكّي: الأدب المقارن أصوله وتطوّره ومناهجه، ط01. ص:311.

الحدود واقعا إن استطاعوا وقراءة في حجراتهم إذا أعوَّزتهم وسائل الرحلة إلى مصر وفارس والهند وأمريكا اللاتينية وإيطاليا وإلى أعماق التاريخ وآثار إسبانيا مسرح العصر الذهبي والقصائد السكندنافية القديمة وذلك للعصر الوسيط وكتب (هيرودوت) عن المصريين القدماء وكتابات (بلوتارخ) وكتب أدب الرحلات.[1] معاناة الشاعر الرومانسي من القلق والكآبة المستمرة والحزن الذي ليس له دو ء الذي اختصره (بودلير) بمصطلح (سبلين) تحوَّل إلى تطلُّع غامض غير محدود لمثل أعلى غير واضح المعالم تملأ النفوس مطلع القرن التاسع عشر أطلق عليه (موسيه): (داء العصر) أو (مرض الجيل)، ويرى بعض مؤرخي تلك الفترة أن بوادره قد بدأت قبل ثورة 1789[2] الفرنسية و استفحلت بتصدُّع التقاليد الاجتماعية وانهيار الأخلاق وضعف العقيدة الدينية وتغلُّب نزعة الشك. امتلأت الرومانسية الفرنسية بالفردية والانفعالية والسوداوية والانطوائية والهروبية وخصوبة الخيال والتعلق الشديد بالطبيعة[3] وكان الشرق عالم بعيدا غامضا فسيحا غير محدود[4] والشباب الفرنسي يشعر بضيق ويبحث عن مثل أعلى مجهول[5] هربًا من كآبته المجهولة فاستجاب لنداء الشرق الواسع[6] اللامتناه الذي أصبح شيئاً فشيئاً كعبة الكتَّاب الفرنسيين يرحلون إليها واقعاً أو تخيلًا خاصة أن الرومانسية التي تفتحَّت في فرنسا بين 1820 و 1850 قد أجَّجت حب المغامرة الخطيرة[7]، يهتف (شليجل) سنة 1800: "هناك، في الشرق وحده يجب أن نبحث عن الرومانسية في سموِّها" وينفعل هردو وغوته وشوبنهاور كثيرا لكلامه ويتحمَّس (إكشتين) له ونقرأ لـــ (جاك لومير): "أغلب الرومانسيين الفرنسيين، كلُّهم تقريبا رأوا إيطاليا، كثير منهم إسبانيا، وليس نادرا أولئك الذين مثل نرفال أو لامارتين كانت له الجرأة لزيارة الشرق الأدنى أو الأوسط."[8]

رفضت الرومانسية سيادة العقل المطلقة الذي يبقى عاجزاً عن النفاذ إلى مناطق القلب، يقول الشاعر الفرنسي (دي ميسيه): "من القلب تمَّ دفق الحياة حتى تمسَّها عصا موسى"[9] وأفسحت مكانا رحباً لشخصية لشخصية الكاتب وأطلقت العنان للنفس لتسبح في عالم الأحلام هربًا من عبودية النظام الرأسمالي[10]، كما نحو الأدباء الرومانسيين على الشكلية وراحوا يهتمون بالشاذ وغير المألوف[11] خارج حدودهم، وتبقى مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن وتركيا أراضي حلم مارست سحرا ببذخها العمراني وآثارها التي تغ

1- د. الطاهر أحمد مكّي: الأدب المقارن أصوله وتطوُّره ومناهجه، ط01. ص ص:53 - 54.
2- د.حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوّره ونشأة مذاهبه. ص:165.
3- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب.ط07. ص:169.
4- أ. عبد الرحمان بدوي: جيته والشرق. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. السنة الأولى، ع 25. الثلاثاء 02 جمادى الأولى سنة 1358م الموافق لـ 20 يونيه سنة 1939م.ص:13.
5- علي أدهم: شاتوبريان الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. العربي.ع 226. ص:90.
6- Alain Couprie : Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé. Profil Littérature. Collection dirigée par: Georges Décote.Hatier.Paris,Janvier 1986, p: 05.
7- .مجدي وهبة: الأدب المقارن ومطالعات أخرى. سلسلة أدبيات. ط01، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان،1991م. ص:23.
8- « La plupart romantiques français, presque tous ont vu l'Italie, plusieurs l'Espagne, et ils n'ont pas été rares ceux qui comme Nerval ou Lamartine ont eu l'audace de visiter le proche ou le moyen Orient. »

Jaques Le Maire: L'exotisme est une pensée de l'ailleurs, p:57.

9- د.الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوُّره ومناهجه. ص:53.
10- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ط07. ص:146.
11- نفسه. ص:146

بأسماء كثيرة وكبيرة مثل الأهرام [أحد عجائب الدنيا السبع] - بعلبك [بقية آثار معابد (جوبيتير) و(باشوس) في قلب جبل لبنان] - تذمر [مرفأ الصحراء] - الشام Esh Sham [بلد الشمس].

انتشار تعلُّم اللغة العربية:

أقبل الرَّاس في أوروبا على تعلُّم اللغات الأجنبية، وكان كتاب القواعد ينتقل من طبعة إلى طبعة ويستمر فترة طويلة حتى يأتي مؤلف آخر فيتقدم بالعمل خطوة أفضل وبدأ الاهتمام بالمعاجم والمختارات وكثر معلِّموا اللغات، وتحتفظ (الإسكوريال) بأوَّل مخطوط عربي قام بتحقيقه (ميخائيل غزيري) [1710-1791] وقبله‌ا بسنوات قليلة ألَّف الأمين السابق لـ (لويس الرابع عشر) وأستاذ العربية في معهد فرنسا (هربلو، ت 1696) معجم (الجامع للمكتبة الشرقية) حاول أن يجمع فيه فلسفة الشرق وأدبه[1]

الترجمة:

بهرت الحضارة العربية العالم واسلهم الشاعر العالمي (بورخيس) من التراث الشعبي العربي وجعل منه أرضا لحقيقة في رواية شاعر الصحراء (باولو كويلهو) وقرأ الفرنسيون في القرن التاسع عشر ترجمات لكتَّاب ألمان كغوته وهوفمان وأيشندوف وإنجليزيين مثل (بايرون) وإيطاليين مثل (مانزوني) وغيرهم...[2] واهتموا بترجمة ما كتب عن الشرق مثل كتاب الرحَّالة الإنجليزي (ادوارد ويليام لين) مطلع القرن التاسع عشر (وصف لطبائع وعادات المصريين المحدثين)، و (ويليام لين) [1801- 1876] مستشرق انجليزي كبير امتدَّت حياته إلى عصر الملكة (فيكتوريا)، توجّه في المرحلة الجامعية إلى دراسة اللغة العربية وقد ترك مخطوطا عن أصوله‌ا يعود إلى سنة 1822، وفد على مصر سنة 1825 وأقام هناك سنتين ونصف لكنَّ المعلومات التي جمعها لم تكن كافي ة يقول في مقدمة الطبعة الأولى من (وصف لطبائع وعادات المصريين المحدثين) سنة 1836؛ فلا هي تلبِّي حاجة الباحث ولا ه ي تستطيع إطفاء فضول القارئ العادي، لذا عاد سنة 1832 وبعد رجوعه إلى انجلترا سنة 1835 ظهر كتابه في طبعة جديدة لقيت إقبالا شديدا ونفذت النسخ في أسبوعين وصنِّف كواحد من أشهر كتب أدب الرحلات الإنجليزية على الإطلاق ليخلص (ستانلي لين بول) إلى أنَّ (ادوارد ويليام لين) قدَّم: "أتم صورة لحياة شعب من الشعوب حتى الآن"[3]، وقد قدِّر لكتابه أن يترجم إلى الألمانية والفرنسية والعربية، وتحتفظ المكتبة العربية بالترجمة العربية له وكذا بعمله الكبير (مد القاموس).

4. أسباب روحية:

1- د. الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه. ص:59.

2- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval – Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé, p :11 .

3- رشدي صالح: الرحالة الذين زاروا مصر ووصفوا حياتها. مجلة الكاتب. السنة الثانية، ع 20. ص:18.

تساعد الرحلات على الحوارات الداخلية وهناك علاقة بين ما تراه أعيننا والأفكار التي تدور في رؤوسنا كما أنَّ الأفكار الكبيرة تحتاج إلى مناظر كبيرة والأفكار الجديدة إلى أماكن جديدة ما أ ه اب بالأدباء أن يهاجروا هجرة روحية إلى الشرق أصبحت نوعاً من البحث الإنساني عندما انتقل الاهتمام إلى عادات ومعتقدات الناس[1]: شمس ساطعة تبعث الدفئ والحياة، بحار صحارى ناعمة، مدن بلون الرمال تعبق أسواقها برائحة التوابل، سجاجيد مزركشة، نحاسيات برَّاقة، سيوف لامعة وخناجر مزخرفة، رجال بجلابيب يعتمرون العمامات نساءهن بخ رهن يلفهنَّ الغموض، بلاد ألف ليلة وليلة بعجائبها وغرائبها تطفح بالحرارة والحياة تشدُّ سكان الشمال البارد بألبسته الرمادية المتشابهة!

الغريب:

تميَّزت الآداب الفرنسية بداية القرن التاسع عشر بحدث سنحتاج إلى وضوح معناه في فصولنا القادمة هو الميل إلى الغريب (Exotisme).[2] اشتقت كلمة (exotisme) من اليونانية (Exotikos) واللاتينية (Exotoximes) تدُّل على كل غريب وأجنبي عن اليونان ثم عن روما ثم عن الدول التي ورثت ا لحضارة الإغريقية- اللاتينية ثم على كل ما لا ينتمي إلى الحضارة الغربية ثم صفة لغير المألوف أو أتى من بلدان بعيدة من نبات أو فواكه أو أشكال أو مناظر وغيرها...[3] وبهذا يكون العرب والهنود والصينيين مثلا موضوع اغتراب بالنسبة للفرنسي وتصبح فرنسا في المقابل غريبة عنهم[4]، وتجلَّت ظاهرة الاغتراب الروحي في أتم صورها عند أصحاب النزعة الرومانتيكية مستهل القرن التاسع عشر في مرحلة تاريخية أكثر حداثة وفي إطار ما سمي بظاهرة (الاغتراب الروحي) إن عبر رحلات خيالية إلى أماكن غير أماكنهم وأزمنة وغير أزمنتهم، وكلٌّ حرٌّ حسب قدرة خياله في تصوُّر بلده هربا من واقع غير مستحب لهم أ و رحلات فعلية إلى م كان آخر يكون خاليا من المخاطر والشرور يمكن أن ينعم فيه الإنسان بحياة فطرية بسيطة خالية من التعقيدات[5]، ويختصر أستاذ الفلسفة (عبد الرحمن بدوي) هذه الظاهرة في: "حالة وجدانية عنيفة يشعر الأديب أو الفنان فيها بحاجة ملِّحة للفرار من البيئة التي يعيش فيها إلى بيئة أخرى جديدة مغايرة يجيى ما فيها من حياة ويُحس ما يختلج فيها من مشاعر وإحساس"[6] ، وفي هذه البيئة الجديدة: "إمَّا متعة له تزيد من قو ته الروحية وتوسِّع دائرة أفقه أو سلو ة له عن البيئة الأولى التي لم يعد له قبل باحتمالها ولا جلد على البقاء فيها ولكن تلك السلوة ليست حقيقية وإنما يتخيلها الأديب الذي يكتفي بالتحليق بروحه فيها ولأنَّها تكون غالبا من البيئات المجهولة فهو يعطي لخياله فرصة بذل نشاطه في حرية وانطلاق [7]، وقد أ هاب الألماني (فريدرش شليجل) بالشعراء والكتاب وأصحاب الفن في (مجلة أوروبا) الصادرة بباريس سنة 1803 إلى ثورة تخلِّص أوروبا من

1- Shafagh Shahabi: Introduction à l'exotisme dans l'œuvre de Segalen, p:56.

2- د.سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دي نرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات).بيروت:يونيو 1975م. ص:58.

3- نفسه. ص:59.

4- الأستاذ الدكتور. حسن كاتب، محاضرة لطلبة الماجستير. شعبة: أدب الرحلات (دورة أكتوبر 2003). مقياس: أدب الرحلات العربية.

5- د.حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. ع 138. شوال 1409 هـ الموافق لـ يونيو - حزيران 1989م. ص169(بتصرف).

6- عبد الرحمن بدوي: الديوان الشرقي. ص:01.

7- عبد الرحمن بدوي: جيته والشرق. مجلة الثقافة. السنة الأولى،ع 25. الثلاثاء 02 جمادى الأولى سنة 1358م الموافق لـ 20 يونيه سنة 1939م. ص ص:69 - 71(بتصرف).

التمزق والشتات والشقاق بعد موجة تحوُّل في القيم والأحوال الاجتماعية والفلسفات الإنسانية وأنَّ ذلك لا يُمكن أن يأتي إلا عن طريق الشرق الواسع الرحب الخرافي الذي بقي وحده على فطرته تحبل خزائنه بالفاكهة العجيبة والأحجار الكريمة![1]، واستجاب لنداءه كثير من المفكرين الرومانسيين في ألمانيا وفرنسا ممَّن وجَّهوا هذه الحركة أحسن توجيه . يكتب الأديب الفرنسي (فيكتور ه وغو) في مقدمة ديوانه الشعري (المشرقيات) أنَّ القارة كلُّها تتجه نحو الشرق ويجهر الفيلسوف (شلنج) أن المسيحية قد نبعت عن الروح الشرقية.[2]

ويشتعل ما عرف بـــ (شرق الكلتُب) بعد حملة (بونابرت) على مصر مع:

(فرانسوا- أوغست.رينيه دو شاتوبريان) في دربه: [خط سير من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس، الذهاب عن طريق اليونان والعودة عن طريق مصر وتونس وإسبانيا، (1806 - 1807)].

[François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte,la Barbarie et l'Espagne, (1806 - 1807)].

تدوينات (ألفونس دو لامارتين): [ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق (1832 - 1833) أو ملاحظات رحَّالة للسيِّد.دو لامارتين].

[Lamartine.Alphonse de. Souvenirs,impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833) ou note d'un voyageur par M. de Lamartine].

جيرار دو نرفال في: (رحلة إلى الشرق) **[1842 - 1843].**

(Gérard de Nerval. Voyage en orient) [1842 - 1843].

غوستاف فلوبير في: (رحلة إلى الشرق) **[1849 - 1851].**

(Gustave Flaubert. voyage en orient) [1849 - 1851].

1- د.سعيد علوش: ملكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي. ص483(بتصرف).
2- عبد الرحمن بدوي: جيته والشرق. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الأولى،ع 25. الثلاثاء 02 جمادى الأولى سنة 1358م الموافق لـ 20 يونيه سنة 1939م. ص:12.

الفصل الأول

المبحث الأول

شاتوبريان

François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte,la Barbarie et l'Espagne, (**1806 - 1807**).

نبذة عن حياة شاتوبريان

آثاره الأدبية

عرض الرحلة

1. المستوى العام

تاريخ النشر

مسار الرحلة

أهم محطات الرحلة

2. المستوى الفني

أسلوب الرحلة

مسار الزمان والمكان

نبذة عن حياة شاتوبريان:

ولد السياسي والأديب (شاتوبريان فرانسوا أوغست «رينيه» فيكونت دو)

(Chateaubriand François- Auguste «René» vicomte de)

لعائلة أرستقراطية بـ (سان مالو) إحدى مقاطعات (بريتاني)[1] شمال فرنسا[2] في الرابع (04) سبتمبر سنة 1768، كانت ليلة اشتد فيها عصف الرياح وبقي الناس يذكرونه بها طوال الأعوام الأولى من شبابه، انتقل مع والده الكونت (دي شاتوبريان) الشديد التمسك بالتقاليد ووالدته (أبولين دو بيدي) التي يغلب عليها الحزن ولا تكاد تعلو ثغرها ابتسامة وأخته (لوسيل) التي كان يحبها كثيراً[3] والخادمة إلى قصر كومبورج سنة 1777 بعد احتراق فندقهم الخاص بسان مالو.

غلب الاكتئاب على مزاج (شاتوبريان) وكثيرا ما كان يعتريه شعور غريب ممزوج بالمرارة الشديدة، نقرأ له في (ذكريات ما وراء القبر): "السعادة كرة نجري ورائها عندما تجري وندفعها عندما تقف ."[4] ولعل نشأته كان لها يد في ذلك إذ يصُرِّح في (ذكريات ما وراء القبر) أن كل شيء كان يغذي مرارة سأمه؛ (لوسي) كانت شقية وأمه ما كانت تؤازره فهي منشغلة عنه، كل الأيام تجدها في سان مالو تحضر الاجتماعات وعندما تدخل البيت وتجده في غير نظام فصراخ وويل للخدم، كلٌ يحدث على مرأى ومسمع من والده، أما هذا الأخير فكان يرعاه من بعيد، كان يجلس لساعات من غير أن يحرك ساكنا واضعا يده على خديه مستغرقا في تفكير عميق وكأنه يحمل عبئ السنين.. والده كان رعب الخدم وأمه كانت المصيبة.[5]

أُرسل (شاتوبريان) في بادئ الأمر إلى مدرسة (دول) ثم إلى مدرسة (الجزويت) في (رنز)، وتبع ذلك فترة من التردد، إذ أراد والده أن يلحقه بالبحرية الملكية ولذلك فقد كان عليه أن يدرس في (برست) لكنه كان يرى في نفسه استعدادا للدخول في سلك اللاهوت حتى يكون من رجال الدين وبالتالي عليه الالتحاق

---

[1]- علي أدهم: شاتوبريان - الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. مجلة العربي. الكويت: وزارة الإعلام، ع 226. رمضان 1397 هـ الموافق لـ ايلول1977م. ص:87.

[2]- الموسوعة العربية العالمية.14. ش. ط02، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1416 هـ/1996م. ص:08.

[3]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature française et francophone. Bordas. Paris 1985, p:162.

[4]- François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. Garnier. Paris 1861, réédition 1865. T.11, Chap.16, p:367.

[5]- نفسه. م 02، ص: 214(بتصرف).

بكلية (دينان)، وفي نهاية المطاف لم يفعل ه ذا ولا ذاك[1]، فقد ترك المشروعين وأعرض عن المحاولتين مضي سنتين (1784 - 1786) في ضيعة الأسرة الإقطاعية بـــ (كامبورج) مع والدته المريضة ووالده القليل الحديث وأخته (لوسيل) اللامعة الذكاء والعصبية المزاج. استمر تأثير ه اتين السنتين على شاتوبريان طوال حياته[2]، حيث كان لهذه العزلة تأثير كبير في تطور تفكيره وتكوين شخصيته؛ عاش هناك سنتين من الهذيان وتعمَّقت لد ي نزعة الحزن وقوي ت مي وله إلى الطبيعة فنادت جولاته المنفردة في الغابات المحيطة بالمنطقة التي كان بها القصر الواسع الأرجاء: "بين أشجار غابة (Combourg) أصبحت ما أنا عليه، في ظل خراب قلعة من عصر آخر بمنطقة متكاتفة، حزينة ، عاصفة."[3]

ترك شاتوبريان (كومبورج) في أوت 1786 وانظم إلى فرقة (نافار) بوصفه ملازما ثانيا ، و شهد الثورة الفرنسية سنة 1789 التي احترق بنارها معظم حياته، فقد انتقم رجال الثورة منه وقاموا بإعدام أخيه في 22 أفريل 1794 كما سجنوا أمه وزوجته وأختيه. كانت قصيدته الوي فية الغزلية (L'amour de la compagnie) أول عمل مطبوع له، صدر عن دار النشر (Almanach des muses)[4] سنة 1790 وعند دخول الثورة مرحلتها الثانية (مرحلة الرعب والإرهاب)[5] وبتشجي ع من والد زوجة أخيه (ألزوب) سلك (شاتوبريان) طريق أبحر في 11 أفريل 1791 من (سان مالو) على متن سفينة (سانت بيير) عاقدا العزم على القيام برحلة كشفية إلى العالم الجديد (أمريك). وصل إلى (البحور) في 06 جويلية 1791 ومنها إلى جميع أنحاء القارة الأمريكية الشمالية من فيلادلفيا إلى بوسطن إلى نيويورك إلى منطقة البحيرات إلى أوهايو. ولأن مثل هذه الأسفار تعتبر مغامرة حقيقية آنذاك فقد كان في نظر الكثيرين مسك شفا وبطلا و استقبله الرئيس (جورج واشنطن) بحفاوة.

عاد شاتوبريان من رحلته والعينين م نه رتبن بطبيعة لا تزال عذراء وحصيلة من المناظر الطبيعية الأمريكية عظيمة القيمة والتي أحسن الاستفادة منها في قصتي ه الشهيرتين التي ترجمهما:

(Atala) ou (les amours de deux sauvage dans le désert)

سنة 1801.

و:

(René)

سنة 1805.

---

[1]- جورج غريب: أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. بيروت: دار الثقافة. دت. ص:147.

[2]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature française et francophone, p:162.

[3]- «C'est dans les bois de Combourg que je suis devenu ce que je suis devenu, à l'ombre de cette forteresse d'un autre âge passablement ruiné, dans une régions solidaire, triste, orageuse.»

François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, Chap.16, p:367.

[4]- Pierre Reboul: Chateaubriand (Atala / René) - chronologie et préface. Flammarion 1969, p:04

[5]- مارك فوماروليي: شاتوبريان الشعر والرعب. باريس: منشورات فالوا، 2003م. ص:15.

وقد ترجم المنفلوطي سنة 1826 قصة (أتالا) وقصته الصغيرة الرائعة (آخر ملوك بني سراج) إلى العربية[1] التي تحكي عن لقاء آخر أمير عربي من أبناء الأندلس بفتاة كاثوليكية وذلك الحب العذري الذي ربط بين قلبيهما في حوار حضاري من طراز فريد حقا. ويبقى أنها ألهمت الشاعر الفرنسي (لويس أراغون) لكتابة كتابه الفريد (مجنون إليسا).

اقتطفت قصتي (أتالا) و(رنيه) من كتابه الذي بدأ في تأليفه أثناء تواجده بأمريكا (الناشيز – رحلة إلى أمريكا) والذي نشر ضمن أعماله الكاملة سنة 1826. اشتمل على قصة مستعمرة (الناتشيز) في (لويزيانا) التي انتهت بمذبحة 1777، ولعله قصد بتأليف هذا الكتاب ملحمة رجل الطبيعة حيث يصرح أنه كان يسعى من وراء رحلته لأمريكا إلى تحقيق غايتين:

غاية علمية، تتمثل في محاولة استكشاف طريق ممكن بين المحيطين الأطلسي والهادئ من جهة الشمال الشرقي.

غاية شعرية، تتمثل في الوقوف عن كثب على حياة الإنسان الطبيعي البسيط الشاعري الشفاف الذي يجسده الهنود الحمر.

بعد زواج متسرع لم يكن عنه جد راض من (سيليست بريسو دو لافيني) التي يصفها بهاته الكلمات القاسية: " كانت هزيلة، جافة ، عليها أثار الجدري ، قبيحة، تدعو للرأفة يلا روح جيدة، ولا ذكاء."[2] انضم (شاتوبريان) إلى جيش الأمراء المهاجرين وقد أتى في مذكرات ما وراء القبر (Mémoires d'outre- tombe) على سرد حادثة تعرَّض لها أثناء حصار (تيونفيل)، وكيف أن أصل روايته (أتالا) التي كان يحملها معه في جراب وقائي أنقذته من رصاصتين صوِّبتا إليه، فكانت (أتالا) مثل الإبنة المخلصة لأبيها التي وضعت نفسها بين أبيها وبين رصاص الأعداء. تم إعفائه من الجيش شهر أكتوبر 1792 لم أصابه من مرض وجروح دامية مع التقدير لما أبداه من إقدام وشجاعة، وقد استقبل عند عودته إلى بلاده في 02 يناير 1792 بالقدر نفسه من التشجيع غير أن موقفه المناصر للملكية جعل رجال الثورة بعد فوار (لويس السادس عشر) يطاردونه فهرب إلى بلجيكا ولكن النوى لم تستقر بمؤلف (رينيه) في مكان إذ جرح على إثر تطوعه للمقاومة ضد الثورة واضطر للهروب. قفل (شاتوبريان) رغم الألم شطر الجزيرة البريطانية[3] التي وصلها شهر مايو 1793 وهناك استعان على تحصيل ما يعيش به من عمله كمترجم ودخل الذي كان يتقاضاه أجرا على إعطائه دروسا في اللغة الفرنسية إلى أن عيِّن مدرسا في (سفوللك) سنة 1794. أحب (شاتوبريان) الطالبة (إيف شارلوط) بنت راعي كنيسة (بينجاي) وهي الفتاة التي كان يقدم

---

[1]- ليلى عنان: الرومانسية الفرنسية بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي. مجلة فصول. م 03، ج 02 (الأدب المقارن)، ع 04. يوليو - أغسطس - سبتمبر 1983. ص:123.

[2]- «C'était une personne maigre, sèche, très marquée de petite vérole, laide, charitable sans être bonne spirituelle, sans être intelligente.»

François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, Chap.16, p:367.

[3]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768- 1848). مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص:55.

لها المحاضرات في بيت أسرتها لكن لمَّا عرضت عليه والدتها الزواج منها اعترف بأنه متزوج فكان هذا الاعتراف صدمة شديدة على الأسرة واضطر للانتقال إلى لندن حيث أمضى هناك ثماني سنوات منفى عجاف لفهَّا الفقر والمرارة والضيق وعرف فيها كل صور البؤس والشقاء. وقد كتب عن فاقته اللندنية تلك في (مذكرات ما وراء القبر) ومنها أنه كان يمضغ العشب والورق لفرط معاناته ويزيد المرض في إنهاك قواه إذ كان نحيلا أصفر اللون يتنفس بمشقة ينتابه السعال فيداهمه العرق فيلقي من جوفه الدم .[1] ويبدو أن نوائب الدهر قد شحذت عبقريته ففي مقابل كل تلك الضغوط أخذ يتسلى في عزلته ويعالج ما أصابه من حزن وأسى وخيبة رجاء بالتأليف وقد شهدت هذه الفترة تقديمه لمجموعة من أثمن أعماله الأدبية وكان كتاب (الثورات المقارنة) الذي ظهر سنة 1797 بإنجلترا أول مؤلَف له وسبب في ذيوع اسم (شاتوبريان) وسط المهاجرين بلندن . كان بمثابة محاولة تاريخية – سياسية – أخلاقية، تحدَّث فيه عن الثورات القديمة وعلاقتها مع الثورة الفرنسية[2]، كما حاول من خلال عرض الانقلابات المشابهة التنبؤ بالنتائج التي يمكن أن تحققها الثورة الفرنسية؛ فدراسة لتاريخ اليونان مثلا تكشف أن معظم الشعارات الحديثة كانت مألوفة في العالم القديم وكأن الإنسانية تتحرك في دائرة مغلقة وبالتالي فعلى الأرجح أن الثورة الفرنسية ستنهار كبقية الثورات الأخرى وسيثبت التقدم مرة أخرى أنه وهم من الأوهام التي تخالج عقول أنصاره.[3] لكنه قدَّم في هذا العمل محاولة لا تعدم حسا تاريخيا أصيلا رغم تلك المسحة الدينية المسيحية التي لا تخلو من تعصب، فكتابه يمتاز حسب (علي أدهم) بـــ: "ابتعاده عن النزعات الحزبية مع أنه كان من الأشراف وكان مهاجرا".[4] ويرى الأستاذ (محمد حسني عبد الله) أن (شاتوبريان) قد: "ناقض في هذه الرسالة المذهب السياسي للملكية وهو المذهب الذي اشتهر به فيما بعد ولجأ به نابليون ونادى به على رؤوس الأشهاد عند الاحتفال بعضويته في المجمع اللغوي."[5]

لم تطل فرحة (شاتوبريان) بكتابه فما لبث أن وصلته أخبار مؤلمة من باريس حملتها إليه أخته (جولي) وفيها أن والدته قد توفيت وأنها كانت شديدة الحزن كسيرة الخاطر لاطلاعها على الآراء الإلحادية في رسالته عن الثورات ، وتتجمع أسباب كثيرة حفزَّت (شاتوبريان) على الدفاع عن الديانة المسيحية فوفاة والدته ثم شقيقته سببَّ له اضطرابا جعله مشوَّشا بفكرة العفو كما تصدى للرد على الفلاسفة الذين وسموها بالتفاهة فمثلا كان ظهور القصيدة الإلحادية للشاعر (بارني) في كتابه (حرب الآلهة) دافعا كي يكتب رسالة عن النواحي الأخلاقية والشعرية الجميلة في الديانة المسيحية والتي شكَّلت الأساس لكتابه الذي اشتمل على مجلدين: (عبقرية المسيحية) (Génie du christianisme ou beautés de la religion Chrétienne).

---

[1]- Jules Bertaut: La vie privée de Chateaubriand, p:68.

[2]- Pierre Reboul: Chateaubriand (Atala / René) - Chronologie et préface, p:33.

[3]- علي أدهم: شاتوبريان - الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. مجلة العربي. ع 226. رمضان 1397 - سبتمبر 1977. ص:90.

[4]- نفسه. ص:90.

[5]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص ص:14 - 15.

اغتنم (شاتوبريان) وعود نابليون بالاعتدال والتسامح وعاد إلى باريس متخفيا عن خصومه الثوار وبلسم مستعار هو (دي لاسان) ليطلع عليهم هو والقرن الجديد معاً[1]، وبسرعة أصبحت (أليزا) شقيقة نابوليون بونابرت والتي نشر من أجلها دراسة عن صديقتها المنظّرة الرومانسية الشهيرة (مدام دي ستايل) حاميته. ظهر له في السادس (06) من شهر مايو للسنة نفسها (1800) المجلد الأول من (عبقرية المسيحية)، وقد أقبل الجمهور على قراءته وقدَّره وأُعجب به وراقه إحكام أسلوبه وبلاغة عباراته وإشادة المؤلف بالنواحي الجذّابة في الديانة المسيحية . وإن كان ظهوره في هذه الفترة لا يخلو من الخطر لأن اليعقوبيين ما زالوا يرفضون العودة إلى حظيرة الدين ، وقد صادف موقف (شاتوبريان) المعادي للثورة هوى في نفس (بونابرت) الذي كان يعمل حينها على المصالحة بين الدولة وكنيسة روما فاختاره لمرافقة خاله الكاردينال (فيش) إلى روما بتعيينه سكرتيرا أولا في سفارة فرنسا هناك. ولأن إيطاليا كانت وقتذاك نافذة مشرَّعة على الشرق فقد استطاع (شاتوبريان) إرواء شغفه بالشرق وسحره فكان يبدو أنه في مستهل مستقبل لامع سواء في الأدب أو في الشؤون العامة.

بعد ما شن (نابوليون) حملة 1801 لتصفية أنصار الملكية السابقة استقال شاتوبريان من منصبه وعاد إلى باريس متفرغا مؤقتا للكتابة مجتهدا في عدم الاصطدام بديكتاتور الثورة الجديد [2] فيما سمح له الاستقرار النسبي وموائمة الجو السياسي والاجتماعي من طبع (أتالا) وخلال أشهر قليلة أتم ما بدأه في إنجلترا فكان تقديم (عبقرية المسيحية) كاملا للطبع في طبعته الأولى بتاريخ الرابع عشر (14) أفريل 1802. وعند صدور في الطبعة الثانية من الكتاب سنة 1803 اكتشف القراء قصة (رنيه)[3]، وقد تم فصل القصتين سنة 1805 في كتاب واحد تحت عنوان (أتالا ورنيه). لقيت تجربته القصصية قبولا عاما وأقبل الجيل الناشئ على قراءتها واشتدَّ إعجابه بها حتى طُبعت أكثر من عشر طبعات بين سنتي 1801 و 1805 وترجمت إلى اللغة النمساوية والروسية، وإن تلقى كثير من النقاد قصة (أتالا) بالتنقص وعابوا عليها ما فيها من غموض ومبالغة ومجافاة للعقل والذوق كما تعرضت لنقد شديد من الأب (موريلليه) فذلك لون من ألوان اختلاف أحكام النقاد في تقدير الطرائق الأدبية والمبتكرات الفنية وقد جاء (شاتوبريان) نفسه في مذكراته على هذا التأرجح في النجاح الذي عرفته القصة فيعترف بأن الجيل القديم نبذها ولكن الجيل الصاعد رحَّب بها.[4]

وإن ظفرت قصة (رنيه) بنجاح عظيم ونالت من الشهرة أكثر من (أتالا) فلعل السبب يرجع إلى عنوان القصة نفسه الذي هو اسم المؤلف، ثم إن بطل القصة (رنيه) نشأ مثل (شاتوبريان) في مقاطعة (بريتاني) حيث أمضى سنواته الأولى كما تقترب شخصية شقيقة بطل القصة (إملي) من (لوسيل) شقيقة (شاتوبريان)، على أن السبب الأكبر قد يعود إلى ذلك التطلع الغامض غير المحدود إلى مثل أعلى غير واضح

---

[1] - François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, Chap.16, p:367

[2] - Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris n° 250, février 1988, p:64.

[3]- Pierre Reboul: Chateaubriand (Atala / René) - Chronologie et préface, p:10.

[4]- François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, Chap.16, p:36.

المعالم الذي تعكسه القصة. ويصرِّ الناقد (سانت بيف) وغيره من النقاد أن (شاتوبريان) قد مهَّد السبيل بـ (رنيه) إلى ظهور هذا النوع من الحزن الساحر الرقيق الذي غلب على كثير من ا لنفوس في أوائل القرن التاسع عشر وأطلق عليه اسم (مرض الجيل) إلاَّ أن بعض مؤرخي تلك الفترة من الزمن رأوا أن أعراضه كانت سابقة للقصة حيث بدأت بوادره تبرز قبل الثورة الفرنسية فيما ردَّ فريق من المفكرين هذه الحالة واستفحالها إلى ما أصاب التقاليد الاجتماعية والأخلاقية من تصدع وانهيار و لم طرأ على العقيدة الدينية من ضعف وتغلُّب لنزعة التشكك.[1] لكن الأكيد أن (شاتوبريان) قدَّم لجيله بطلا قوميا يستميل قلوب الشباب الفرنسي ويثير عطفهم في مقابل (بورتر) الألماني في (آلام فرتر) لـ (جوته) والطفل الإنجليزي (هارولد) لـ (لورد بايرون) ورسائل (وبرمان) لـ (سنانكو).

أُوكلت إلى (شاتوبريان) سنة 1804 مهمة تمثيل فرنسا على مقربة من جمهورية (الفالي) ولكنه سارع إلى تقديم استقالته في نفس السنة بعد إبعاد الدوق (D'Enghiem)، وبعدها بسنتين صدر له كتاب (رحلة إلى الجبل الأبيض) حتى كان يوم 13 جويلية 1806 وانطلاقه في رحلة إلى الأراضي المقدسة ، ولمَّا لم يكن حضوره مرغوبا فيه من طرف شرطة الإمبراطورية الأولى عند عودته إلى باريس يوم 05 جوان 1807 [2] فقد استقر في (La vallée au loup) بالقرب من (Hameau d'Aulnay) بجوار (Seaux et de chatenay) إلى أن اختير عضوا بالأكاديمية الفرنسية يوم 20 يناير 1811 في المكان الذي خلا بوفاة (اندريه شينييه)[3] وهي السنة التي بدأ فيها كتابة (مذكرات ما وراء القبر) لذلك فهو يعتبرها كما جاء في مقدمة (الدرب من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس) من أهم سني حياته. ولمَّا جرت العادة أن يلقي كل عضو جديد في الأكاديمية الفرنسية خطابا يعرض فيه لأفكاره وأطروحاته التي أهَّلته لهذا المنصب العلمي الرفيع فقد ارتأى (شاتوبريان) أن يكرِّس خطابه للحديث عن الفن والإبداع والدفاع عن الحرية السياسية لكنه أشار إلى ذكريات عن الثورة ضايقت (نابليون) ولما رفض أن يعدِّل في خطابه تأخَّر دخوله الأكاديمية إلى حين عودة الملكية وقد كان له من خلفه في الأكاديمية السيد (دو نواليس) كلمة ثناء في خطابه التقريظي. عُيِّنَ سنة 1814 سفيرا لفرنسا بالسويد وعُرف آنذاك بميوله للملكية وأسرة (بوربون) التي ستعود إلى الحكم[4] كما كتب في السنة نفسها رسالة شديدة اللهجة عن (نابوليون). وبعد سقوط الإمبراطورية بتنازل (نابليون الأول) عن عرشه[5] وعودة الملكية (الإصلاح 1814- 1836) تم تعيينه في السابع (07) من جوان 1815 في غرفة فرنسا (pair) كما شغل في السنة نفسها منصب سفير فرنسا في برلين ثم سفير فرنسا في انجلترا و لم يمنعه ذلك من كتابة رسالة في نقد النظام الملكي بعدما أقدم الملك سنة

---

[1]- علي أدهم: شاتوبريان الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. مجلة العربي. ع 226. رمضان 1397 هـ الموافق لـ سبتمبر 1977م. ص:89 - 90..

[2]- Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

[3]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939 م. ص ص:14- 15.

[4]- علي أدهم: شاتوبريان الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. مجلة العربي. ع 226. رمضان 1397 هـ الموافق لـ سبتمبر 1977م. ص:88.

[5]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي.. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص:11.

1815 على حل المجلس الاستشاري، ما حوَّله إلى صف المعارضين واستمر ذلك إلى غاية 1820 وهي السنة التي شهدت وفاة الدوق (دى بري) الذي كتب عنه مذكرات مثيرة للاهتمام.[1] وقرَّبه موت هذا الأخير من البلاط فنجح بإخلاص من الملك (لويس الثامن عشر) أن يشغل منصب وزير خارجية فرنسا بين سنتي 1822 – 1824[2] وقد سرّاهم من مكانه هذا في إنهاء الحرب الأهلية الإسبانية بين الجمهوريين والكتائب الفرنكفونية، يقول شارل دانتزيغ (Charles Dantzig) : "شاتوبريان هو الكاتب الوحيد في السلطة الذي قام بشيء ما؛ وهذا الشيء كان حربا: حربي في اسبانيا "[3]

ظهر كتاب(حرب إسبانيا) سنة 1823.[4] وفي السنة الموالية (1824) أعلن خصومته لوزارة (فيلليل) ليسجل بذلك عودته إلى صفوف المعارضة . وأكسب دفاعه عن حرية النشر ووقوفه إلى جانب استقلال اليونان في جريدة (البيان) شعبية كبيرة. وبعد سقوط وزارة (فيلليل) سنة 1828 اختير سفيرا لفرنسا بروما ولكنه قدَّم استقالته بقدوم وزارة (بولنياك) ولَّما كانت ثورة الأيام الثلاثة سنة 1830 تم استبعاده عن الحكومة بسبب موقفه المعارض للملكية الجديدة ووفاؤه لـ (شارل العاشر). اعتزل بعدها (شاتوبريان) الحياة السياسة مكتفيا بكتابة بعض المقالات في الصحف انتقد فيها الحكومة الجديدة موزِّعا وقته بين بعض الأعمال الأدبية وزياراته لصديقته القديمة (مدام ريكاميه). بعد تخلي (لويس فيليب) عن الحكم تم إعلان الجمهورية الثانية في 25 فيفري 1848 وينتهى (شاتوبريان) إلى الندم على كم السنوات التي أضاعها في الوزارة!: " نادم على السياسة؛ بوربوني بشرف، ملكي بحجة واقتناع، أنا جمهوري عن ذوق وطبع."[5]

ويتنازل في مقام آخر عن كل هذه الاهتمامات:"يلتهم معتقدي الديني كلما كبر اعتقداتي الأخرى."[6]

ولـ (برتراند أرو) رأيه في اختيارات (شاتوبريان): "بين الملكية والجمهورية، فرنسا والعالم، التقاليد والحداثة، لا يحرر شاتوبريان فكره ولو قليلا للمتابعة، بل يدع نفسه يقتنن بمسيرة التاريخ."[7] لكن حياة (شاتوبريان) لم تنته هنا فقد سافر سنة 1845 إلى البندقية وبعد عودته من هناك أقام لبعض الوقت في مرسيليا وفي طريقه إلى باريس سنة 1846 تعرَّض لحادث سيارة. توفيت زوجته يوم الحادي عشر (11)

---

[1]- Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:61.

[2]- الموسوعة العربية العالمية.14.ش. ص:08.

[3]- «Chateaubriand est le seul écrivain au pouvoir qu'ait fait quelque chose; est ce quelque chose est une guerre : ma guerre d'Espagne.»

Charles Dantzig: Les écrivains Français racontés par les écrivains qui les ont connues. Choix, notice et préface. Les Belles Lettres. Paris, 1995, p:185.

[4]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature française et francophone, p:165.

[5]- «Nous regrettons la politique ; Bourbonien par honneur, Royaliste par raison et par conviction, je suis républicain par goût et par caractère.»

Jules Bertaut: La vie privée de Chateaubriand, p:03.

[6]- «Ma conviction religieuse en grandissant a dévoré mes autre convictions.»

نفسه. ص:178.

[7]- «Entre le roi et la république, la France et le monde, la tradition et la modernité, Chateaubriand ne jette pas d'exclusivité tout en remâchant un peu à la suivre, il se laisse volontiers séduire par l'histoire en marche.»

Charles Dantzig, Les écrivains Français racontés par les écrivains qui les ont connues. Choix, notice et préface, p:209.

فيفري 1847 وكان الرابع (04) من جويلية سنة 1848 تاريخا لوفاته[1] لتتبعه صديقته الدائمة (مدام ريكاميه) سنة 1849.

مات (شاتوبريان) مسنا مريضا على حافة الفقر[2]، وقد نقل (فكتور هوغو) الذي بقي على اتصال وثيق به صورة عن حالته الصحية التي سبقت وفاته فكتب في أشيائه المرئية: "توفي السيد (شاتوبريان) يوم الرابع (04) من جويلية 1848، في الثامنة صباحا. كان مصابا بشلل منذ خمس أو ستة أشهر عطّل دماغه تقريبا، ومن تورم في الرئتين منذ خمسة أيام أطفأ حياته بغتة."[3]

تم دفن (شاتوبريان) على صخرة (Grand Bé) بـ (سان مالو) مقابل المحيط الذي شهد ولادته[4] وذلك امتثالا لوصيته التي كتبها أواخر حياته وأودعها بلدية (سان مالو)، وقد سُجِّل على قبره:

"كاتب فرنسي كبير

أراد أن يستريح هنا

كي لا يستمع إلاَّ للبحر والريح

المارة

احترموا رغبته الأخيرة"[5]

كان (شاتوبريان) يرى أن الشعوب تبدأ بالشعر وتنتهي بالرواية[6]، وقد عدَّه كثير من النقاد أبا للنثر الفرنسي[7] والمؤسس الحقيقي للرومانسية الفرنسية مقابل (غوتيه) الألماني و(لورد بايرون) البريطاني وكلاهما كان معاصرا له. كتب الأستاذ (محمد حسني عبد الله): "لقد استُحدثت طريقة جديدة في الأدب الفرنسي هي الطريقة الابتداعية التي اكتشفت مستهل القرن التاسع عشر وأخذت مكانها وامتازت بإحكام الأسلوب وسعة الخيال وعمق الأثر!"[8]، ويشهد المؤرخ البريطاني الكبير (ج.ب. جوش) لـــ (شاتوبريان) بالسبق فيرى فيرى أن سنوات حكم (نابوليون) كانت سنوات جدب أدبي وأن كتابات (شاتوبريان) أطلقت ينابيع العواطف ووسَّعت آفاق الخيال وأنمت الحاسة التاريخية إذ يرجع الفضل في ازدهار الدراسات التاريخية بفرنسا بعد الثورة إلى (شاتوبريان) قبل أي إنسان آخر، ويبقى فتحه لأبواب العصر الوسيط هو أعظم ما أداه للتاريخ ثم إنَّه أكمل في الأدب رسالة (روسو) و (برناردين دى سان بيير). ولم يبتعد الأستاذ (عامر

---

[1]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature française et francophone, p:185.

[2]- نفسه. ص: 188.

[3]- «M.de Chateaubriand est mort le 04 juillet 1848, à huit heur du matin. Il était depuis cinq ou six mois atteint d'une paralysie, qui avait presque éteint le cerveau, et depuis cinq jour d'une fluxion de poitrine qui éteignit brusquement la vie.»
Charles Dantzig: Les écrivains Français racontés par les écrivains qui les ont connues. Choix,notice et préface, p:188.

[4]- Jean D'Ormesson: Une autre histoire de la littérature française. Septième édition. Points. Paris, 1997, p:39.

[5]- Un grand écrivain français
A voulu reposer ici
Pour n'entendre que la mer et le vent
Passant
Respecte sa dernière volonté
Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:65.

[6]- د. مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي. القصة - الرواية - السيرة. ج 03. الإسكندرية: منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، طباعة: مطبعة عصام جابر.دت. ص:13.

[7]- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ط 07. ص:134.

[8]- محمد حسني عبد الله،: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939 م. ص:11.

محمد بخيري) عن هذا المعنى حين أقرَّ بما يلي: "كانت الكأس القوية للرومانتيكية الجديدة تفور ويثور حبابها من حوله وقد أصبح شاتوبريان وفكتور ه وغو بمآسيهما العظيمة وخيالهما الطليق ومقطوعاتهما الأرجوانية أكبر الشخصيات المعترف بها في عهدهما."[1]

ولعل تجربته مع الحياة أهَّلته لأن يكون رومانسيا من الصنف الأول و قد عكس كثير من كتاباته وقصصه التي دارت أحداثها في تضاعيف من مشاعر الملل والوحدة والحزن العميق جوانب من حياته. وكان أن ابتكر شخصية محورية في الأدب الفرنسي هي شخصية البطل الذي لا يجد في العالم من يفهمه ولا يجد أنيسا في وحدته فيتجه لاجترار آلامه واختلاق عوالم خيالية وابتداع عالم من السحر والأحلام بديلا لكل ما هو قائم.

أحب (شاتوبريان فرانسوا أوغست (رينيه) فيكونت دو) المفكر (جان جاك روسو) كثيرا وانغمس في فكره واستطاع أن يمسك بلب هذا الفيلسوف الذي ربط بين التقدم المادي والحصانات الأخلاقية متخذا من السفر والتأمل طريقا يعد به صياغة نفسه وتقديم تصوُّر مضاد للعنف والتخلف. فمتى تم يا ترى أول لقاء بين (شاتوبريان) وكتب (روسو)؟ يرد (مارك فوماورولي) تاريخ قراءة (شاتوبريان) لـ (روسو) إلى بداية مرحلة الشباب خاصة في الفترة التي امتدت بين سنتي 1781 و 1789 وهي الفترة التي أضحت فيها كتب (روسو) كالإنجيل لجيل (شاتوبريان) يلتهمونها التهاما إذ كانت رائعة الآداب الفرنسية آنذاك.

ظل (شاتوبريان) يعتبر (جان جاك روسو) أستاذه ومعلمه ويعترف أن أفكاره عن الحياة والسياسة والتربية والدين هي من شكَّل وعيه وجعل منه ما هو عليه الآن. والواقع أن (شاتوبريان) يقول (مارك فوماورلى) قد فهم فكرة (روسو) الأساسية والتي تكمن في اعتقاده بوجود تناقض مطلق بين براءة إنسان الطبيعة وصدقه ونفاق إنسان المجتمع الفاسد و تصنُّعه وازدواجيته، كما تعلَّم منه يضيف (فوماورلى) معنى الكتابة الموَّلهة والرومانطيقية واعتمد عليه في محاربة فلاسفة التنوير المضادين للمسيحية فروسو الذي أعاد للعاطفة الدينية السامية صفاءها وعمقها رغم تألُّب المسيحيين الأصوليين عليه ومضايقتهم له كان رسول الديمقراطية الطبيعية التي تحارب كل تقدم مادي لا يرافقه تقدم روحي أو أخلاقي وهذا ما يميِّزه عن فلاسفة التنوير الآخرين من أمثال فولتير وديدرو وجماعة الموسوعيين بشكل عام. ومن الممكن في تقدير (مارك فوماورولي) أن تكون (مذكرات ما وراء القبر) لـ (شاتوبريان) تقليد لـ (اعترافات) معلمه (روسو) وهذا لا يعني أبدا أنها تقل عنها بل إنها أكثر روعة في بعض الأحيان.[2] ويوافقه الأستاذ (محمد حسن) الرأي فهي في صراحتها صراحتها وصدقها: "أشبه باعترافات جان جاك روسو."[3]

---

[1]- عامر محمد بحيرى: الرومانتيكية - الإفراط. مجلة الثقافة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. السنة السابعة، ع 356. الثلاثاء ذي القعدة سنة 1364 هـ الموافق لـ 23 من أكتوبر 1945م. ص: 23.

[2]- مارك فوماورلي: شاتوبريان الشعر والرعب. ص:19.

[3]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768- 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص:97.

عُني (شاتوبريان) بالشؤون العاطفية ويندر أن يعثر الباحث في تاريخ الأدب عامة والأدب الفرنسي خاصة على كاتب يطلق لسانه بالحب في نثر أو نظم يبقى على طول الدهر ثم يجمع إلى ذلك خصائص السياسي المحنّك وطبع رجل الدين المفطور على التدين المحتفل به المتوفر على مراعاته والتزام قيو ده والانصراف إلى البحث في علومه . نعم لقد جمع (شاتوبريان) كل هؤلاء في شخصه ؛ فهذا الذي صرف حياته مشغول القلب بالغيد الحسان لا يكاد يقنع بواحدة دون واحدة ولا يعف عن حبهن حتى مع الكبر يحوي بين برديه عالما يضع مؤلفا بارعا مثل (عبقرية المسيحية) وسياسيا خطيرا وصل من الفاقة والعوز إلى مناصب السفارة والوزارة.[1] ونرى أن من كانت نفسه من هذا الخليط أن تكون حياته بشتى الألوان الفنية عامرة بما يثير الفضول ويدفع إلى الاهتمام وفعلا فإنتاج الرجل الأدبي يعُجز كثيرا من فحول المنصرفين إلى الأدب وحده . يختصر (فكتور هوغو) إعجابه الكبير بـــ (شاتوبريان) في هاته العبارة : "إمَّا أن تكون شاتوبريان أو لا تكون."[2]

اعتبر (شاتوبريان) النساء مثل الرياحين والأزهار والورود لكل منهن شذى خاص ونفحات مميزة ونشر متباين وأشكال وألوان هي بذاتها نا قصة وبمجموعها يكمِّل بعضها بعضا ويتألف منها الكل الفني الذي لا غنى عنه للأديب الفنان حتى يحلِّق بفنه إلى السمو والإبانة ورفاهة الأسرار[3]، وكان يلجأ عندما لا يوفقَّ في تحقيق طموحه واقعا إلى الخيال ومنها ابتكاره لعشيقة خياله (Culuta). فجاء حكم (سانت بوف) كعادته قاسيا: "شهواني له خيال كاثوليكي."[4]

خاض (شاتوبريان) غمار الكثير من العلاقات الغرامية يافعا فشابا فرجلا فشيخا، إذ كلما أراد إقامة حب لم تتوافر فيه شروطه المثالية نفض منه يديه وقد استطاع الجمهور أن يقف في مذكراتهعلى تقلبه في الهوى. لكن يبدو أن (جولييت ريكامييه)كانت أكثرهن تأثيرا : " أعتقد أن كل من أحببتهن كان فيهن من السيدة ريكامييه وأنها كانت الباعث الخفي لعلاقاتي ."[5] وقد تحلى (شاتوبريان) إلى ذلك بدماثة الخلق وحسن المعشر وجمال المظهر واستمر بتلك الهمة طيلة حياته، تصفه (هورتنس ألار) وهي إحدى من ارتبط معهن بالحب: "كان جميلا، أنيقا ، رشيقا، مُفرط العناية بهندامه ولا يغفل أن يضع زهرة ناظرة في عُروة ردائه، وكانت ابتسامته الساحرة وثناياه الساطعة تحجب عنَّا بلوغه العمرين."[6] ومع أن الزمام أفلت منه مرة وارتبط برباط الزوجية الدائم من امر أة لم يكن عنها جِد راض وعلى الرغم من تندمه فقد كان يبالغ في

---

[1]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768- 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939 م.. ص:11.

[2]- «Etre Chateaubriand ou rien»

حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوره ونشأته. ص:151.

[3]- نفسه. ص:13.

[4]- «Un épicurien qui avait l'imagination catholique.»

Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:36.

[5]- «Il me semble que tout ce que j'ai aimé, je l'ai aimé dans Mme Récamier, et qu'elle était la source cachée de mes affection.»

François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, Chap.11, p:121.

[6]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص: 13.

معاملتها بالحسنى حتى إنه أنساها لفرط كياسته وأدب نفسه أنه الزوج الذي لا يُؤمن جانبه. لكن تقلباته تلك لا تذهب دون جزاء فمن استعصت عليه آماله وتعسَّرت مطالبه يكون بغير شك عرضة لليأس وخيبة الأمل المرة تلو المرة وعليه غرضا للأحزان وهدفا للأشجان، فمثله كما قيل في الشعر العربي:

فإنَّك واطِّراحك وصل سـلمى لأخرى في مودتها تكوب

كناقبة لحلي مستعار لأذنيها فشأنهما الثقوب

فأدَّت حلي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب[1]

كان (شاتوبريان) وفيًّا لمعتقداته معتزا بشخصيته وإبائه وكرامته حتى رُمي بفرط الكبرياء والاعتداد بالنفس بل والغرور كما كان معارضا سياسيا شجاع: " كان دائما في صف المعارضة كي يتنصل من كل

فضل أو أي مجد أخر غير مجده."[2]

وقد أضر به هذا السلوك وأقام في طريقه الكثير من العقبات وعرَّضه للخصومات والعداوات؛ فسجنه الملك (لويس السادس عشر، 1774 - 1792) ونفاه الإمبراطور (نابليون الأول، 1804 - 1815) من باريس وأقاله من وزارة الخارجية (لويس الثامن عشر) ولم يحسن (شارل العاشر) معاملته. ولعل الخطأ يعود إلى تكوينه فهو لا يحُسن إلا الإفادة من الجد المواتي ولا يأنس بما يُعنى به غيره من الناس ولا يعتقد إلا الدين وراعيا كان أم ملكا فما كان ليفرق بين العصا والصولجان وعاطلا كان عن المجد أم مطوقا به فهو زاهد فيه راغب عنه.[3] وكان يواجه الحياة في شدَّتها ولينها بفلسفة خاصة ومن كلماته التي لا تُنسى: "في الرخاء يظهر الحظ وفي الشدة تظهر العظمة."[4] وبذلك جمع في شخصه بين مميزات الكاتب القدير المخلص في أداء رسالته وبين الدبلوماسي البارع الحريص على كرامته، فلم يتردد في الإدلاء بمواقفه حتى لو تعارضت مع سياسة رجل كالإمبراطور (نابوليون) وقد كتب بعد عودته من أمريكا كيف أنه: "رأى هناك رجلا – الرئيس الأمريكي آنذاك (جورج واشنطن)– نصب نفسه خادما، وهو يلعب هذا الدور لقاء فائدة يجنيها للصالح العام؛ فهو يتصرف في أعماله بتؤدة وحزم ويحكم شعوبه الصغيرة بينما يحميها بسياج من عظمته ويمنح الحرية لأمة تطلبها ومثل هذا الرئيس لا ريب يعيش محاطا بالحب من الجميع ويموت مشيعًا بالأسف من العالم كله لا من أمته فقط. أما (بونابارت) فتوَّاق إلى التفاخر لا يضيره أن يسلب شعبا ما حريته في سبيل مجده وعظمته، وقد بنى شهرته على بضعة انتصارات حربية ثم فقد هو أيضا حريته في ميدان القتال ولم يترك وراءه من مآثره سوى المجد المكتسب بثمن حريات الشعوب، فهو كشلال يحفر لنفسه قاعا بين

---

[1]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر سنة 1939م. ص: 12.

[2]- « Il a toujours été de l'opposition, pour renier tout service reçue ou toute gloire autre que la sienne. »

Henri- Frédérique Amiel: Fragments d'un journal intime.

[3]- François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T.11, p:213. (بتصرف)

[4]- نفسه. ص:88.

الصخور ثم يجف في فصل الصيف."[1] يقول (فيكتور هيغو): "إنَّه وفي الوقت الذي انحنت أوروبا جميعها أمام نابليون كان شاتوبريان أحد الشعراء والمفكرين القلائل الذين وقفوا منتصبي القامة. ولم يكتف نابوليون بانتصاراته على الدول التي غزاها بل حاول كذلك غزو شاتوبريان لكنه عجز عن ذلك، إن شاتوبريان لم يكن ليجهل عظمة نابليون أو يُنكر بطولته ولكنه أبى مسايرته والانضمام إلى حاشيته حينما أبطرته السلطة وأحالته حاكما مستبدا طاغية."[2]

آثاره الأدبية:

تختصر أغلب أعمال (شاتوبريان) واقع تجربته ودوران أحداثها: " دون الكتاب الفرنسيين المعاصرين لعلني كنت الوحيد الذي أشبهت أعماله الحياة."[3]

كانت صلته بالكتابة أوكد وأوثق كلما كان الفصل ساكنا حزينا؛ ففي الشتاء إذ يستعصي التقارب ويعز التواصل والتزاور بين أهل القرية أحس أنه صار بالانفراد أصفى فكرا وأهنأ بالا، كما أغرت زياراته إلى عدد من الأقطار ثقافته فيما أعانته تجاربه على إنتاج غزير مختلف التصانيف، وكأنَّما: "ما لم يستطع أن يهزمه بالسيف هزمه بالقلم."[4] وقد تركَّزت كتابات (شاتوبريان) بصفة عامة حول ثلاثة مواضيع أساسية برزت في جميع كتاباته الرئيسية هي: المسيحية والطبيعة وذاتيته كان اهتمامه بالمسيحية جماليا أكثر منه دينيا إذ حاول أن يعيد إليها مكانتها الأدبية والفنية بعد عصر النهضة الميثولوجيا الوثنية وتجلى ذلك بوضوح في مؤلفه (عبقرية المسيحية): " يرجع الفضل في الاستقبال الرائع الذي حظي به الكتاب من قبل الجمهور إلى الأسلوب وروح المؤلف أكثر منه إلى صرامة حججه."[5]

يتألف (عبقرية المسيحية) من أربعة أجزاء:

الجزء الأول في العقيدة والمذهب.

الجزء الثاني في الشعر. ولعله أكثر أجزاء الكتاب جدَّة وخصوبة.

الجزء الثالث في الفنون والأدب.

الجزء الرابع في العبارة.

ووجد ككل الابتداعيين في الطبيعة سلواه وعزاؤه يبثُها نجوى نفسه وأحزانه وجاء تصويره ذاتيا ممزوجا بإحساس مستمر بغموضها وتميَّز وصفه بالتوهج وغنى الألوان. لكن الموضوع الذي شغل (شاتوبريان) باستمرار هو (شاتوبريان) نفسه وقد خصَّ نفسه بمؤلف ذي شأن أطلق عليه : (مذكرات ما وراء القبر).

---

[1]- حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوره ونشأته. ص:121 (يتصرف).

[2]- علي أدهم: شاتوبريان الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئبا. مجلة العربي. رمضان 1397 هـ الموافق لـ سبتمبر 1977م. ع 226 .ص:87.

[3]- « Des auteurs modernes français de ma date, je suis quasi le seul dont la vie ressemble à ses ouvrages. »

فرانسوا - رنيه دو شلتوبريان: مقطع من مقدمة ذكريات ما وراء القبر. الأعمال الكاملة.

[4]- «Ce qu'il n'a pu vaincre par l'épée, il vaincre par la plume. »
Jules Bertaut: La vie privée de Chateaubriand., p:68.

[5]- «L'excellente réception du livre par le public le doit plus au style, et à l'esprit de l'auteur qu'à la rigueur de ses arguments. »

http://www.wikimedia.fr

باشر كتابته سنة 1811 أي في سن الثالثة والأربعين (43) ولم يتوقف عن العودة إليه إلى غاية سنة 1841 أي في سن الثالثة والسبعين (73)[1]، وهي فترة تقارب الثلاثين سنة. أما سبب التسمية فتعود إلى أن الكاتب كان قد اشترط على ناشريه الذين كان يكتب لهم تحت وطأة الدَيْن والحاجة[2] بعدم نشر المذكرات إلا بعد وفاته،

ووفقا لرغبته تم له ذلك أولاً كحلقات متسلسلة بالصحف في الثاني (02) من أكتوبر 1848 أي بعد وفاته بقليل ثم في أجزاء بين الفترة الممتدة من جانفي 1849 إلى أكتوبر 1850[3] ليُنشر كاملا في سبعة مجلدات سنة 1899[4] أما آخر وشهد طبعته المئوية سنة 1949. كانت تلك المذكرات بمثابة ملحمة روح وزمن[5] قدَّم فيها (شاتوبريان) سيرة ذاتية ملحمية ضخمة حلَّل فيها من عمق رمسه نصف قرن فاصل من تاريخ فرنسا انتقلت فيه من الطابع الريفي إلى مجتمع متحرك منفتح على العصر الصناعي. وقد مارست هذه الترجمة الذاتية ولا تزال سلطة واسعة واعتبرت من أكثر أعماله شهرة وعادة ما وصفت بأنها أحسنها.[6]

يظهر أثر وحشة (شاتوبريان) وضيق صدره بالحياة جلياً في معظم مؤلفاته وكان يتلذذ على طريقة الشاعر الإنكليزي الابتداعي (بايرون) بعرض تشاؤمه المُغرق في الانطوائية والتغني به!! وقصة (رينيه) بآلامها لم تكن في تقدي كثير من مؤرخي الآداب مجرد تصوير روائي يزخر بالحوادث بل هي صورة عن حياته وتحليلا لنزعاته فيما يرى الناقد الكبير (سانت بيف) أن (شاتوبريان) قد نجح من خلال (رنيه) في تقديم طرفة فنية مثالية اشتملت على محاسنه وعيوبه معا.[7] تقع حوادث القصة في إقليم (لويزيانا) بأمريكا حيث لاذ (رينيه) الفرنسي إلى كنفه معتزلا بين جلدته استحاشا من المدينة وأملا في راحة النفس بالعيش على الفطرة بين الهنود الحمر والخلاص من آلامه التي لا يعرف لها سببا بالعودة إلى الطبيعة ، لكن آلامه لا تنفك تلاحقه فينقلب رحب الدنيا ضيقا . وإن كانت (رينيه) جزء من التاريخ الشخصي لـ (شاتوبريان) حمَّلها همه وشجنه وما أثقله من نضب فهي أيضا تاريخ عصر بأسره إذ استطاع عبر مواجع (رينيه) أن يصوِّر ببراعة العلة النفسية التي مُني بها مستهل القرن التاسع عشر داخل فرنسا وخارجها وأطلق عليه (مرض العصر) أو (مرض الجيل).

إلى جانب أعماله المنفردة طُبعت أعماله الكاملة عدَّة طبعات لعل تلك الصادرة عن دار النشر:

- [Avocat, en 31 vol. In - 8, Paris (1826 - 1831)] كانت أحسنها حيث قام (شاتوبريان) بمراجعة

---

[1]- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ط 07. ص:171.

[2]- نفسه. ص: 171.

[3]-Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:59.

[4] Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature française et francophone, p:165.

[5]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraire français du dix- neuvième siècle. Librairie Hachette. Paris,1966, p:132.

[6]- الموسوعة العربية العالمية.14. ش. ص:08.

[7]- محمد حسني عبد الله: من تاريخ الأدب الفرنسي. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (1768 - 1848). مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 41. الثلاثاء 26 شعبان سنة 1358 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر 1939 م. ص ص: 12-13.

هذه الطبعة وألحقها ببعض الإيضاحات والتفسيرات والآراء النقدية كما أغناها ببعض من أعماله الغير مطبوعة مثل (مغامرة آخر ابن سراج، 1811)، (الناتشيز، 1800)، (موسى) إضافة إلى أشعار متنوعة وخطابات سياسية. وزوَّد الطبعة التالية [(1838 -1863) ,CH Goselin, 35 vol. In - 8] بمجموعة جديدة من أعماله: مؤتمر فيرون، تجربة على الآداب الإنجليزية، ترجمة الفردوس المفقود لـ (ملتون).

وفيما يلي قائمة بأعمال كتبها خلال فترات متفرقة من حياته:

فترة شبابه المؤلمة (les adieux de la jeunesse 1797 - 1768)، كتب (تجارب على الثورات ، 1797) ونشه شكواه وأوجاعه.

فترة مسيرته الأدبية (1798 – 1813)، سجَّلت عودته إلى الدين وانعكس ذلك على كثير من أعمال تلك الفترة نحو: (أتالا، 1801) – (رينيه، 1802) – (عبقرية المسيحية، 1802) – (الشهداء أو انتصار الدين، 1809)، وهذا الأخير عبارة عن رواية تاريخية تبجِّل المسيحية على حساب الوثنية تقُصي فيها فضائل المسيحية هالة رقيقة على الصورة التي قدَّمها . وقد أثَّر الكتاب في كثيرين ولعل المؤرخ (ميسو) يأتي في طليعة من تأثروا به ويختصر في كتابه عن تاريخ الحروب الصليبية [1] (الشهداء) بهذا التعريف: "إنَّه يصوِّر الأحداث عبر خلق ملحمة نثرية."[2]

عرف (الشهداء) ثلاث طبعات؛ جاءت الأولى في جزئين (02) والثانية في ثلاثة (03) أجزاء واستهل الثالثة بملاحظات عن كل كتاب كما ضمَّ إليه مقاطع من رحلته إلى اليونان والقدس.

فترة مسيرته السياسية (1814- 1829)، لم تشهد هذه الفترة أي عمل لعدم تفرغه للكتابة.

فترة التقاعد (1830– 1848)، كتب خلالها كتاب حنين يحمل عنوان: (حياة رانسي، 1844).

يتضمن كتاب: [3](Manuel des études littéraires françaises) على رسم بياني لأعمال (شاتوبريان) (شاتوبريان) الرئيسية والفترات التي رافقت ظهورها.

---

[1]- جـ.ب.جوش: التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر. ص:161 - 162(بتصرف).

[2]- « Il donne une illustration en concevant une épopée en prose. »
Jean Beauté:Introduction à la littérature française. Chronique social. Lyon,Juin 1998, p:124.

[3]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraire française du dix- neuvième siècle, p:132.

عرض الرحلة:

(فرانسوا- أوغست.رينيه دو شاتوبريان): [خط سير من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس، الذهاب عن طريق اليونان والعودة عن طريق مصر وتونس وإسبانيا، (1806 - 1807)].

[François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte, la Barbarie et l'Espagne, (1806 - 1807)].

1. المستوى العام:

تاريخ النشر: نُشر درب (شاتوبريان) في ستة أجزاء سنة 1811 عن دار النشر Le Normand:

[3 vol - in - 8°; carte, fac - similé]. Paris, le Normand, 1811.

توالى بعدها نشر الدرب في طبعات مختلفة، كما نشر في أعماله الكاملة، نحو الطبعة الصادرة سنة 1861 عن دار النشر: Garnier – Paris، والطبعة الصادرة سنة 1865 عن دار النشر Ladvocat:

[12 tonnes in - 8°; planches ; «Table générale historique et analytique » au tome 11], Paris, ladvocat.

ميزَّ هذه الطبعة الدراسة الأدبية التي قام بها (سانت بوف)[1] Sainte - Beuve، ثم تلاهما طبعة 1946[2] الصادرة عن دار النشر في باريس:

les belles lettres.

عرف الدرب ترجمات عديدة كتلك الترجمة التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1814.

انقسم الدرب إلى سبعة أجزاء كالآتي:

Première partie: voyage en Grèce

Deuxième partie: voyage de l'Archipel, de l'Anatolie et de Constantinople.

Troisième partie: voyage de Rhodes, de Jaffa, de Bethléem et de la mer morte.

Quatrième partie: suite du voyage de Jérusalem.

Cinquième partie : voyage d'Egypte.

Sixième partie : voyage de Tunis et retour en France.

انقسمت تلك الأجزاء إلى كتب والكتب بدورها إلى فصول.

---

[1]-Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

[2]- Dans l'édition Ladvocat renvoient à l'édition de Emile Malakis [02 vol]. The Johns Hopkins presse; Paris, Les belles Lettres. 1946.

مسار الرحلة:

كانت رحلة (شاتوبريان) طويلة نسبيا استغرقت عشرة أشهر، بدأت يوم خروجه من باريس في 13 جويلية 1806 إلى يوم ولوجه إليها يوم 05 جوان 1807. انطلق من باريس باتجاه اليونان عبر فينيسا وترياست، وصل إلى أثينا يوم 23 أوت 1806 أين استمرت إقامته إلى غاية السادس والعشرين من نفس الشهر. بعد أثينا قصد آسيا الوسطى ووصل إلى هناك يوم 13 سبتمبر 1806 واستمرت إقامته حتى الثامن عشر من نفس الشهر، ثم اتَّجه نحو الأراضي المقدسة في زيارة إلى عدد من المدن الفلسطينية وكانت يافا التي وصل إليها في الفاتح (01) من أكتوبر 1806 أول مدينة زارها ، فيما خصَّ القدس بأطول مدة إقامة امتدت من 04 أكتوبر إلى يوم غادر الأراضي المقدسة في الثاني عشر من نفس الشهر، بعد إقامة امتدت من 13 نوفمبر 1806 إلى 23 من نفس الشهر قفل عائدا إلى فرنسا، وقد أراد أن يعود إلى بلاده بحراً عن طريق الإسكندرية فكان له ذلك، استقل السفينة ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن إذ جعلتها عاصفة بحرية شديدة تجنح إلى تونس ، بقي في تونس طيلة الفترة الممتدة من 18 جانفي إلى 09 مارس1807 ليمر بجزيرة (La Gesira) بالأندلس يوم 30 مارس 1807 وزار قصر الحمراء وقرطبة التي بقي فيها إلى غاية 10 أفريل 1807.

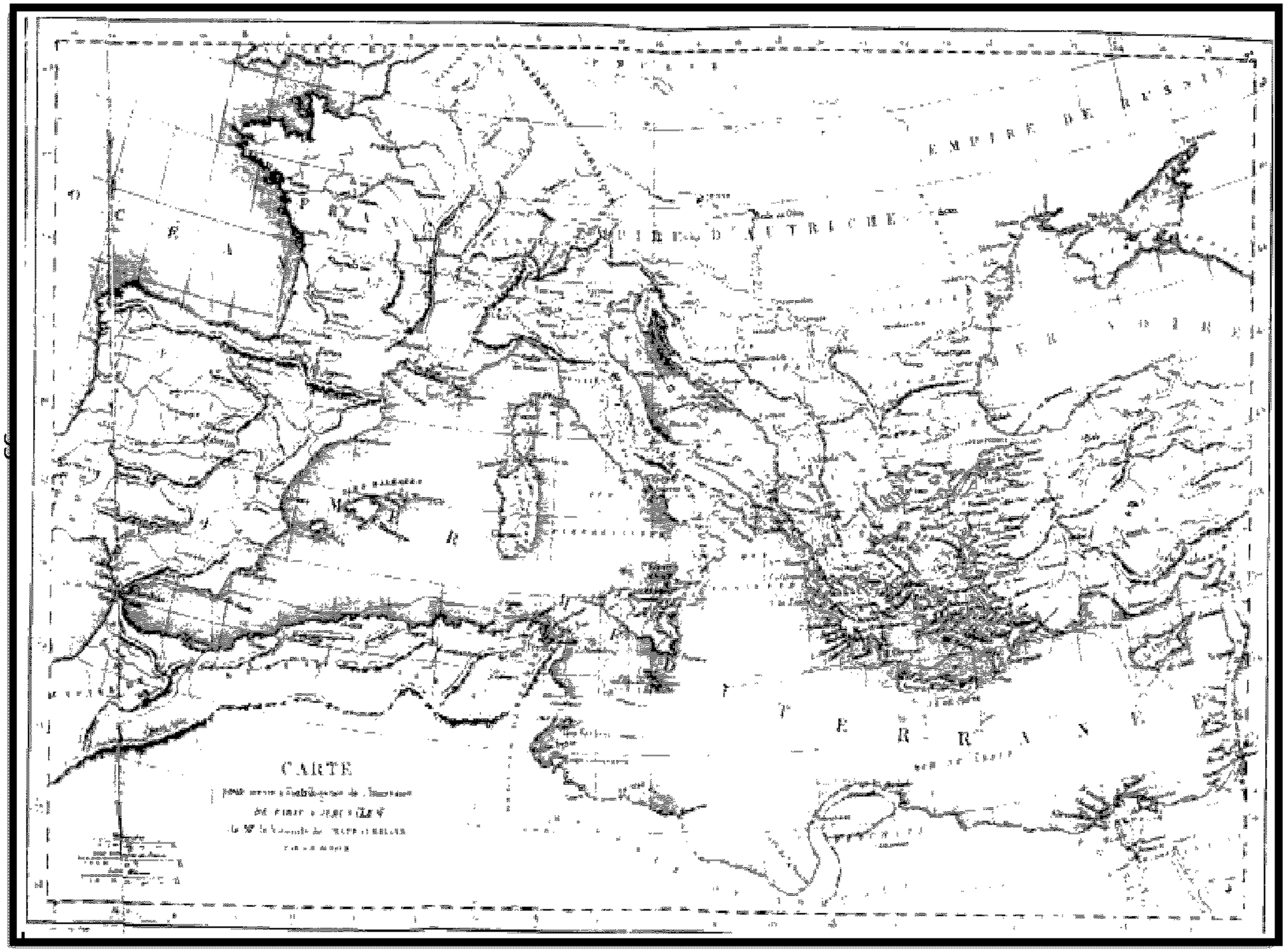
CARTE

خط سير رحلة (شاتوبريان).[1]

أهم محطات الرحلة:

دوَّن (شاتوبريان) يومياته وتكلَّم عن حياة الدوق دو بيري (Duc de Berry)، وجاء في مقدمة الجزء الأول من الدرب: "قسَّمت هذه المقدمة إلى مذكرتين : أتناول في الأولى تاريخ إسبرطة وأثينا منذ عصر أغسطس تقريبا حتى أيامنا هذه وسأتفحص في الثانية صحَّة التقاليد الدينية في القدس."[2]

يعود فيما بعد لتقديم تفسير عن خطة بحثه : "قلت أنني سأقترح، في هذه المذكرة الثانية، تفحُّص صحة التقاليد المسيحية في القدس، أمَّا تاريخ هذه المدينة، بما أنَّه لا يشكل أيَّ غموض، فهو لا تحتاج إلى شروح أولية."[3] ويبدو أنَّه قام بجولة كاملة حول البحر الأبيض المتوسط دون مخاطر تُذكر ؛ فرحلته قد تمَّت في ظروف جيدة عدا عن بعض الأحيان التي كانت تقسو فيها الأحوال الجوية بعض الشيء: "أبحرنا في الفاتح من أوت عند الواحدة صباحا، واجهنا الرياح المعاكسة حين خروجنا من الجسر ."[4] أبحر يوم 13 جويلية سنة 1806 في موكب للحج ج رفقة زوجته سيلاست (Céleste) لكنها لم تكمل معه بقية الرحلة وتوقفت في البندقية (Venise) لتلتحق به يوم الرابع (04) أكتوبر 1807 ناتالي دو نواليس (Natalie de Noalis) التي التقاها أول مرة شهر جويلية 1804 بـــ (Cor Dore)، وقد كان له في كل محطة تقريبا مرافقا. وصل (شاتوبريان) مع موكب الحجاج فوق حصانه إلى أثينا و أكمل رحلته إلى القدس: "كانت الشمس على وشك الغروب: ترجَّلنا لإراحة الخيول ."[5]

عُرف عن (شاتوبريان) كثرة التنقل بين المدن القريبة والرحلة إلى المدن القصية، منطبقا عليه قول علي بن رزيق البغدادي:

كأنما هو في حل وترحال موكل بفضاء الله يدركه[6]

أخذ الشرق بلب (شاتوبريان) زمنا طريلا، وجاءت رحلته إلى الشرق استجابة لرغبة كانت تُخامره منذ زمن الصبا أراد من خلالها التعرف على الأطلال الشرقية وإتمام الحج إلى القدس.. دوافع مبشرة صرَّح بها

1- François - Auguste. René Chateaubrìand: Un Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte, la Barbarie et l'Espagne (1811). Librairie Dufour et Mulat. Paris, 1852. T.05 (Suite du voyage de Jérusalem)

2- «Je diviserai cette introduction en deux mémoires: dans le premier je prendrai l'histoire de Sparte et d'Athènes à peut prés au siècle d'Auguste et je la conduirai jusqu'à nos jours. Dans le second j'examinerai l'authenticité des traditions religieuses à Jérusalem.»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

3- «J'ai dit que je me proposais d'examiner, dans se second Mémoire, l'authenticité des traditions chrétiennes à Jérusalem. Quand à l'histoire de cette ville, comme elle ne présente aucune obscurité, elle n'a pas besoin d'explications préliminaires.»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

4- «Nous appareillâmes le premier août à une heur du matin, nous eûmes les vents contraires en sortant du Pont.»

نفسه.

5- «Le soleil était prés de se coucher: nous mines pied à terre pour laisser reposer les chevaux.»

نفسه.

6- د.عبد السلام العجيلي: من دفاتر الذكريات.المأساة. مجلة العربي. الكويت: وزارة الإعلام،رمضان 1397 هـ الموافق لـ سبتمبر 1977م. ع 293. ص: 29.

في بداية المذكرة الأولى: "لم يتبق لي سوى المرور بأطلال أثينا، ممفيس وقرطاج، أريد كذلك إتمام حجّ ة القدس."[1]

نال (شاتوبريان) درجة فارس ضمن مراتب أوسمة الضريح المقدس [2] يوم الرابع من أكتوبر في القدس[3]، وأراد أن يزور بنفسه مسرح الأحداث في محاولة لاستقراء معالم الشرق بطريقة أفضل، ها هو ينام عند نهر الأردن لعل طيفا من الأسباط يزوره أثناء نومه: "بخصوص هذا الموقع الفريد، أراد شاتوبريان تجميع العلامات الأكثر تجسيدا لطبعه، لموهبته، وربما – وربما – في نظرنا- نقائصه."[4]

تكلّم عن أشياء كثيرة، نقرأ له في المذكرة الأولى من مقدمته : "في الحقيقة، أمكنني التكلُّم عن الفاتحين المقدونيين كما قال لنا مونتسكيو : لنتحدث عن كل شيء براحتنا ."[5] ويقول عن مصداقية معلوماته وإخلاصه: "ربما خانتني الذاكرة فارتكبت بعض الأخطاء، لكنن أعتقد أنه يمكنني القول أنني لم أقع في أي خطأ جوهري (...) فيما تبقى، لا أدري لماذا أتقيَّد بجد على تعليل بعض قراءاتي، من الجيِّد دون شك أن لا أخطئ، لكن عندما يحدث لي ذلك، ليس هناك ما يقال لي : لقد أعلنت أنَّه لا نبة لدي، لا كعالم، ولا حتى كمسافر."[6]

شكّك (هنري جلمان) في المدة التي قضاها (شاتوبريان) في القدس، فرأى أنها امتدت من يوم 04 أكتوبر إلى يوم 12 من نفس الشهر 1806، ولهذا فما زاد عن ذلك من الأيام الواردة في اليوميات ما هو إلا بهتان. ويسترسل في تحليلاته ويضيف بأنه كان قد رحل على الفور عند وصوله للقدس إلى البحر الميت ليعود إليها بعد يومين أي في السادس من أكتوبر، ونجده يبقى في غرفته لا يغادرها إلا يوم الثامن من أكتوبر لزيارة بعض الأماكن المقدس. هل كانت رحلته إذا رحلة دينية حقا[7] كما صرَّح صاحبها؟ لعل (ذكريات ما وراء القبر) ستكون كالعادة أرضية للإجابة: "عندما يسدل الموت الستار بيني وبين العالم، سنرى أن مأساتي تنقسم إلى ثلاثة فصول. في مناصبي الثلاثة المتتالية، كنت دائما أهب نفسي لمهام كبيرة:

---

[1]- «Il me restait à parcourir les ruines d'Athénée, de Memphis et de Carthage, je voulais aussi accomplir le pèlerinage de Jérusalem.»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

[2]- Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire -Flaubert. N° 250, février 1988, p:69.

[3]- فرانسوا - رنيه دو شاتوبريان،: مقطع من مقدمة ذكريات ما وراء القبر. الأعمال الكاملة.

[4]- «A propos de ce site sans égale, chateaubriand avait voulu rassembler les traits les plus représentatifs de son tempérament, de son talent, et peut- être, à nos yeux, de ses faiblesses.»

André Marroi, René ou la vie de Chateaubriand, p:75.

[5]- «En vérité, j'aurais pu dire des conquérants macédoniens ce qu'en dit Montesquieu: Parlons- en tout à notre aise.»

نفسه.

[6]- «J'ai peut - être commis quelques erreurs de mémoire, mais je crois pouvoir dire que je ne suis tombé dans aucune faute essentielle (...) Au reste, je ne sais pourquoi je m'attache si sérieusement à me justifier sur quelques points d'érudition, il est très bon sans doute que je ne me sois pas trompé, mais quand cela me serait arrivé, on n'aurait encore rien à me dire: j'ai déclaré que je n'aurais aucune prétention, ni comme savant, ni même comme voyageur.»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction,premier mémoire.http://gallica.bnf.fr

[7]- Yvan Lecler: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:73.

رحَّالة، تطلَّعت لاكتشاف العالم القطبي؛ كاتب، حاولت بعث الدين من بين تلك الأطلال؛ رجل دولة، اجتهدت لأمنح الشعب النظام الملكي ممثِّله الحقيقي بحرياته المتنوِّعة ."[1]

سعى (شاتوبريان) غالبا في كتاباته العودة إلى المشاعر الدينية وتمجيد المسيحية وتذكير الفرنسيين بماضيهم الخاص، فهل كانت تلك غايته أيضا من الدرب؟ لأول وهلة يمكن أن يكون الجواب إيجابيا: نعم، إنه كذلك. لكن مهلا، يبدو أن (شاتوبريان) كان يرمي إلى تحقيق غايات أخرى عديدة منها نيته في إشباع فضوله بزيارة مناطق شهدت أحداث (أبطال الشهداء أو انتصار الديانة المسيحية) الذي شرع في تحريره سنة 1894[2]، وفعلا اغتنم الفرصة وزار بلد الأموات حتى يعطي لشهدائه إطارا شرعيا. يرى (G.Castex) و (P.Surer) أن البحث عن صور لـ (الشهداء) هو ما دافع (شاتوبريان) إلى الرحلة: "كان للرحلة كهدف أول البحث عن "صور" للشهداء."[3]

يؤكد (ألان كوبري) على أنه و :"بالعمل على تحرير الشهداء، الذي يسرد ولادة المسيحية واضطهاد المسيحيين الأوائل، برهن على ضرورة توثيق المعلومات من المكان (...) عند عودته، أتم نهائيا الشهداء الذي نشره سنة 1809 انطلاقا من الملاحظات المدوَّنة ."[4] يضيف (جون دورمسون): "من كل الأنوار والذكريات التي جلبها من اليونان، من تركيا، من مصر، شمال إفريقيا وإسبانيا، ومن رحلته الكبرى "رحلة إلى الشرق" كان لاحقا، الدرب من باريس إلى القدس، الشهداء، وآخر ابن سراج."[5]

يدفعنا ذلك إلى الاعتقاد بأن غايته كانت أدبية محضة في الدرجة الأولى، لكن (حسين مؤنس) يفتح باب نقاش آخر : "إنَّ القراءة المتأنية للرحلة على ضوء الأعمال الكبرى التالية: عبقرية المسيحية، مغامرات آخر ملوك ابن سراج ، الشهداء. تسمح بالتعرُّف على بعض الحضور للإسلام ."[6] فهل أراد (شاتوبريان) إذاً إبطال ما سوى المسيحية في سبيل إثبات تفوُّقها وصلاحها كونها منبع الإلهام الشعري والأدبي؟ وهل قاده ذلك إلى التحيُّز والتعصُّب الديني الأعمى وتزييف الحقائق التاريخية؟ لعل الإجابة ستأتي تدريجيا مع محاور نواها أساسية في تحصيل رحلته إلى الشرق الأوسط، وهذه المحاور هي باختصار: الدين- التاريخ-

---

[1]- «Quand la mort baissera la toile entre moi et le monde, on trouvera que mon drame se diverse en trois actes. Dans mes trois carrières successives, je me suis toujours proposé une grande tâche: Voyageur, j'ai aspiré à la découverte du monde polaire; littérateur, j'ai essayé de rétablir la religion sur ses ruines; homme d'état, je me suis efforcé de donner aux peuples le vrai système monarchique représentatif avec ses diverses libertés.»

François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. Introduction.

[2]- Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février. 1988, p:103.

[3]- «Le voyage avait eu pour but premier de chercher des "images" pour les Martyrs.»

P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires française du dix- neuvième siècle, p:145.

[4]- «Travaillant à la rédaction des Martyrs, qui relatent la naissance du christianisme et la persécution des premiers chrétiens, il éprouve nécessité de se documenter sur place (...) A son retour, il met définitivement au point les Martyrs qu'il publie en 1809 d'après les notes prises.»

Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert -Baudelaire – Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmè, p:15.

[5]- «De toutes les lumières et de tous les souvenirs qu'il ramène de Grèce, de Turquie, d'Egypte, d'Afrique du nord et d'Espagne, il fera plus tard de son grand voyage "le voyage en orient, l'Itinéraire de Paris à Jérusalem, les Martyrs, et le dernier Aben Cérage.»

Jean D'Ormesson: Une autre histoire de la littérature française, p:98.

[6]- د. سعيد علوش: مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي - في سيميائية الاستشراق. ص: 492 .

الحضارة – الفن.

الدين:

حقد شاتوبريان على الإسلام دفعه إلى تصويره دين تخلف وعنف وعقيدة هلاك، أما دليله على ذلك فكان تصرفات بعض الشواذ من الأتراك والأعراب وظلم أنظمة الحكم وغيرها، وجعل يستخف وهو ابن الحضارة السامية والديانة الواقية بحضارة المسلمين مفضلًا الوثنية على الإسلام وتعاليمه فقد كانت خيرا وبركة على الشعوب التي دانت بها والشعب اليوناني مثال جيد ، وبذلك راح يكرر انطباعات وأفكار عدائية لبعض الحجيج المسيحيين ومنهم الفرنسيين إلى بيت المقدس وأخرى لرحالة سبقوه ذكر كثيرا منهم في الدرب كان آخرهم (لوكومت دو فولناي): "وفد الحجاج من كل مكان. منذ ذلك الحين وإلى أيامنا، أعطتنا سلسلة غير منقطعة من الرحلات على مدى أربعة عشر قرنا نفس الوقائع ونفس الأوصاف (...) إذا كنَّا نشك في ذلك، يجب ترك الاعتقاد بـــشيء : وهل أهملت كل ما أمكنني اس تخلصته من الحروب الصليبية. أضيف إلى الكثير من الأدلة التاريخية بعض التأملات عن طبيعة التقاليد الدينية وعن موقع القدس."[1]

كان (شاتوبريان) لا يتجرأ على الحديث بروح نقدية عن الكتاب المقدس، ترى (مدام دي ستايل) في كتابها النقد الأدبي العقائدي (Critique d'art dogmatique) أنَّ (شاتوبريان) كان يحلل الأعمال الأدبية الإغريقية الكبرى من منظور مسيحي فيعليّ من شأن الأعمال الأدبية المسيحية ويقلّل من شأن ما سواها، وقدَّم يقول (الحسن المختار) في (الثورات المقارنة) سنة 1797: "محاولة لا تعدم حسًّا تاريخيا أصيلا مع مسحة دينية مسيحية لا تخلو من تعصب "، واستمرت نعرة التعصب الديني المفضوحة في أعماله إلى ما بعد الرحلة فانعكست في الدرب، ونقرأ له في (مذكرات ما وراء القبر):"يجب زيارة الأرض المقدَّسة حاملين التوراة والإنجيل إذا أردنا إضفاء روح الجدال والمماحكة، لا تكلّفنا عناء ال بحث أبعد . ماذا نقول عن رجل يزور اليونان أو إيطاليا ولا يهتم إلاَّ بمناقضة هوميروس أو فرجيل؟ هكذا نسافر اليوم مع ذلك."[2]

التاريخ:

يمكن لمس جهل (شاتوبريان) أو ربما تجاهله أو طمسه لكثير من الحقائق التاريخية وهذا مع تصريحه في ديباجة الدرب: "الرحّالة ضرب من المؤرخ، واجبه أن يسرد بأمانة كل ما رآه أو سمعه يقال ."[3] نجده

---

[1]- « Les pèlerins accourent de toute part. Depuis ce moment jusqu'à nos jours, une suite de voyages non interrompue nous donne pendant quatorze siècles les mêmes faits et les mêmes descriptions. Si l'on doute ici, il faut renoncer à croire quelque chose: encore ai- je négligé tout ce que j'aurais pu tirer des croisades. J'ajouterai à tant de preuves historiques quelques considérations sur la nature des traditions Religieuses et sur le locale de Jérusalem. »
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[2]- «C'est la Bible et l'évangile à la main que l'on doit parcourir la terre sainte si l'on veut y'porter un esprit de contention et de chicane, la Judée ne vaut pas la peine qu'on aille chercher si loin. Que dirait- on d un homme qui parcourant la Grèce ou l'Italie ne s'occuperait qu'a contredire Homère ou Virgile? Voilà pourtant comme on voyage aujourd'hui. »
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.f

[3]- «Un voyageur est une espèce d'historien, son devoir est de raconter fidèlement ce qu'il a vu ou ce qu'il a entendu dire. »
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

يتجنَّب (معاوية) ويدَّعي أن (عمر ابن الخطاب) هو زعيم الأمويين، وكأنَّه يلمِّح إلى صراع الزعامة: "عمر خليفة أبو بكر وزعيم الأمويين."[1]

أرَّخ لحادثة اغتيال (عمر) بحصاره القدس الذي استمر أربعة أشهر ، والتاريخ يشهد أن (عمرا) مات في المدينة فجرا عام 643 هـــ بضربة خنجر من (أبي لؤلؤة المجوسي) وهو قائم يصلي إماما فألبس بذلك (عمر ابن الخطاب) ثوب الغزاة ونزع عنه شرف الفاتحين، كما ألصق به وبالإسلام صفة الظلم عندما يزعم أن (عمرا) قد بني المسجد الأقصى على أنقاذ هيكل سليمان. تجاهل في المقابل ما سجَّله التاريخ عن سماحة عمر وخطبه في الناس وكيف أنه وصل القدس على راحلة مع غلا مه من غير حاشية كما تفعل الملوك وحين أدركته الصلاة في كنيسة القيامة اعتذر بأدب عن عدم قدرته قبول دعوة البطريك للصلاة فيها، وقد يسأل سائل عن السبب الذي منعه ويكون الجواب : فعل (عمر) ذلك حتى لا يتخذها المسلمون حجة لمصادرتها وتحويلها إلى مسجد فيخالف بذلك عهده مع الم سيحيين الذين آمنهم على مقدَّ ساتهم، لكنَّ تمثيليات من هذا النوع لا تغيِّر من الوقع شيئا! نقرأ لـــ (شاتوبريان) نفسه.[2]

الحضارة:

ينطوي هذا المحور على ثمرة رحلته وغرضها ومنها سعيه الحثيث لتخليد أمجاد بلاده. راح (شاتوبريان) يتنقل بين المعابد والمقابر والآثار والمعالم اليونانية والعثمانية والفرعونية والقرطاجية والأندلسية، حضارات سبق وتكلَّم عنها في كتابه(عبقرية المسيحية)، لكن الرجل المشبع بتعاليم المسيحية[3] ينكر أيَّ تفوُّق آخر لغير أمته وحضارته الغربية العظيمة والعالمية ويعظِّم رسالة المسيحية الوحيدة الكفيلة بإسعاد البشرية عكس الدين الإسلامي الهدَّام ومجموع نصوصه التي تعلِّ العنف وتوجب التخلف[4] وكأنَّ تنبُّ (روسو) للهمجية الشرقية أنَّها سيبقى دائما عكس الحضارة قد تحقق على يد (شاتوبريان)! "إنَّ الديانة المسيحية هي الأكثر شاعرية، الأكثر إنسانية، الأكثر تجاوبا مع الحرية، الفنون والآداب..."[5]

الفن:

لم ير (شاتوبريان) في الإسلام بتعاليمه ولا في المسلمين أي معنى للحضارة ، لكنه في المقابل بهر بالحضارة اليونانية الوثنية وشعبها العبقري الذي أبدع وأجاد؛ فحاول إحياء الفن القوطي (art gothique) وعدَّه معلم مسيحي كاثوليكيا من الطراز الأول ، ورأى في التاريخ الإغريقي الخرافي بآلهته وأبطاله كل معاني الفن والإبداع؛ كتشريفهم الميت المنتصر ببناء ضريح له يتوفر على جميع اللوازم التي تخدمه في إقامته من أواني وتماثيل تحفظه من الأرواح الشريرة.

---

[1]- «Le calife Omar successeur d'Abou Baker et chef des Oniades.»

نفسه.

[2]- François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T. 12, Chap. 08, p:135.

[3]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires français du dix- neuvième siècle, p:231.

[4]- نفسه. ص: 136.

[5]- «La religion chrétienne est la plus poétique, la plus humaine, la plus favorable à la liberté, aux arts et aux lettres...»

Chateaubriand.François- René de: Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

صوِّر (شاتوبريان) كل من صادفه من عرب أو أتراك أنهم أعداء، فكانت: "أول ذكر مهم لفكرة قدِّر لها أن تكتسب سلطة خرقاء في أوروبا "[1]، وقبل أن يصل إلى اسطنبول نعتها بعاصمة الشعوب المتوحشة[2] وقبل أن تطأ قدماه الإسكندرية حكم على مصر بأنها بلد الجهل والبربرية [3] ثم جاءت مشاهداته لتطابق أفكاره وربما قراءاته السابقة : "أذكر في المقدمة والدرب كل الرحَّالة الذين رأوا اسبرطة قبلي أو الذين تكلّموا عن أطلالها."[4]

جاء في خطاب للسيدِّ حافظ الأختام (M. Le garde des sceaux): "كي أثبت أن نقل العبيد ساري، اعتمدت على كتابات جميع الرحَّالة، على روايات جميع الصحائف المطبوعة في المشرق، حتى تلك التي لا تخدم قضية اليونانيين،على جرائد نابولي الرسمية، أخيرا على شكاوى الحكومة اليونانية نفسها."[5]

لا يرى (شاتوبريان) في أخذه عن غيره عيبا بل ضرورة تسبق الكتابة : "كان في إمكاني السطو على ذكريات الأب Guéné، دون أن أقول شيئا، على غرار كثير من المؤلفين، الذين يظهرون كأنهم يغرفون من المصادر، في حين أنهم لا يقومون سوى بنهب علماء يصمتون عن ذكر أسمائهم (...) في عصر الأنوار هذا، الجهل جسيم؛ نبدأ الكتابة دون أن نقرأ شيئا."[6] يقرر بعدها: "شقاء لمن لا يرى الطبيعة بأعين فينيلون فينيلون وهوميروس!"[7]، قرأ (شاتوبريان) الكاهن (abbé Guéné)[8] واعتمد على مذكراته الثمينة كثيرا : "تستحق لوحة مملكة القدس التي رسمها (الأب Guenee) أن تعاد (...) لا شك أنَّ الكاتب لا يستطيع قول كل شيء، راضيا بالخطوط الرئيسية : "تمتد هذه المملكة، يقول، من الغروب إلى الشروق، من البحر المتوسط إلى غاية الصحراء العربية، ومن الوسط إلى الشمال، من حصن داروم فيما وراء سيل مصر إلى غاية النهر الذي يجري بين Berith وBiblos. (...) هذه الدولة، قل قواعد القدس، كان لها زعيمان رئيسيان، أحدهما روحي والأخر زمني، البطريرك رئيسها الروحي، والملك رئيسها الزمني."[9]

---

[1]- إدوارد سعيد: الاستشراق: الانشاء ـ المعرفة ـ السلطة. تر وتعريب كمال أبو ديب. ص ص:64 - 65.

[2]- Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à paris.http://gallicabnf.fr

[3]- نفسه.

[4]- «Je cite dans l'introduction et dans l'itinéraire tout les voyageurs qui ont vu Sparte avant moi ou qui ont parlé de ses ruines.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[5]- «Pour soutenir que les transports d'esclaves existent, je m'appuie sur les écrits de touts les voyageurs, sur les récits de toutes les gazettes imprimées dans l'Orient, même de celles qui ne sont pas favorables à la cause des Grecs, sur les journaux officiels de Napoli, enfin sur les plaintes mêmes du gouvernement grec.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[6]- «J'aurais pu piller les mémoires de l'abbé Guéné, sans en rien dire, à l'exemple de tant d'auteurs, qui donnent l'air d'avoir puisé aux sources, quand il n'ont fait que dépouiller les savant dont ils taisent le nom (...) dans ce siècle de lumières, l'ignorance est grande; on commence par écrire sans avoir rien lu.»

[7]- «Malheur a qui ne verrait pas la nature avec les yeux de Fénelon et de Homère !»

Chateaubriand: Itinéraire. T.02, p:50.

[8]- Chateaubriand: Itinéraire. L'érudition de l'Abbé Guéné. Source: l'édition de 1861:

http://gallica.bnf.fr

[9]- «Le tableau du royaume de Jérusalem tracé par l'abbée Guénée mérite d'être rapporté (...) Sans doute l'auteur ne pouvant pas tout dire, c'est contenté des principaux traits : "Ce royaume s'étendit, dit- il, du couchant au levant, depuis la mer Méditerranée jusqu'au désert de l'Arabie, et du midi au nord, depuis le fort de Darum au - delà du torrent d'Egypte jusqu'à la rivière qui coule entre Bérith et Biblos. (...) Cet Etat, disent les Assises de Jérusalem, avait deux chefs seigneurs, l'un spirituel et l'autre temporel: le patriarche était le seigneur spirituel, et le roi le seigneur temporel."»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

ويدعو (شاتوبريان) النقاد إلى عدم اتهامه بالمبالغة، لأنها حقائق تاريخية مصدرها علماء و مؤرخين من حجم (L'Abbé Guiné). كان هذا الأخير يصوِّر المسلمين غزاة دفعهم الفقر إلى مهاجمة اليهود وذبح رجالهم ورهبانهم وتشريد أطفالهم وسلبهم ممتلكاتهم غير مراعين حرمة الأراضي المقدسة، ولا غرو فعقيدتهم العنيفة والظالمة والمتخلِّفة لا تمنعهم من ذلك!

استعان كذلك بكتب لاتينية مثل:(Historica, theologica et morlis ferrae sanc tae elucis)، ويجزم (هنري جيلمان) أنَّ (شاتوبريان) لم يغادر مكتبه قط و حين يقول: "أنا أرى" فإن ذلك يعني «J'ai vu» وعندما يقول: "أنا قرأت" فإنَّه يعني «J'ai lu»، وتفضحه الشرعات الكبيرة التي وقع فيها ك خلطه بين أطروحتي (غود يفروي) و(بودوين) عن القدس وعدم تمييزه الجنوب من الشمال والشرق من الغرب وقد يحدث أن يدعونا لمشاهدة على يساره ما يوجد على يمينه، أما دليله يقول (هنري جيلمان) فكان كتاب

(Apparatus u pis ac templi hierosolymitaivi)[1] وقد استطاع أن يعرف عنوانه من هفوة وقع فيها (شاتوبريان) وهي استخدامه كلمة (Apparatus) بمعنى اسم علم في العبارة التالية: "يصف أباراتوس هذه القبور..."[2]

لبس (شاتوبريان) ثوب رجل آثار وتاريخ ودين ، وبدا أن المحطات التي استوقفته قد ألزمه بها (عقرية المسيحية، 1802) الذي قرر فيه تفوُّق الديانة المسيحية على بقية الأديان وأماكن أحداث (شهداءه)، وذلك حتى يعطي مصداقية لكتابيه: "أي وصف للبحر الميت والأردن، يوجد في الشهداء – كتاب 19؛ لكن بما أن الموضوع مهم، وأضفت في الدرب عدة معالم لهذه الأوصاف، فلست أخشى تكرارها."[3] وقد كَفلت له الطبيعة الشرقية الغربة حسا مطلقا يشبه ذلك الذي ولَّدته فيه الطبيعة الأمريكية العذراء فتحضره المشاهد في الحال حية حديثة ناظرة مثلما حدث أمام نهر الأردن الذي ذكَّره نهري الميسيسيبي ولايفارى .

كان (شاتوبريان) يتعجَّل الذهاب إلى إسبانيا فالموعد بالحمراء مع عشيقته ناتالي دو نواليس (Nathalie de Noailles) التي لم تملكْه من نفسها بعد قائلة له: "سافر أولا، وسأرى بعدها ."[4] ومن يدري فلعله رحل من أجل أن يحب يقول (هنري جلمان):

«Pour se faire aimer»[5]

ويثبت لها هناك في اسبانيا أنَّه كان يستحق درجة الفارس الصليبي الباسل:

«Qu'il était digne des preux chevaliers croisés.»[6]

2. المستوى الفني:

---

[1]- Henri Guillemin: L'homme des mémoires. Librairie Plon. Paris,1939, pp:80 - 84(يتصرف).

[2]- «Apparatus décrit ces Tombeau.»
Chateaubriand: Itinéraire. T.06, p:80.

[3]- «Toutes descriptions de la mer morte et du Jourdain, se retrouvent dans les Martyrs - livre 19; mais comme le sujet est important, et que j'ai ajouté dans l'Itinéraire plusieurs traits à ces descriptions, je n'ai pas craint de les répéter.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[4]- «Voyager d'abord, et je verrai ensuite.»
نفسه، ص:140.

[5]- Henri Guillemin: L'homme des mémoires, p:156.

[6]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires française du dix- neuvième siècle, p:151.

أسلوب الرحلة:

صرّح (شاتوبريان) في مستهل الطبعة الثالثة من دربه عن بعض التنقيحات والتعديلات: "راجعت أسلوب هذا الدرب باهتمام مسؤول، واستمعت، كعادتي، إلى نصائح النقاد. يبدو أن أكثر ما استهجن عموما هي الشهادات المدرجة في النص؛ رميت منها عند نهاية كل مجلد : متخلصا من هذه الكنوز الدخيلة، ربما تنتشر الرواية بسرعة أكبر."[1]

كان (شاتوبريان) يدوّن يومياته أثناء رحلته حول البحر الأبيض المتوسط وفق منهج (فولناي) ومن المادة التي تجمّعت لديه ألّف الدرب[2]، وتميّز أسلوبه فيه بالبلاغة والسحر والقدرة الباهرة على تصوير المشاهد والمشاعر وساعدته سرعة خياله وغنى صوره التي جعلت خيال قارئه ينطلق في حرية أيضا. كان يطمح إلى تصوير لوحات تعكس بامتياز طبيعة تكلّم فيها الله -عز وجل-، يقول في مقطوعة محكمة البناء عليها مسحة من الجمال والعظمة: "مظاهر استثنائية تكشف من كل جانب أرض من المعجزات: الشمس الحارقة، العقاب الوهّاج، شجرة التين العقيمة، كل الشعرية، كل لوحات الكتابة هنا. ينطوي كل اسم على سر؛ كل مغارة تصرح بالمستقبل؛ كل قمة تصدح بنبرات نبي. الله نفسه تكلّم من على تلك الجوانب، الأنهار جفّت، الصخور تشققت، المقابر المواربة تشهد على المعجزة."[3] ويبدو أنّ إحساس (شاتوبريان) القوي بالطبيعة ساعد في تغذية الروح الخيالية لدى قارئه: "(...) لكن من رؤوس بعض المآذن، من فتحات بعض الجدران أكثر علوا، والقمة السوداء والزرقاء لبعض القباب[4] الهرمية[5] خلق البرج والمئذنة الكبيرة (...) لا يمكن أن تكون إلاّ القدس..."[6]

جاء على لسان صاحب الدرب: "دربي هو السباق السريع لرجل ذهب لرؤية السماء، الأرض والماء، ورجع إلى وطنه بصور جديدة في الرأس، ومشاعر أكثر في القلب ."[7] وقد جاء في (ذكريات انطباعات وأفكار خلال رحلة إلى الشرق) لـــ (لامارتين): "هذا ليس كتاب، ولا رحلة؛ لم أفكر أبدا في كتابة

---

[1]- «J'ai revu le style de cet itinéraire avec une attention scrupuleuse, et j'ai, selon ma coutume, écouté les conseils de la critique. On a paru désapprouver généralement les citations intercalées dans le texte; je les si rejetées à la fin de chaque volume: débarrassé de ces richesses étrangères, le récit marchera peut - être avec plus de rapidité.»

François- René de Chateaubriand: Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte, la Barbarie et l'Espagne(1811). Préface de la troisième édition In œuvres complètes de Chateaubriand. Garnier. Paris,1861. réédition, 1865.

[2]- Alain Couprie Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmè, p:192.

[3]- «Des aspects extraordinaires décèlent de toute part une terre travaillée par des miracles : le soleil brûlant, l'aigle impétueux, le figuier stérile, toute la poésie tous les tableaux de l'écriture sont là. Chaque nom renferme un mystère; chaque grotte déclare l'avenir; chaque sommet retentit des accents d'un prophète. Dieu même a parlé sur ces bords, les torrents desséchés, les rochers fendus, les tombeaux entrouverts attestent le prodige.»

Chateaubriand: Itinéraire. T.4, p:64.

[4]- يتعلق الأمر بقبب المساجد.

[5]- و هي صورة شعرية مقدامة، بدت له فيها القبة هرمية الشكل، مع أنها لم تكن كذلك بل كانت مكورة، وقد أصبح ذلك ممكنا بواسطة القرينة الشعرية، في إشارة ضمنية إلى مصر القريبة نسبيا من القدس.

[6]- «(...) Mais à quelque pointes de minarets, à quelques créneaux de murs plus élevés, et à la cime noire et bleu de quelque dômes[6] qui pyramidaient[6] derrière la tour et le grand minaret (...) ce ne pouvait être que Jérusalem...»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.Introduction, second mémoire.http://gallica.bnf.fr

[7]- «Mon itinéraire est la course rapide d'un homme qui va voir le ciel, la terre et l'eau, et qui revient au foyer avec quelques images nouvelles dans la tête, et quelque sentiment de plus dans le cœur.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

الواحد أو الآخر، السيد دو شاتوبريان قام بذلك قبلي في الدرب."[1] كتب الدكتور (حسن سعدي):"ذهب شاتوبريان أوائل القرن التاسع عشر يجر كآبته لمحبط أبدي، مصحوبا برغ بة لا تقاوم في تغيير الجو، وغريزة هجرة من خيبات مستمرة."[2]

رحل (شاتوبريان) مشدودا مثل كثير من الرومانسيين إلى سحر الشرق[3] فقام بدورة في الجوار الجغرافي والحضاري للإقليم العربي، ومك القدامى زار اسبرطة مرَّ بأثينا حلَّ بالقدس رسا بالإسكندرية تفرَّج على آثار قرطاج وأخيرا استسلم لجمال قصر الحمراء في الأندلس. كان يتأمل في كل مرة جمال الطبيعة[4]:

"وكنت أتأمل بمهل البحيرة، الوادي والنهر."[5] ووصف: "الهيبة الممزوجة باللذة التي يوحي بها التأمُّل في المناظر العظيمة."[6] وانعكست تأملاته أخيراً في رسائل خفية نشأت بينه وبين الطبيعة والإنسان.[7] حيث لا نهاية الطبيعة تدفعه إلى التفكير في القدرة اللاَّ متناهية للإله.

حاول (شاتوبريان) تبيُّن البراهين جيدًّا:

برهان تاريخي، ومنها زيارته لـــ (بيت لحم) مكان ميلاد المسيح عليه السلام.

برهان رومانسي أمام كبر وجمال الطبيعة.[8]

برهان ديني، أراد (شاتوبريان) في إطار ما أصبح يعرف بـــ (جغرافية التوراة) إبراز تفوُّق المسيحية[9] والوقوف في المقابل على آثار ديانة هدّامة بفعلتها ببلد الأمجاد والخيرات. ولأن الفن يُتوارث جيلا عن جيل لذلك فهو يضمن استمرارية حضارة الأمم وهو على هذا الأساس ديني!

برهان فلسفي، آمن (شاتوبريان) بالحياة الأبدية التي وعد بها المسيح -عليه السلام- ورأى في الموت بداية لحياة أزلية ونهاية رمزية لوبة الفن، ورأى في القبر مكانا للحرية والمساواة لجميع البشر لكنَّه تأسَّف حين زار مقابر الحروب الاستعمارية التي خلَّفت مدن أموات.

مثّل الحاضر سقطة بالنسبة لـــ (شاتوبريان)، وقد كانت مصر بأهراماتها إحدى محطاته خلال عودته من فلسطين إلى باريس: "اكتشفنا قمم الأهرامات: كنا على بعد أكثر من عشرة أميال. خلال ما تبقى من

---

[1]- «Ceci n'est un livre, ni un voyage; je n'ai jamais pensé à écrire l'un ou l'autre, M De Chateaubriand la déjà fait dans l'itinéraire.»
Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[2]- «Chateaubriand, au début du dix- neuvième siècle, parti traîner sa mélancolie d'éternel désenchanté, empreint d'un besoin irrésistible de changer d'air, et un instinct de migration en dépit de continuelles désillusions.»
Hacéne Saadi; La construction de l'identité de l'autre à travers des textes littéraires français; de Chateaubriand a Camus. HERMES 30. Cognition - Communication - Politique. Stéréotypes dans les relations Nord - Sud, p:58.

[3]- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix - neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert –Baudelaire – Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmè, p:15.

[4]- Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[5]- «Et je contempler à loisir le lac, le vallée et le fleuve.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[6]- «L'effroi mêlé de volupté qui inspire la contemplation des sites grandioses.»
P. - G. castex et P. surer: Manuel des études littéraires françaises du dix- neuvième siècle, p:37.

[7] -Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[8]- عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث. ص: 19.

[9]- Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.La Jérusalem désolée.http://gallica.bnf.fr

إبحارنا، التي سوف تستغرق ثماني ساعات تقريبا، بقيت على الجسر أتأمل هذه المقابر (...) أعترف أنني عند أول ظهور للأهرامات، لم أشعر سوى بالإعجاب، أعرف أن الفلسفة بإمكانها أن تئن أو تبتسم وهي تفكر

في أنَّ أكبر صرح إنساني هو قبر."[1] ونفى (شاتوبريان) من أمام هرم (شيبوبس) أن يكون لتلك القبور دور دور مادي فقط، وإنما لها معنى أخلاقي[2] يتمثل في تذكير الإنسان أنَّه مجرد عابر على الأرض وذلك هو قدره المحتوم وأنَّ بناءه يسخر من كبرياءه ويعرِّي غروره ويفضح عجزه. ويقوده الألم إلى التأمل فيما هو أبعد من موت الإنسان إلى موت حضاراته:"كل شيء يمضي، كل شيء ينتهي في هذا العالم، حتى أكثر الحضارات إشراقا."[3] ولعل إصراره على زيارة الأضرحة أكبر دليل على تعظيمه السرمدية، ويقارن في (مذكرات ما وراء القبر) بين الضريح: "(الضريح) [نصب جنائزي فاخر بامتدادات واسعة]"[4] والقصر (un palais)فيقول: "يحتفظ الأول بمهمة قبر بعد أن يكون الملك قد رحل، بينما لا يترك الثاني أي أثر من مشاعر الذين كان بداخله."[5]

يذكر في مذكرته الثانية أنَّ مهمته في القدس كانت البحث عن أماكن روحية مسيحية: "تستمد تقاليد الأرض يقينها من ثلاثة مصادر: من التاريخ، من الدين، من الأماكن أو المواقع (...) أكمل يسوع- المسيح في القدس صحبة حواريه أسرار الشغف ، والأناجيل الأربعة هي الوثائق الأولى التي تعيد كتابة أفعال إبن الإنسان."[6]

مسار الزمان والمكان:

لا يثمِّن (شاتوبريان) اللحظة الحاضرة إلا بتوظيف لحظات أخرى مشابهة لها في الماضي تحتفظ بها ذاكرته ومرآة الزمن التي تغذي تأملاته[7]. إحساس خاص بالواقع يكون فيه الماضي وبمفارقة بسيطة بداية للحاضر: "رميتُ بنفسي في مياههم الهائجة، مبتعدا على مضض عن الشاطئ حيث ولدتُ، متجها وكلي

---

[1]- «Nous découvrîmes le sommet des Pyramides : nous en étions à plus de dix lieues. Pendant le reste de notre navigation, qui dura encore prés de huit heures, je demeurai sur le pont à contempler ces tombeaux (...) J'avoue qu'au premier aspect des pyramides, je n'ai senti que l'admiration, je sais que la philosophie peut gémir ou sourire en songeant que le plus grand monument sorti de la main des hommes est un tombeau.»
Chateaubriand, itinéraire. T.06, p:81.

2- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé, p:23.

[3]- «Tout passe, tout finit dans ce monde, même les civilisation les plus brillante.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[4]- «Un "mausolée" [monument funéraires somptueux et de très grand dimension]»
نفسه.

[5]- «Le premier conserve une fonction c'elle d'un tombeau après que le souverain a disparu, tandis que le second ne garde aucune trace des sentiments de ceux qui l'on occupé.»
نفسه.

[6] « La tradition de la terre tient leur certitude de trois sources : de l'histoire, de la religion, des lieux ou des localités (...) Jésus - Christ, accompagné de ses apôtres, accomplit à Jérusalem les mystères de la passion. Les quatre Evangiles sont les premiers documents qui nous retracent les actions du fils de l'Homme.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[7]- Yvan Leclerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:187.

أمل نحو ضفة مجهولة."[1] كما أراد الجمع بين الرحلة والاغتراب، ولأنَّه يمتلك القدرة على الوصف فقد راح يثير انفعال قارئه وجعله يتقاسم معه حلمه كما لو كان حاضرا وإن بالخيال (نظر عقلي) في عين المكان أو عند سفح الأهرام... وصفت لوحات (فرومنتان) أنَّها كتابةرسام أما لوحات (شاتوبريان) فقد استنفذت كل الممكنات كان الأدب هو طريقته الوحيدة للتعبير عن المدينة المنشودة التي يجري فيها الحليب والعسل لكنَّها تغطَّت بغبار الصحراء الحارق وأصبحت موحشة مقفرة ترسل من ضفاف البحر الميت مشاهد أسى وخراب وكآبة[2]، ولا دخل للظواهر الطبيعية في ذلك: "ما لاحظه جيِّدا دانفيل، في مقالته الممتازة عن القدس القديمة: "الظروف المحلية، يقول، حيث الطبيعة نفسها تقرر، ليس لها أي دخل في التغييرات التي أحدثها الزمن وجنون البشر في مدينة القدس."[3] وتأسَّف (شاتوبريان) عمَّا آلت إليه القدس (القدس المقفرة)[4]: "تحيط الجبال العالية بالقدس على امتدادها (...) الظهور المفاجئ لمدينة الأسى هذه وسط عزلة موحشة كان أمراً مرعب؛ إنَّها حقا مهد الصحراء: تقدَّمنا: منظر الجبال بقي نفسه، أي، أبيض، مغبر، معتم، دون أشجار، دون أعشاب ودون طحالب."[5] كلمة (Désolation) يضيف: "تسمية مفارقة. قبل كل شيء، تمثل القدس، بالنتيجة، الأرض الموعودة من الله لشعبه. غير أنه، صحيح أن التاريخ المقدس يطفح بالجرائم والعقوبات النموذجية."[6]

---

[1]- «J'ai plongé dans leurs eaux troublées, m'éloignant à regret du vieux rivage où je suis né, nageant avec espérance vers une rive inconnu.»

François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. Œuvres complètes. T. 11, Chap.11, p,157.

[2] - Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[3]- «C'est ce que remarque très bien d'Anville, dans son excellente Dissertation sur l'ancienne Jérusalem : " Les circonstance locales, dit- il, et dont la nature même décide, ne prennent aucune part aux changements que le temps et la fureur des hommes ont pu apporter à la vile de Jérusalem.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.La Jérusalem désolée.http://gallica.bnf.fr

[4]- (La Jérusalem désolée)

[5]- «Toute l'étendue de Jérusalem est environnée de hautes montagnes (...) l'apparition subite de cette cité des désolations au milieu d'une solitude désolée avait quelque chose d'effrayant; c'était véritablement la racine de désert. Nous avancions : l'aspect des montagnes été toujours le même, c'est - à - dire, blanc, poudreux, sans ombre, sans arbre, sans herbes et sans mousses.»

Chateaubriand.François- René de.Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[6]- «Nomination paradoxale. Avant tout, en effet, Jérusalem représente la terre promise par Dieu à son peuple. Toutefois, il est exact que l'histoire sainte regorge de crimes et de châtiment exemplaire.»

Le voyage comme objet du texte - le voyage romantique, p:79.

المبحث الثاني

لامارتين

Lamartine.Alphonse de. Souvenirs,impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (**1832 - 1833**) ou note d'un voyageur par M. de Lamartine.

نبذة عن حياة لامارتين

آثاره الأدبية

عرض الرحلة

1. المستوى العام

تاريخ النشر

مسار الرحلة

اسم محطات الرحلة

2.المستوى الفني

اسلوب الرحلة

مسار الزمان والمكان

نبذة عن حياة لامارتين:

يعتبر ألفونس ماري لويس دو برات دو لامارتين **(Alphonse - Marie - Louis de Lamartine)** واحد من أشهر أعلام القرن التاسع عشر، هو ضابط ودبلوماسي ورجل سياسي ورجل دولة ومؤرخ وكاتب روايات وخطيب ورومانسي وغنائي[1] وأحد أكبر وأهم شعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين قاطبة، وكان أوَّل من أدخل عبارة (رحلة إلى الشرق)[2] في الأدب الفرنسي. سليل عائلة ريفية نبيلة من أنصار الملكية ولد يوم الحادي والعشرين (21) أكتوبر سنة 1790 بـ (ماكون)[3]، إحدى حواضر مقاطعة (اللوار) بفرنسا. كان جده القائم على خزَّان المال لدى دوق (أورليانس) يقيم مع عائلته والحاشية في قصر الملك فرنسا وتم زفافها عشية الثورة الفرنسية من ضابط فلوس في الثامنة والثلاثين من عمره. ويأتي (ألفونس) بعد ستة بنات أما والدته التي كانت على وشك أن تضع طفلا آخر فقد برح بها الحزن لهذا النبأ إذ كيف يتاح لهما إعالة أسرة يزيد عددها في كل عام والدخل محدود ؟ إلاَّ أنها تحاول أن تروِّض نفسها على الرضا والقناعة ومن يدري فلعل المولود الجديد يكون فأل يمن وبشير سعد.[4] استقرت عائلته خريف 1797 في (saint – point)[5] أين أمضى طفولة سعيدة في أحضان الطبيعة . كانت والدته تصطحب وأخواته كل يوم عند الساعة السابعة لقضاء الصلاة حتى إذا عادت إلى البيت تناولوا الفطور ثم بدأت أعمالها المعتادة فإذا فرغت منها قرأت الإنجيل و أتبعت ذلك ببعض الدروس ومطالعة صفحات من تاريخ فرنسا[6]، يقول لامارتين: " كان لديه المخيِّلة الأكثر رهافة والأكثر تنوُّعا؛ كل أفكاره مشاعر، كل مشاعره صور."[7]

هرب (لامارتين) من مدرسة (بوبييه) الداخلية في التاسع (09) من ديسمبر سنة 1802 لكن الدرك أعاده ليتمم سنته الدراسية هناك، دخل بعدها في السابع والعشرين (27) أكتوبر من السنة القادمة (1803) إلى ثانوية (les Jésuite) التي كانت تعرف سابقا باسم (Père de la foi) حيث تابع دروسه في قسم علم البلاغة والفلسفة، و لم يمارس بعد رجوعه إلى (ميلي) سنة 1807 أي عمل بل اختار أن يكرِّس نفسه للقراءة

---

[1]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب1. الرباط: منشورات عكاظ مارس 2001م. ص:99.

[2]- د.مي عبد الكريم محمود: تائهون في صحراء الإسلام. دمشق: دار الأهالي 2003م. ص:79.

[3]- الموسوعة العربية العالمية.21. ل. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1416 هـ/1996م. ص:42.

[4]- مبارك إبراهيم: صحائف من أدب الغرب - أمُّ شاعر أو (صحائف من يوميات)
(mother of a poet" or page from the diary of "Mme de Lamartine)
ترجمه وأعده للنشر: يوستاس هارجريف. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ع 725. نوفمبر 1952م. ص:08.

5- البلدية المجاورة لميلي **(Milly)**.

[6]- نفسه. ص:11.

[7]- «Elle a de l'imagination la plus sensible et la plus colorées; toutes ses pensées étaient sentiments, tous ses sentiments étaient images.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

والشعر فكان أن كتب أبياته الأولى، وسمحت له إقامته عند صديقه (غيشو) شهري سبتمبر وأكتوبر سنة 1808 اكتشاف فلاسفة القرن الثامن عشر ، ولصرف نظره عن الزواج من السذاجة والوضيع الأصل (هنريت بومييه) أصرَّ والديه على سفره فكانت وجهته سنة 1811 إيطاليا وهناك التقى الفتاة الصغيرة الشقراء (أنطونيلا) بائعة السجائر التي استلم بعد لأي من عودته إلى فرنسا طردا بريديا صغيرا فيه ضفائر من شعرها أرسلتها إليه قبل أن توَّدع الحياة، وكان الفراغ الذي تركه حبه بقلبها سببا مباشرا في وفاتها. أراد (لامارتين) تخليد ذكراها فكتب روايته (غرازيللا) التي ظهرت أربعين سنة من ذلك، وأثناء تحريره الرواية تعلَّق قلبه بامرأة جميلة متزوجة تدعى (نينادي بيركلير) بادلته الحب وأنجبت بعدها بسنة (ليون)، صرَّح (لامارتين) أنَّه كان ثمرة غرامه بها. فشل (لامارتين) سنة 1811 في أوَّل انتخابات تشريعية له كما شهدت هذه السنة سقوط الملكية الجديدة: "أحزنتني ثورة يوليو كثيرا، لأنني أحببت أصالةً عراقة ووقار عائلة البوربون، وكان لهم حب ودم أبي، ووالده، وكل أجدادي، ولأنهم سيحصلون على دمي إذا أرادوا (...) بكيتُ هذه العائلة التي يبدو لي أنَّه قد قدِّر عليها مصير وعمى أوديب!"[1]

انتفى (لامارتين) اختياريا شهري مارس وجوان سنة 1815 إلى سويسرا والسافوا وذلك أثناء حوادث المائة يوم، والتقى على شاطئ بحيرة (بورجيه جولي شارل) خلال فترة علاج من مرض الكلى بين السادس (06) إلى السادس والعشرين (26) أكتوبر 1815 في (Aix - les Bain) بمدينة (إلسن) زوجة العالم (شارل) أمين معهد طبيس العلمي، كانت فتاة رائعة الجمال مجنَّحة الخيال مرهفة الحس أحبها لامارتين وبادلته ذات الشعور، وارتفع حبهما عن رغبة الجسد فبقي حبا صوفيا ساميا لكن سعادتهما لم تدم طويلا فـ (جولي شارل) كانت مصابة بمرض صدري أودى بها نهاية العام المقبل. حزن (لامارتين) حزنا شديدا على فقدها وبكاها كثيرا فجاء على هذا الحب العذري في قصة (روفائيل) عام 1849 وأراد الشاعر الشاب تخليد (جولي) فاختار لها اسم (الفيرا) ولقصيدته عنوان (البحيرة). ترجم (منير العجلاني) وغيره هذه القصيدة إلى اللغة العربية كما صاغها (أحمد شوقي) صياغة شعرية مشهورة ويبقى من الصعب نقلها نقلا يحفظ لها جمالها فجمالها بعضه أو أكثره في موسيقى ألفاظها وأدبياتها[2]، يفتتحها (لامارتين) بهذا البيت:

أهكذا أبدا تمضي أمانينـــــا

نطوي الحياة وليل الموت يطوينا[3]

تردد (لامارتين) أثناء إقامته في باريس بين شهري جانفي وماي سنة 1817 على صالون (مدام كارلاس)، ولأنه محب للرحل والترحال فقد كان كثير السفر سائحا في أقطار الدنيا؛ أقام لفترة في (أزمير) بتركيا[1]

---

[1]- «La révolution de juillet qui ma profondément affligé, parce que j'aimais de race la vieille et vénérable famille de Bourbons, parce qu'ils avaient eu l'amour et le sang de mon père, de mon grand - père, de tous mes parents, parce qu'ils auraient eu le mien s'ils l'avaient voulu (...) J'ai pleuré cette famille, qui semblait condamnée à la destinée et la cécité d'Œdipe! »

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[2]- الموسوعة العربية العالمية.21. ل. ط 02. ص:42.

3- ترجمة نقول فياض.

وأضاف لسفرتيه السابقتين إلى أوروبا بعد زواجه من الإنجليزية اليز ماريان برش (Marianne - Elisa Birch) في 06 جوان 1820 ثالثةإلى إيطاليا. كان قد وصل نابولي شهر جويلية 1820 وأكمل إقامته من سبتمبر إلى أكتوبر في (إشيا) ليغادر نابولي إلى روما في 20 جانفي 1821 وذلك بتصور أولي عن الرؤى. ازدان (ألفونس دو لامارتين) الصغير في روما بتاريخ 15 فيفري 1821 ثم (جوليا دو لامارتين) بـ (ماكون) في 14 ماي 1822، لكن الموت انتزع منه بداية ابنه في 04 نوفمبر 1822 بباريس ثم شقيقته (سيزارين دو فينيي) في فيفري 1824. عمل (لامارتين) إبان فترة الإصلاح الأولى لمدة قصيرة في الجيش كحارس لـــ (لويس الثامن عشر) لكن ميولا ته الأدبية تغلّبت على شرف الساحة فعاود التوهد عل الصالونات الأدبية.[2] تجاوز (لامارتين) الخامسة والثلاثين (35) ولا يزال عاطلا عن العمل وعليه ممارسة نشاطا آخر فكان الدبلوماسية، ولعل لنشأته في زمن الثورة الفرنسية الثانية وما حبته به الطبيعة من مزايا المهيّجين والزعماء وحبهم للحرية والمساواة دورهما في دخوله الميدان السياسي[3] حيث جال جولته، أُلحق (لامارتين) بسفارة إيطاليا بين سنتي 1825 و 1828 لكن وفيما هيأّت له (فلورنسا) المناخ المأمول جعلته (نابولي) يشعر بالنفور، عينّه (شارل العاشر) بعد إخفاقه في انتخابات عضوية الأكاديمية الفرنسية أمينا لسر دار المفوضية في جويلية 1825، وقد كانت فترة نجاح وخصوبة أدبية ألّف فيها (التناغمات الشعرية والدينية) التي يرجع لها أكبر الفضل في وصوله إلى الذروة[4]، لكن الموت عاد ليختطف منه والدته في الحادي والعشرين (21) أكتوبر عام 1829 مسموطة بالماء الساخن في أحد الحمامات العامة[5]، دفعه ذلك إلى كتابة نشيده ضد عقوبة الموت الذي تم نشره في 15 ديسمبر 1830، قدّم سنة 1830 بعد سقوط (شارل العاشر) وتغيير السلطة استقالته واضعا بذلك حدا لنشاطه الدبلوماسي وقبلها انتخب يوم الخامس (05) من نوفمبر 1829 في الأكاديمية الفرنسية وهناك في باريس التقى بـــ (شاتوبريان) و (فكتور هوغو)) وربطته علاقة مع (سانت-بوف). أبحر من مرسيليا في 10 جويلية 1832 نحو الشرق وفي بيروت اختطف منه الموت ابنته الوحيدة (جوليا)، وتعكس بعض أعماله مثل (سقوط ملاك) سنة 1838 و(جوسلين) قبلها بسنتين عن تأثر عميق تركه موتها بإيمانه تترجم في تعديل رؤيته عن الدين: "وبعد، كنت ولا زلت دائما تقريبا، مسيحيا بالقلب والاعتقاد؛ جعلتني أمي هكذا : توقفت أحيانا أن أكون كذلك في الأيام السيئة والأقل صفاء لشبابي الأول؛ الفاجعة والحب (...) في هذا المنفى الأول لأفكاري، في تسالي القلب هذه (...) عندما تختلط كل أصوات القلب بداخلنا، عندما يظهر كل فراغ الحياة بعد شغف انطفئ، أو موت لا يتركنا نحب شيئا ! (...) كل منطقي الديني هو هذا؛ لا تعلو فلسفتي أكثر من ذلك؛ تمنع عنّي الشكوك، الحوارات الغير منتهية للعقل مع نفسه؛ تترك لي إيمان القلب هذا، الذي يرتبط جيدا مع جميع المشاعر اللاّ محدودة لحياة الروح؛ لا يحل شيئا، لكنه

---

[1]- http://ar.Wikipidia.org/wiki/ألفونس_دي_لامارتين

[2]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires françaises du dix - neuvième siècle, p:57.

[3]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي .. مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:30(بتصرف).

[4]- المعارف الحديثة - الآداب 1. ص: 102(بتصرف).

[5]- الموسوعة العربية العالمية.21. ل. ص:42.

يخف كل شيء."[1]

كان قد انتخب في وقت سابق رئيسا لبلدية (ميلي)، وأثناء تواجده في آسيا الصغرى عيِّن نائبا في البرلمان الفرنسي فعاود بعد عودته من الرحلة الشرقية نشاطا سياسيا استمر لخمس عشرة سنة . انتقل تحت وزارة (جيزو) إلى صف المعارضة ولكسب تأييد واسع تصاحب مع (الدوق رولان) وقدَّم (تاريخ الجيروندين) في شكل كتاب أخلاقي عن السياسة والثورة كشف فيه نيته وميوله فكان أقرب إلى كتاب ترويج ودعاية، وقد استقبله الجمهور بحماس وساهم في ائتمان (لامارتين) إلاَّ أن مواقف هذا الأخير تغيرت بتحوُّله إلى صف اليسار خلال سنوات (1830 - 1840) ورفضه الدفاع عن السلطة الشرعية. شغل في 24 فيفري 1848 منصب وزير الخارجية ووصل إلى القمة سياسيا بانتخابه رئيسا للحكومة المؤقتة في 23 أفريل 1848 من عشر محافظات وحصوله على 00 600 1 صوت. أعلنت الحكومة المؤقتة قيام الجمهورية وتبنَّت العلم ثلاثي الألوان الذي تخلي عليه فترة الإصلاح كأوَّل إجراءين اتخذتهما وخطاب (لامارتين) عن العلم ذائع الصيت، لكنه لم يتحصلَّ في الانتخابات الرئاسية الجمهورية التي أجريت بتاريخ العاشر من أكتوبر 1848 سوى على 940 17 صوتا[2]، ومع وصول (لويس نابوليون الثالث) إلى السلطة عادت الإمبراطورية وقد أعلن عن ذلك شهر ديسمبر 1852، أما (لامارتين) فوضع حدًّا نهائيا لنشاطه السياسي بتوقيعه على مرسوم إبعاده عن الساحة السياسية وما يشغل به الشاب البطّال في انتظار عودة الملكية خاصة بعد انقلاب الثاني (02) من ديسمبر 1851 الذي تسبب في إيقاف (مستشار الشعب) [1849 – 1851] (Le conseiller du peuple) وهي جريدة أسسها (لامارتين) وأدارها بنفسه وأفادته في التخفيف من متاعبه المالية بتكريسها لنشر أعماله الكاملة، كان الأسفار والقراءة وغرامياته [3] محاولا البحث عن العزاء على الحبيبة الراحلة في أحضان غيرها ، والأميرة الإيطالية (كونتسه دي لارش) واحدة مرهن وهي التي ا عتقد (لامارتين) أنَّها حاولت أن تدس له السم يوم علمت بإقباله على الزواج، وبقي الشاعر العاشق والرجل الذي أحب عشرات النساء مع زوجته التي تكبره سنا، ولعل هدفه من الزواج بامرأة لا يحبها ضاربا بعرض الحائط عدم موافقة الأسرة كان المال بالدرجة الأولى؛ فثروته مشرفة على النفاذ وثروة الفتاة الإنكليزية (اليز ماريان برش) كبيرة، لكنه ينفق بلا حساب وفقد كل شيء ومعها الثروة المعتبرة التي جمعها من بيع كتبه واستثماره في مزرعة الكرم بـ (ماكون)، وعليه الآن مقاومة المرض ومواجهة الإفلاس وتسديد الديون التي تراكمت عليه، فاضطر أن يكتب على عجلة دون هوادة وزوجته تساعده في نسخ ما يكتب، وقد شهدت فترة

---

[1]- «Et puis j'étais, j'avais été, presque toujours, chrétien par le cœur et par l'imagination; ma mère m'avais fait tel: j'avais quelque fois cessé de l'être, dans les jours les moins bons et les moins purs de ma première jeunesse; le malheur et l'amour (…) dans ce premier asile de mes pensées, dans ces consolations du cœur (…) Quand tout le brui du cœur tombe au - dedans de nous, quand tout le vide de la vie nous apparaît après une passion éteinte, ou une mort qui nous laisse rien à aimer! (…) toute ma logique religieuse était là; ma philosophie ne montait pas plus haut; elle m'interdisait les doutes, les dialogues interminables de la raison avec elle - même; elle me laissait cette religion du cœur, qui s'associe si bien avec tout les sentiments infinis de la vie de l'âme; qui ne résout rien, mais qui apaise tout.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[2]- Charle Dantzig: Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus. Choix,notice et préface (A.DE Lamartine par Victor Hugo), p:11.

[3]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires françaises du dix- neuvième siècle,p :57.

الإمبراطورية الثانية (1852- 1870) نشر مجموعة من كتب بعضها روايات تكشف كثيرا من أسرار فترة الفتوَّة وغراميات[1]، يقول في مقدمة أعماله الكاملة: "أكتب شعرا عندما لا أجد الوقت لأكتب نثرا."[2]

قبِل سنة 1857 هبة من الإمبراطور (نابوليون الثالث) بنصف مليون وراتب دائم ومنزل عند الساحل في مدينة (باريس) رغم أنه كان يعتبره غاصب حق ولا يمكن الدخول في خدمته دون التناقض مع مبادئ معينة واستنكاره سنة 1852 للقمع الذي تتعرض له الحركات العمالية، لكن ذلك لم يكن كافيا واضطر إلى بيع الامتيازات الإقليمية الواسعة التي منحه إياها السلطان والتنازل عن أعماله القديمة لصالح شركة خاصة والتخلي عن ملكية العائلة وبيع منزل طفولته بـــ (ميلي) سنة 1860 وعرض مجاله بـ (سانت بوان) للبانصيب في 21 ماي 1863! خانته قوته فلم يستطع السير خلف نعش زوجته وازدادت حالته سوءا إثر إصابته سنة 1867 بسكتة دماغية أفقدته الإدراك واستعمال اللغة لذلك قامت إحدى قريباته على خدمته.

صوَّت المجلس التشريعي في 21 أفريل 1867 على مكافأة قومية لـ (لامارتين) وفي سبتمبر من نفس السنة تزوَّج من (فالنتين دو سيسيات)[3]، قضى (لامارتين) نحبه بمدينة (باريس) في الثامن والعشرين (28) فيفري 1869 عن عمر الثامنة والستين (68)، رحل – وكل حي إلى رحيل- وسط قساوة ولا مبالاة الجمهور الأدبي فاقدا لشعبيته وعليه دين كبير ، لكن التاريخ أنصفه فبقي يشهد له بكبر موهبته وتميزه وبقائه ما بقي الأدب وما بقي الزمان.[4] كان اسم (إلفيرا) آخر ما تمتم به العاشق الكبير، ناداها وهو يقبِّل الصليب الذي كانت العشيقة المريضة قد أودعته قبلتها الأخيرة، وقد دفن في مقبرة سانت بوان (saint – point) بالبلدية المجاورة لميلي (Milly).

حاول (لامارتين) البرهان على أصله الشرقي وانحداره من سلالة عربية، وبعد متابعة وجد أن أجداده قد نزلوا جنوبي فرنسا مع من نزل إليها من العرب الفاتحين[5] أما اسمه الحقيقي فهو (الأمرتين) بزيادة أل التعريف العربية[6]، وعندما أخبرته (الليدي استير استانهوب) أنها ترى فيه ملامح رجل شرقي شعر بسعادة كبيرة، وقد استدل كثير من الكتَّاب الغربين مثل كونديي و بيير دو لاكرتيل على الأصل العربي لعائلة (آل مرتين) وردَّه (كونديه) في مذكراته إلى الشبه الكبير بينه وبين كثير من الأسماء العربية نحو آل سعود و آل حمود وغيرهما ونسج آخرين حكايات وأساطير تزعم أن (لامارتين) من نبلاء الفرنسيين وأجداده هم من العرب والمسلمين الذين أسرهم الصليبيون وأن لفظية (مرتين) هاته لا معنى لها أو هي على الأرجح (مردين) نسبة إلى بلدة تقع بين جنوبي الأناضول الشرقي وشمال سوريا[7] لذلك فـــ (آل مرتين) هو (المارديني)، كما

---

[1]- Philippe Berthelot: Supplément à l'article Lamartine de la grande encyclopédie: inventaire raisonné des Sciences, des lettres et des arts. T. 29, pp:814 - 815

[2]- « J'écris en vers quand je n'ais pas le temps d'écrire en prose. »
M. de Lamartine: Œuvres complètes. Imprimerie de Vialat. Furne et Cie.Lagny.Paris, 1850. T.01, p:28.

[3]- Alphonse de Lamartine: Méditation poétique, Nouvelle médiation poétique suivie de poésie diverses. Gallimard.Paris,1981, p:434.

[4]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:30.

[5]- G. Clouget et C. Fegda: Lamartine collection - la vie anecdotique et pittoresque des grands écrivains. Paris, p:67.

[6]- جورج غريب: أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. ص:08.

[7]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:132.

تصدَّى كتَّاب عرب إلى جنسية (لامارتين) ولبَّى حسن باشر والأستاذ عبد الله كنون سريعا نداء (أحمد حسن الزيات) في مقال كتبه لإحدى أعداد (مجلة الهلال) وفيه أن (لامارتين) يعلن بثقة جنسيته العربية لكن الكتَّاب الفرنسيين لا يؤيدون هذه النسبة فهل فينا من يصمد لهذا البحث في مضانه ويضيف إلى عبقرية العرب هذه العبقرية الخالدة ويرجع إلى أرواح العرب هذه الروح الشاردة؟[1]

آثاره الأدبية:

ذهب (لامارتين) السياسي بذهاب ذلك العصر المضطرب وبقي الشاعر والناثر والسائح القصصي والخطيب والأديب واسع الاطلاع متنوِّع القراءات: "كنت وما زلت الإسفنج الذي شرب وأعاد كل الحبر المسكوب في العالم لكتَّاب من مجالات وعصور وبلدان مختلفة ."[2] وذكَّرنا كلامه بمجادلة دارت بين عنكبوت ونحلة: "عابت العنكبوت على النحلة جمعها عصارة ألف زهرة حتى تشيّد بناءها من الشهد والعسل، في حين إنني، تضيف منتصرة، نسيجي كله من خيوط أصلية لي."[3]

تعددت أعمال هذا المبدع الشعرية وتنوّعت مؤلفاته النثرية وجعلنا نتذوَّق رنَّات الموسيقى في شعره ونحس هزَّات المشاعر في نثره[4]:

Saùl (**1818**)، مأساة في شكل قصيدة مسرحية.[5]

تأملات شعرية (**1820**)، باكورة مشوار لامارتين الأدبي، حظيت عند ظهورها برواج باهر سيمَا في الأوساط الكاثوليكية وكان ملك فرنسا نفسه وبعض حاشيته كالوزير (طاليران) يرددون أبياتها عن ظهر قلب، ومع أن غلاف المجموعة الشعرية لم يكن يحمل أي اسم لكن الجميع في الصالونات الأدبية كان يعلم أن الشاعر يدعى (لامارتين)[6]، ضمَّ الديوان أربعاً وعشرين (24) قصيدة غنائية قلبية أشبه بمذكرات شخصية شخصية لعل أشهرها جميها قصيدة (البحيرة) التي اعتبرها كثير من النقاد إلى جانب إبداعات (شاطوبريان) فاتحة عهد جديد في الشعر[7] ومنهم من جعلها أول مؤلَّف رومانسي خالص في الأدب. أضاف (لامارتين) إلى الطبعة الثانية بداية شهر أفريل 1820 تأملين هما: (La retraite) و (Le génie)، ومع توالي الطبعات التي بلغت بين ماي 1820 وبداية جانفي 1821 خمس (05) طبعات أكَّد العمل على نجاحه المطلق ، وأعلن بيان الفهارس الفرنسية في 19 جانفي 1822 عن طبعة ثامنة عرفت انتشارا بطيئا مقارنة بالطبعات السابقة

1- حبيب جاماتي. مجلة الهلال. بيروت: تموز 1955م. ص:49.

2- «J'ai été, et je suis encore l'éponge qui a bu, et rendu toute l'encre versée dans le monde par les écrivains de tous genre, de tous siècles, de tous pays.»
Lamartine par luìs même, p:80.

3- «L'Araignée reprochait à l'abeille de ramasser le suc de mille fleurs pour en faire son édifice de cire et de miel; tandis que moi, ajoutait- elle triomphante, je tire de mois - même mon tissu entier en fils originaux.»
Henri Heine: De la France. Ed Michel Lévy, 1857, p:243.

4- الأستاذ راشد رستم، لامارتين الشاعر الفرنسي ،عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:30.

5- Remy de Gourment: La jeunesse de Lamartine. Promenades littéraires, 2005, p:228.

6- المعارف الحديثة - الآداب 1. ص:99.

7- Jean Beauté:Introduction à la littérature Française. p:169.

ما دفع (لامارتين) إلى التفكير في التجديد ، وفعلا فقد أغنى طبعته التاسعة نهاية شهر ديسمبر سنة 1822 بأبوبع تأملات جديدة[1] لكنَّه أبقى على نفس محتوى وترتيب المجموعة الأصلية، وضمَّت الطبعة العاشرة

ثماني وعشرين (28) سنة بعد ذلك والصادرة عن دار النشر (قائمة المكتتبين) واحداً وأربعين (41) تأمُّلاً[2].

موت سقراط (**1823**)، مجموعة قصائد.

التأملات الشعرية الجديدة (**1823**)، لم تعرف هذه المجموعة النجاح.

Dernier chant de pèlerinage d'Harold (1825).شعر

Ode contre la peine de mort (15 décembre 1830) .ش

Dans l'avenir, à la revue Némésis (20 juillet 1831).

Le chant du sacre ou la veille des armes (1825).ش

التناغمات الشعرية والدينية (جوان **1830**)، قصائد غنائية صوفية استغرق نظمها أربع (**04**) سنوات، ولها فضل كبير في وصول فنه إلى الذروة.[3]

Des destinées de la poésie à la revue Des deux mondes (15 mars 1834).

رحلة إلى الشرق (**06 أفريل 1835**)، جعله كثير من النقاد على رأس أعماله الفنية.

جوسلين (**22 فيفري 1836**)، وكانت بداية مشروع لسلسلة ملحمية ظهرت في التاسع (09) ماي 1839، تروي لتاريخ الروح الإنسانية وضمَّت إلى جانب (**جوسلين**) كلاًّ من (**سقوط ملاك**) و (**المجموعة الشعرية**) التي تألَّفت من أحد عشر ألف بيتاً أقرب إلى التراجيديا؛ استغرق فيها (لامارتين) خاشع في تأملات تنادي بالأخوة الإنسانية وكان المنشد لمسيحية ليبرالية متساهلة غنائية واجتماعية.

Discours sur le retour des cendres de l'empereur (1840).

La Marseillaise de la paix (1841).ش

تاريخ الجيروندين (**1846**)، انسجامه مع روح الرومانسية الشغوفة بالثورة دفعه إلى التأريخ.[4]

Trois mois au pouvoir(1848).

Histoire de la révolution de février(1849).

Confidences(1849).

رفائيل (**20 جانفي 1849**)، سيرة ذاتية من أعماله الرئيسية.

Œuvres complètes [41 vol] **(1849 - 1850)**.

Toussin Louverture (1850).

Nouvelle confidence (1851).

Geneviève, histoire d'une servante (1851).

1- A Elvire, Ode, La Naissance du duc de Bordeaux, Philosophie.

2- Alphonse de Lamartine: Méditation poétique - Nouvelles Méditation poétique suivie de poésies diverses et vie de Lamartine (1790 -1869), p:435.

3- المعارف الحديثة - الآداب 1. ص: 102(بتصرف).

4- موسوعة المعارف الحديثة - الآداب 1. ص:30.

Le tailleur de pierre de saint – point.

Nouveau voyage en orient.

Histoire de la restauration [8 vols] **(1851 - 1853)**.

غرازييلا (**1852**)، تأتي أيضا في قائمة أعماله الرئيسية وهي غنية بالكثير من البوح والأسرار.

Lectures pour tous (15 avril 1854).

قراءات منتقاة من (لامارتين) نفسه.[1]

Histoire de la Turquie [2 vol] **(août 1855)**.

Vie des grands hommes [5 vol] **(1855)**.

Cours familier de littérature [28 vol] **(mars 1856 - 1869)**.

استمر (لامارتين) بتسليم تلك الدروس للمشتركين شهريا منذ تاريخ أول تسليم في مارس 1856 وحتى وفاته.[2]

نُشر له سنة 1857 قصائد كثيرة منها: **الصحراء**، **الكرمة** و **المنزل**، وغيرهما...كما ظهرت له روايات قدِّمت صورة عن (لامارتين) الرومانسي المتواضع.[3]

Antar ou la civilisation pastorale (1864).

ترجمة باللغة الفرنسية لأبيات مختارة من شعر عنترة.

La France parlementaire (1864 -1865).

شهدت السنوات التالية لوفاته نشر العديد من الأعمال نذكر منها:

Mémoires inédits (1871).

مخطوطات أمي (1871) Manuscrit de ma mère

ظلت أم الشاعر الغنائي (لامارتين) السيِّدة (دى لامارتين) تدوِّن مذكراتها كل يوم طوال ثمانية وعشرين عاما (28) إلى غاية وفاتها في الحادي والعشرين من أكتوبر 1829[4]، ولم يكن يراد لتلك الصحائف أن تنشر لكن الشاعر خسر وظيفته في السلك الدبلوماسي فاضطر بسبب الحاجة للمال إلى بيع النسخة المخطوطة من تلك المذكرات شرط أن لا تنشر إلاَّ بعد وفاته، وطبقاً لذلك الاتفاق تم نشرها بعد سنتين من وفاته بعنوان (مذكرات أمي بخط يدها)، ضمَّت جامعة مائة وواحدة يومية من يوميات تلك السيدة مهَّد لها (لامارتين) بمقدمة ردَّ فيها حلاوة تلك المذكرات إلى طيبة ذلك القلب لا إلى أسلوب الكاتبة في رقته وعذوبته.

Poésies inédites (1873).

---

[1]- Alphonse de Lamartine: Méditation poétique, Nouvelles Méditation poétique suivie de poésies diverses et vie de Lamartine (1790 - 1869), p:41.

[2]- Alphonse de Lamartine: Méditation poétique, Nouvelles Méditation poétique suivie de poésies diverses et vie de Lamartine (1790 - 1869), p:74.

[3]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires français du dix- neuvième siècle, p:57.

[4]- مبارك إبراهيم: صحائف من أدب الغرب.. أمُّ شاعر أو (صحائف من يوميات مدام دى لامارتين)
(mother of a poet" or page from the diarry of "Mme de Lamartine)
ترجمه وأعده للنشر: يوستاس هارجريف. مجلة الثقافة ع 725. نوفمبر 1952م. ص:02.

Correspondance (1873 - 1875).[1]

عرض الرحلة:

تدوينات (لامارتين. ألفونس دو): [ذكريات انطباعات أفكار ومراظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق (**1832 – 1833**) أو مﻻحظات رحَّالة للسيِّد. دو لامارتين].

[Lamartine.Alphonse de. Souvenirs,impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833) ou note d'un voyageur par M. de Lamartine].

1. المستوى العام:

تاريخ النشر:

نُشر:

Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en orient (1832 - 1833), ou notes d'un voyageur par M Alphonse de Lamartine.

في 06 أفريل 1835 في أربعة أجزاء [04 volumes in – 08]، وثبتت مع (جوسيلين) في فهرس الكتب بروما في 22 سبتمبر 1836.

مسار الرحلة:

كانت رحلة طويلة نسبيا استغرقت سنة (1832 – 1833) وشملت الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط قادته من مرسيليا إلى اليونان فسوريا ففلسطين فآسيا الصغرى وكانت العودة عن طريق تركيا الأوروبية. أبحر (لامارتين) من مرسيليا على متن سفينة (الألساسط) في 10 جويلية 1832. وعن حفاوة الاستقبال الذي حظي به يوم الخامس والعشرين (25) ماي كتب في الثلاثين (30) من نفس الشهر:

"استقبلتنا مرسيليا كما لو كنَّا أطفال سمائها الجميلة (...) سأحمل في قلبي ذكرى خالدة عن حسن ترحيب المرسيليين، بدا لي أنهم يريدون أن ينمّوا في داخلي تلك الشجون التي تشدّ القلب عندما يهمّ المرء بمغادرة الوطن دون معرفة إن كان لن يراه ثانية أبدا."[2]

وصل المركب إلى مالطا يوم 22 جويلية 1832: "خفَّت الريح؛ يمكننا الصعود على سطح السفينة، والإبحار سبعة عقد في الساعة (...). بعد ليلة من الأمطار، لمحنا جزر غوزو ومالطا تلوح تحت الضباب، على بعد

---

[1]- Alphonse de Lamartine: Méditation poétique, Nouvelles Méditation poétique suivie de poésies diverses et vie de Lamartine (1790 -1869), p:68.

يمكن التوسُّع أكثر في أعمال (لامارتين) ومضمونها بالعودة إلى كتاب:

Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, pp 430 - 432.

وكذا الاستفادة من رسم بياني يبرز المحطات المميزة في حياة (لامارتين) عبر زيارة هذا الموقع على الإنترنت:

http://www.Alphonse de Lamartine [1790] - [1889].htm_dossié/Poésie française.fr

[2]- «Marseille nous accueille comme si nous étions des enfants de son beau ciel (...) J'emporterai dan mon cœur une éternelle mémoire de la bienveillance des marseillais, il semble qu'ils veuillent augmenter en moi ces angoissent qui serrent le cœur quand on va quitter la patrie sans savoir si on la reverra jamais.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

خمسة أو ستة أميال عن الأفق."[1] صعد بعدها إلى اليونان ثم القدس التي غادرها في 03 أكتوبر 1832: "غادرتُ القدس أمس، الثالث (03) من أكتوبر، في السابعة صباحا مع كامل قافلتي: ستة من جنود إبراهيم باشا، ابن شقيق أبوغوش، وأربعة فرسان لهذا القائد؛ ثمانية فرسان عرب من نابلس، بعثتهم حكومة القدس (...) جعلنا عرب نابلس على رأس القافلة؛ كل فارس مطالب بتتبع خطوة بخطوة من قبله."[2]

اجتاز (لامارتين) القسم الشمالي من فلسطين (Galilée)[3]، وفي الثلاثين (30) أكتوبر 1832 استقل المركب الذي رسا بميناء بيروت يوم السادس (06) سبتمبر 1832: "غادرنا الساعة الرابعة. كنت مرافقتا بالدكتور ليوناردي، مسيو 'بارسفال'، خادم ودليل، كنَّا جميعا نركب الخيل، على بعد نصف ساعة من بيروت، خشب صنوبر رائع كان الأمير فخر الدين أول من غرسه."[4]

حلَّ (لامارتين) بمدينة بيروت يوم السابع (07) سبتمبر، وكيف أنه صرف النهار كله يبحث في ضواحي المدينة عن مسكن إلى أن وفقَّ في إيجاد منزل يتألفَّ من غرفة واحدة تنام فيها الأسرة كلها ومن قبو يتناولون فيه الطعام على بعد عشر دقائق من قلب المدينة بيت من بيوت حي مارون شلهي النادي الكاثوليكي القديم يصلون إليه عبر طريق ضيقة مرورا بقناطر قديمة تتدلى فوقها ألواح الصبير الشائك وبرج كبير شيَّده أمير الدروز (فخر الدين) واتخَّذه حرس (إبراهيم باشا) مرقبا[5]، لكن وفاة ابنته في بيروت يوم السابع (07) ديسمبر 1832 اضطره للعودة إلى فرنسا حيث وارى جثمانها التراب في مدافن الأسرة بمدنية ماكون: "غادرت بيروت إلى بعلبك ودمشق، في العشرين (20) مارس، تتكوَّن القافلة من 26 فرسا، وثمانية أو عشرة عرب مترجلين للخدمة المنزلية والحراسة."[6] عاد (لامارتين) سنة 1850 ليتمِّم رحلته الشرقية بزيارة إلى تركيا امتدت من 21 جوان إلى 06 أوت 1850.[7] وتعتبر رحلة (لامارتين) البحرية إلى الشرق سنة 1832 رفقة زوجته وابنته الوحيدة (جوليا) ذات الاثني عشر (12) ربيعا[8] وطبيبه الخاص بمثابة أول

---

[1]- «Le vent s'adoucit; nous pouvons monter sur le pont, et filant sept nœuds par heure (...) Après une nuit d'averse; nous voyons les iles de Gozzo et de Malte surgir au - dessous de la brume, à cinq ou six lieues à l'horizon.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[2]- «Parti hier, 03 octobre, de Jérusalem à sept heur du matin, avec toute ma caravane: six soldats d'Ibrahim - pacha, le neveu d'Abougosh, et quatre cavalier de ce chef; huit cavaliers arabe de Naplouse, envoyées par le gouvernement de Jérusalem (...) Nous plaçons les arabes de Naplouse à la tête de la caravane; chaque cavalier à l'ordre de suivre pas a pas celui qui le précède.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[3]- Sargua Moussa: Voyage en orient par Alphonse de Lamartine. Collection textes de littérature moderne et Contemporaine.©Biblio Monde.com. Honoré champion.2000, p:85.

[4]- «Nous partîmes à quatre heures. J'étais accompagné du docteur Léonardi, de M. Parseval, d'un domestique et d'un guide; nous étions tous à cheval, à une demi - heure de Beyrouth, un bois de sapins magnifiques plantés originairement par l'émir Fakardin.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[5]- نفسه.

[6]- «Le 20 mars, je pars de Beyrouth pour Balbek et Damas, la caravane se compose de vingt - six chevaux, et huit ou dix arabes a pied pour domestique et escorte.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[7]- نفسه.

[8]- Evelyne Bloche - Dano: Le bourgogne de Lamartine. Magazine littéraire. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n°390, septembre 2000, p:03.

زيارة فعلية له إلى تلك المنطقة . ركب الجميع مع وفد من المغامرين على متن سفينة L'Alceste أعيرت خصيصا لـ (لامارتين): "سفينة ذات طاقة 250 طنا، بطاقم من تسعة عشر رجلا."[1]

يصف (لامارتين) السفينة من الداخل كالتالي : "قمنا بزيارة سفينتنا، مترلنا لعدة أشهر ! حُجزت الغرفة الكبيرة للسيدة دي لامارتين وجوليا . تنام الخادمات في الغرفة الصغيرة للقبطان، التي أراد تركها لنا . يزحم المركب بمئونة من كل نوع بما تقتضيه رحلة لمدة سنتين في بلاد دون موارد . مكتبة من خمسمائة مجلد، اختيرت جمعا من كتب التاريخ، الشعر أو الرحلات، إنها أجمل زينة لأكبر غرفة ."[2] وتحسبا من غارات القراصنة اليونانيين وغيرهم: "كُدِّست رزم من السلاح في الزوايا، اشتريت علاوة على ذلك، ترسانة خاصة من البندقيات، المسدسات والسيوف لتسليح أنفسنا ورجالنا."[3]

عانى (لامارتين) من أحزان ميتافيزيقية لا تكاد تنقطع وكابد تباريح روحانية، ومن النادر أن تخامره نفحة تمرد بل يشعر بالحاجة إلى عطف الطبيعة وتفهمها وأن تحِّس بوجوده ووجود حبيبته[4]: "نحب العالم من خلال الذين نحبهم ."[5] كان يرى أن الشاعر كائن منعزل وحيد[6]، ولا يطلعنا على شيء في نفسه ولا خارجها سوى يأسه العميق ورغباته الغامضة في جو من انعدام الزمان والمكان وتأكيد عاطفته والتحسر على حبه وسط أحزانه:

منذ الرضاعة كنت إنسان ألم؛

قلبي بدلا من الدم؛ لا يدفق غير الدموع:

أو بالأحرى من هذه العبرات أبهجني الله بالجمال،

حجَّرت الدموع قلبي.[7]

ويحضرنا في مثل هذا المعنى بيت لـــ (شوقي):

تفرَّدت بالألم العبقري وأنبغ ما في الحياة الألم[8]

---

[1] «Un navire de deux cent cinquante tonneaux, de dix- neuf hommes d'équipage.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[2] «Nous avons été visité notre navire, notre maison pour tant de mois! La grande chambre est réservée pour Madame de Lamartine et pour Julia. Les femmes de chambre coucheront dans la petite chambre du capitaine, qu'il a bien voulu nous céder. Le brick est encombré de provision de tout genre que nécessite un voyage de deux ans dans des pays sans ressources. Une bibliothèque de cinq cent volumes, tous choisis dans les livres d'histoire, de poésie ou de voyage, c'est le plus bel ornement de la plus grande chambre.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[3] «Des faisceaux d'armes sont groupés dans les coins, et j'ai acheté en outre, un arsenal particulier de fusils, de pistolets et de sabres pour armer nous et nos gens»

نفسه.

[4]- د. حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:172.

[5]- «On admire le monde à travers ce qu'on aime.»
M. de Lamartine: Jocelyn. Œuvres complètes. Imprimerie de Vialat. Furne et Cie.Lagny. Paris,1850. T.03, p:167.

[6]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. الكويت: الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة - وزارة الإعلام. م 14. ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

[7] Je fus dés la mamelle un homme de douleur;
Mon cœur au lieu de sang; ne roule que des larmes:
Ou plutôt de ces pleures Dieu m'a réjouí les charmes,
Il a pétrifié les larmes mon cœur.
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[8]- حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:147.

إنَّ استيقاظ المسافر الكامن في أعماق (لامارتين) عزاه بعض النقاد إلى (جوسلين)، وجوسلين رواية تراجيدية مكتوبة شعرا كانت بداية لمشروع ملحمة مسيحية بطولية مطوَّلة (ثمانية آلاف بيت)[1] استلهمها من حياة (الأب دومون) راعي أبرشية ميلي ، أخفى في ثناياها هجوما عنيفا على العزوبية التي تفرضها الرهبنة على معتنقها،[2] أما (لامارتين) فله ما يقوله: "تسلَّمت أمي عن والدها على فراش الموت إنجيلا جميلا جميلا لـــ رويامونت لقنتني فيه القراءة طفلا صغيرا . كان في هذا الكتاب المقدس نقوش عن مواضيع مقدَّسة في جميع الصفحات (...) كنت أحترق إذن ، منذ سن الثمانية ، بالرغبة في الذهاب لزيارة هذه الجبال حيث نزل الله؛ هذه الصحارى حيث جاءت الملائكة تظهر لهاجر النبع الخ في (...) هذه الأنهار التي تخرج من الجنة الأرضية؛ هاته السماء حيث نشاهد صعود ونزول سلم يعقوب (...) لم تنطفئ أبدا هذه الرغبة من نفسي؛ حلمت دائما منذ ذلك الحين؛ رحلة إلى الشرق، كصنيع كبير لحياتي الداخلية : ألَّقت باستمرار في فكري ملحمة دينية ضخمة (...) أخيرًا، يجب أن أستمد ألوانا لقصيدتي؛ لأن الحياة كانت دائما لفكري قصيدة عظيمة، مثلما كانت لقلبي الحب . الله، الحب والشعر، هي الكلمات الثلاث التي أرغب نقشها وحدها على حجري، إن كنت أستحق فعلا حجرًا (...) لهذا أنا في مرسيليا، وأتحمل كثيرا من الألم لمغادرة بلد أحبّه، أين لدي أصدقاء، حيث بعض الأفكار الأخوية تبكيني وتتبعني."[3] دوافع ترجمها شعرا قبل مغادرة مرسيليا في خطبته (سلام على أكاديمية مرسيليا) ضمَّها مؤلفه (ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق). راوده غالبا إحساس بأنَّه ابن الشمس وجوَّاب البقاع[4] وأن جسده جسده وروحه هما أبناء ضوء الشمس وأنهما في حاجة إلى شعاع الحياة الذي يأتي من هناك: "كان الشرق طيلة حياتي حلم أيامي الغابرة في ضباب خريف وشتاء وادي نشأتي . جسدي، مثل روحي، ابن الشمس؛ يحتاج إلى الضوء، يلزمه شعاع الحياة الذي لا يبعثه هذا النجم السهمي، من رحم غيومنا الغربية الممزقة ، لكن من عمق هذه السماء الأرجوانية التي تشبه فم الفرن."[5]

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية.21.ل. ط 2. ص:42.

[2]- مبارك إبراهيم، صحائف من أدب الغرب .. أمُّ شاعر أو (صحائف من يوميات مدام دى لامارتين)
(mother of a poet" or page from the diarry of "Mme de Lamartine)
ترجمه وأعده للنشر: يوستاس هارجريف. مجلة الثقافة. ع 725. نوفمبر 1952م. ص:22.

[3]- «Ma mère avait reçu de sa mère au lit de mort une belle bible de Royaumont dans la quel m'apprenait à lire quand j'étais petit enfant. Cette bible avait des gravures de sujets sacrés à toute les pages (...). Je brûlais donc, dés l'âge de huit ans, du désir d'aller visiter ces montagnes où dieu descendait; ces déserts où les anges venaient montrer à Agar la source cachée (..) ces fleuves qui sortaient du paradis terrestre; ce ciel où l'on voyait descendre et monter l'échelle de Jacob (...) Ce désir ne s'était jamais éteint de moi; je rêvais toujours depuis; un voyage en orient, comme un grand acte de ma vie intérieure: je construisais éternellement dans ma pensée une vaste et religieuse épopée (...) Enfin, je devais y'épuiser des couleurs pour mon poème; car la vie pour mon esprit fut toujours un grand poème, comme pour mon cœur elle fut de l'amour. Dieu, amour et poésie, sont les trois mots que je voudrais seuls gravés sur ma pierre, si je mérite jamais une pierre (...) voilà pourquoi je suis à Marseille, et je prends tant de peine pour quitter un pays que j'aime, où j'ai des amis, où quelque pensées fraternelles me pleurant et me suivent.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[4]- راشد رستم: لامارتين الشاعر الفرنسي،عربي.. مجلة الثقافة . السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:12.

[5]- «Toute ma vie l'orient avait été le rêve de mes jours de ténèbres dans la brume d'automne et d'hiver de ma vallée natale. Mon corps, comme mon âme, est fils du soleil; il lui fallut la lumière, il lui fallut ce rayon de vie que cet astre darde, non pas du sein déchiré de nos nuages d'occident, mais du fond de ce ciel de pourpre qui ressemble à la gueule de la fournaise.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

أعلن (لامارتين) سخطه على حضارة الغرب التي ملأت الجو بالأدخنة والغازات السامة ملتمسا الخلاص في دنيانا، إذ لا يشك أن سنة أو سنتين تقضيهما ابنته المريضة (جوليا) على أرض الشرق النقية تحت سماء الشرق الحلوة سترتنتهيان بها إلى العافية، فاختار جبال آسيا لتكون ملجأ هيأه الله تعالى تلاقي عليها الشفاء.[1] وانسجاما منه مع روح الرومانسية الشغوفة بالثورة[2] سمح لنفسه أن يكون مؤرخا؛[3] دافع عن العثمانيين، تحدَّث عن طائفة (Les Métualis)، تكلَّم عن الدروز والمارونيين وأرَّخ لأمارة بعلبك وغير ذلك . يقول في المقطع التالي: "ما زال الدروز والمارونيون يحتلون إلى اليوم أطلال هيليوبوليس الرائعة؛ لكن الجزء الأكبر من القوم بقي على منحدرات وفي وديان لبنان، من جانب سور . كانت إمارة بعلبك، في المدة الأخيرة، محل صراع محتدم بين شقيقين من نفس عائلة حرفوش، دجدجها وسلطان؛ لقد جُرِّدوا بالدور من ركام الردم هذا، وفقدوا في هذه الحرب أكثر من ثمانين شخصا من عائلتهم الخاصة . ابتداء من سنة 1810؛ هيمن الأمير دجادجها قطعيا على بعلبك."[4]

أقام (لامارتين) لفترة في مدينة القدس مهد المسيحية على أمل أن تعود جذوة الإيمان إلى الاشتعال في دخيلته، غير أن موت ابنته (جوليا) سيسبب له أزمة كبرى [5]؛ ترك فقده لابنته الوحيدة مذاقا مرا وراح يصرخ ألمه وكآبته وكربته وقنوطه وتمرده على الله في قصيدة: (Guethsemani ou la mort de Julia) التي ضمَّها كتاب الرحلة: (ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق):

"الآن كل شيء ميت في بيتي القاحل،
عيون باكية دائما
أمامي
أمضي دون معرفة أين؛ انتظر دون معرفة،
ماذا؛
تنفتح أحضاني للاشيء، تنغلق على فراغ.
كل أيامي ولياليَّ لها لون واحد،
الدعاء في صدري مع الأمل مات
لكن الله هو الذي سحقها، آه يا روحي
قبِّلي يده تحت الألم!"[6]

---

[1]- جورج غريب: أدب الرحلة تاريخه وأعلامه. ص:117.

[2]- Evelyne Bloche - Dano: Le bourgogne de Lamartine. Magazine littéraire. N°390, septembre 2000, p:46.

[3]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 1. ص:53.

[4]- «Les druze et les maronites, occupent encore aujourd'hui les magnifiques ruines d'Héliopolis; mais la plus grande partie de la nation est restée sur les pentes et dans les vallées du Liban, du cote de Sour. La principauté de Balbek a été, dans ces dernier temps, le sujet d'une lutte acharnée entre deux frères de la même famille Harfousch, Djadjha et Sultan; ils se sont dépossédés tour à tour de ce monceau de débris, et ont perdu dans cette guerre plus de quatre-vingt personnes de leur propre famille. Depuis1810; l'émir Djadha a régné définitivement sur Balbek.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[5]- المعارف الحديثة. الآداب 1. ص:99.

[6]- Maintenant tout est mort dans ma maison aride,

لازمته تلك الأحاسيس الأ لم و لم تفارقه في استانبول، وكأنه يتحسُّر: أيستحق المشقة البحث عن خيبة الأمل هذه وبهذا البعد؟! عند رجوعه إلى فرنسا دعا في مجلس النوَّاب سنة 1833 إلى مسيحية ليبرالية واجتماعية فقد تصلح ما أفسده الزمن: "عائدًا إلى الوطن بمفردي، باحثا عن إحياء ماض مات، عن استثارة ذكريات باردة، عن إعادة ربط حلقات حياة كسرتها الحوادث في أكثر من مكان."[1]

أسره جمال الطبيعة الشرقية وسِحرها، وأطلق على بلاد الشرق (أرض المعجزات)؛ فهو أمام طبيعة تقوم على أمس ثلاثة من مكوناتها : الجبال والبحار والصحراء، تتوحَّد بخالقها فتبدو أقرب إلى مسرح خاو مقدَّس لمأساة إنجيلية تثير حماس القلب . كتب في العاشر (10) من جويلية عند السابعة م ساء ما: "من هذه المأساة الكاملة، حيث يلعب الجزء البشري والجزء الرباني من الإنسانية كلاًّ دوره، أحدهما الصالب، الآخر المصلوب! (...) أقول لنفسي: هذا الحج، إن لم يكن مسيحياً، على الأقل لرجل موظف، كان أكثر لأمي ! كانت روحها جدُّ متَّقدة، وتتلون بسرعة وبشكل شبه تام من انطباعات الأماكن والأشياء!"[2]

كان يتحرق إلى الإبحار على محيط الرمل وإلى الاهتزاز المخدِّر في مركبة الصحراء حيث إمبراطورية ملون (Memnon)، ويسير في الحقول وراء الآثار الإلهية حيث جهش النبي بالبكاء تحت شجرة الزيتون، ويقف وقفة تأمُّل صامتطويلة عند أماكن عذيب المسيح[3]، ويكتشف بانوراما عجيبة لعالم برمته من المعجزات تحيي ذكريات شبابه المسيحية[4] وجعلت الشرق أيقونة يتبيَّن فيها معالم ذاته: "ما يميز العرب خاصة عن شعوب العالم الجديد، أنَّه من خلال خشونة الأولين؛ نحس مع ذلك شيئاً من الرقة في عاداتهم: نشعر أنهم ولدوا في هذا المشرق، مهد جميع الفنون، جميع العلوم، كافة الأديان."[5]

حكم (لامارتين) على كل ما قرأه من أشعار العرب القديمة أو الحديثة بأنَّها محاولة تعيسة لقرض شعر مطابق لشعر (عنترة) وأنَّها إن لم تكن لعبا بالكلمات فهي لعب بالأفكار وبالصور كتبت لتسلي العقل بدل

Des yeux toujours pleurant sont toujours devant
Moi
Je vais sans avoir où, j'attends sans savoir
Quoi;
Mes bras s'ouvrent à rien, et se ferment à vide.
Tous mes jours et mes nuits sont de même couleur,
La prière en mon sein avec l'espoir est morte.
Mais c'est Dieu qui l'écrasé, o mon âme!
Sois forte,
Baise se main sous la douleur!
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient..http://books.google.fr

[1]- «Rentré au foyer solitaire, cherchant à ranimer un passer mort, à réchauffer des souvenir froid, à renouer les chaînons d'une vie que les événements ont brisée à tant de place.»

نفسه.

[2]- «De ce drame complet, où la partie humaine et la partie divine de l'humanité, jouent chacune leur rôle, l'une crucifiant, l'autre crucifiée ! (...) Je me dis: ce pèlerinage, sinon de chrétien, au moins d'homme de poste, aurait tant plus à ma mère ! Son âmes était si ardente, et se colorait si vite et si complètement de l'impression des lieux et des choses!»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[3]- نفسه.

[4]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:07.

[5]- «De ce drame complet, où la partie humaine et la partie divine de l'humanité, jouent chacune leur rôle, l'une crucifiant, l'autre crucifiée ! (...) Je me dis: ce pèlerinage, sinon de chrétien, au moins d'homme de poste, aurait tant plus à ma mère ! Son âmes était si ardente, et se colorait si vite et si complètement de l'impression des lieux et des choses!»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

أن تحرك القلب، وقد ضمَّ مؤلفه سيرة عن (عنترة) وأبياتشعرية له: "احتفظت بهذه المحاولات الشعرية المجهولة في أوروبا، وأدرجتها في نهاية هذا العمل."[1]

أما اصطحابه لزوجتفقد رآه عاملا إيجابيا على الأرجح، وفي ذلك دلالة على مكانة المرأة الشرقية التي لا تزال محط تقدير هناك.

أهم محطات الرحلة:

حلب:

استأذن (أرسطو) من (الاسكندر) كي يستجم فيها ومكث أشهرا.. سماها (رمبليز) الإنجليزي قبل مائة وأربعين (140) سنة لندن الصغرى .. ذكرها (شكسبير) مرتين في شعره .. وسماها (لامارتين) أثينا الآسيوية.. إنَّها مدينة حلب، عاصمة الشمال السوري ومركز سوريا الاقتصادي الأول وشريان تجارتها في البحر الأبيض المتوسط، تُعرف بجامعها الأموي والجامع الصغير المسمى (جامع إبراهيم) والجامع الكبير. بُنِيَ هذا الأخير سنة 1213م، ترتفع مئذنته المربعة الشكل حوالي خمسون (50) مترا عن المدينة. تمتد أسواقها القديمة المغطاة على مسافة خمس عشرة (15)كلم، أما خاناتها فيعود بنائها إلى العهد المملوكي. اشتهرت أيضا بمعالمها التاريخية خاصة قلعتها الشهيرة التي تعتبر واحدة من كبرى قلاع العالم، أسسها الأمير (سيف الدولة الحمداني) عام 944م، وبقي هذا الصرح منذ الدولة الحمدانية مقرا للحكام الذين راحوا واحدا تلو الآخر يضيفون إليها المنشآت والأبنية و الحصون حتى غدت مدينة بذاتها تضم أبراجا رائعة التصميم.

أقام (لامارتين) في حي الكتب الذي كانت تقطنه طبقة الأغنياء آنذاك وتواصل مع أهل الفكر والأدب في المدينة وقد أشار كثير من النقاد إلى علاقة عشق جمعته بامرأة حلبية. بحث (لامارتين) في حلب عن شخص اسمه (فتح الله الصايغ الحلبي)، وفعلا تمَّ له ذلك واشترى منه مذكرات قام بتوجيهها إلى الفرنسية وأصدرها في الجزء الرابع من (ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق). حرص (لامارتين) أن تكافئ الحكومة الفرنسية (فتح الله الصايغ) لما قدَّمه من خدمات لعلمي الجغرافيا وأخلاق الأمم و بتزكية منه[2] عيَّنت القنصلية الفرنسية في حلب (فتح الله) موظَّفا فيها . أثبت الباحث السوري الدكتور (يوسف شلحد) في تحقيقه (رحلة فتح الله الصايغ الحلبي) صحة مذكرات هذا الأخير، لكن الكثير من العلماء الفرنسيين يعتقدون أنَّ (فتح الله الصايغ) هذا لم يبرح مدينته قط وذهب البعض إلى أنَّه قد لفقَّ الرحلة حتى يبيع ذلك الشاعر المهووس بالشرق أي شيء، لكن مهلا إن نظرة عن قرب لبعض المستشرقين الأوروبيين الذين أتوا إلى بلاد المشرق العربي تضعنا في حيرة مما جاءوا من أجله وأحد هؤلاء كان سويسريا ويدعى

---

[1]- « Je conserve ces essais poétiques inconnus en Europe, et je les fais insérer à la fin de cet ouvrage. »
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

1- مبارك إبراهيم: صحائف من أدب الغرب .. أمُّ شاعر أو (صحائف من يوميات مدام دى لامارتين).
(mother of a poet" or page from the diarry of "Mme de Lamartine)
ترجمه وأعده للنشر: يوستاس هارجريف. مجلة الثقافة ع 725. نوفمبر 1952م. ص:28.

(جزهان لودفيك) (J.L.BURCKHADY)، درس هذا الأخير الطب والكيمياء كما درس اللغة العربية والقرآن الكريم وأصول الشريعة الإسلامية على يد علماء الدين، زار البتراء لاكتشاف آثارها حيث قضى سنتين في الصحراء السورية لدراسة أحوال البدو وكتب (ملاحظات عن البدو الوهابيين)[1]. قدِم إلى مدينة حلب سنة 1809م وكان يرتدي ثيابا عربية ويطلق على نفسه اسم (الشيخ إبراهيم)، تعرَّف إلى شخص حلبي اسمه (فتح الله الصايغ)، وحدث أن طلب (بوركهارد) من (فتح الله) أن يرافقه إلى البادية بهدف التجارة وقد كان ذلك سنة 1810. جال الرجلان في بادية الشام وفي صحراء العراق وإيران حتى حدود إيران الشرقية وزارا (الدرعية) عاصمة الوهابيين آنذاك، لكن ما يثير الاستغراب وقد أثار استغراب (فتح الله الصايغ) هو أن الشيخ إبراهيم لم يكن يبيع أو يشتري بل كان مشغولا بمقابلة شيوخ القبائل والتقرب من زعماء العشائر وإغراقهم بالهدايا والمشاركة في غزوات البد و وحضور مجالس الصلح بين القبائل ورسم طرق الصحرا ء وتحديد مواقع آبار المياه على الخريطة لم يستطع أحد أن يجد لها أثرا فيما بعد، وظل (فتح الله الصايغ) يكتب المذكرات التي أمره بها معلمه عن مشاهداتهما وكل ما كان يحدث لهما طوال أربع سنوات والتي استلهم الكاتب الفرنسي منها (جان سوبلان) رواتيه (لاسكاريس العرب).

كان (نابوليون) قد أقلع بعد هجومه الفاشل على روسيا عن خطته التي طمح بها آنذاك إلى قطع طريق الهند على الانكليز لذلك زادت شكوك النفاد حول مهمة (بوركهارد) إن كانت تتمثل في جمع معلومات ودراسة طرق غير تقليدية لإرسالها إلى سفارة بلاده في مصر ومنها إلى باريس أولا بأول تمهيدا للحملة على بلاد الشام والعراق.

بعلبك:

لم تخل رحلة (لامارتين) من القصيِّ الأركيولوجي فكانت العودة إلى آثار (بعلبك) الشاهدة على التاريخ: "لقد كانت فعلا أعجوبة الصحراء، بعلبك الأسطورية، التي خرجت بكل إشراق من ضريحها المجهول، لكي تقص علينا عصورًا افتقدها التاريخ من ذاكرته."[2]

ضريح المسيح (Saint - sépulcre):

قام (لامارتين) في الثاني (02) من أكتوبر 1832، وكان حينها متواجداً في الأراضي المقدَّسة، بزيارة لضريح المسيح هناك.

أرز الشوف:

اعتبر (لامارتين) طبيعة لبنان هبة فريدة من الله -تبارك وتعالى- وكتر خصَّها به دون كثير من بلاد العالم، وراح يرقى القمم صاعدا ويترل الوديان هابطاً، وقصد مرة بلدة زحلتا (عروس الشوف) الغنية

1- مجلة الفيصل. مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية. ع 91 - محرم 1405 هـ. السنة الثامنة. تشرين الأول (أكتوبر) 1984م. ص ص 123- 124. رئيس التحرير:علوي طه الصافي.

2- «C'était en effet la merveille du désert, la fabuleuse Baalbek, qui sortait toute éclatante de son sépulcre inconnu, pour nous raconter des âges dont l'histoire a perdu la mémoire.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

بطبيعتها الخلاَّبة وجبالها الشاهقة واحتضانها لأكبر غابات الأرز في لبنان المعروفة بـ (أرز الباروك) والتي تضم آلاف أشجار الأرز الرائعة الجمال، كان (سليمان الملك) قد طلب أخشابها من أجل الهيكل المشهور كما استعمل الكنعانيين والفينيقيين خشبها في بناء سفنهم. تقع (زحلتا) على بعد 39 كلم إلى الجنوب الشرقي من بيروت حيث يطالعنا على الجهة اليسرى من الطريق منظرا رائعا لـ (وادي لامارتين)، وارتبط اسم (زحلنا) تاريخيا بالميثولوجية الفينيقية إذ تروي الأسطورة أن الإله (دامور) الفينيقي تبارز عند مصب النهر مع الإله (أونتس) اليوناني وانتصر عليه فتهللت السماء زحل بابنها وسمي النهر بعد ذلك (عين زحلتا) (دامور) بعد أن كان يُطلق عليه عند المصب (دامور) وعند النبع (عين زحل)[1]. لم يستطع (لامارتين) أن يصل بنفسه إلى غابة الأرز بسبب الثلوج المتراكمة التي قد يبلغ سمكها في القمة ثمانية (08) أمتار، فعهِد – وهذا عهد الرحَّالة– إلى أحد رجال الدين أن يحفر اسم ابنته المتوفاة (جوليا) على جذع شجرة هناك،[2] وفعلا قام الراهب بذلك إكراما للضيف، وتوجد اليوم في شمال لبنان شجرة أرز ضخمة تعرف باسم (أرزة لامارتين) هي نفس الشجرة التي حُفر اسم ابنته عليها، كما لا تزال غرفة الشاعر التي استضافه فيها الأمير (بشير الشهابي) بقصره في بيت الدين تُعرف باسمه.

[1]- http://fr.wikipedia.org/wiki/Bcharr%C3%A9
[2]- Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

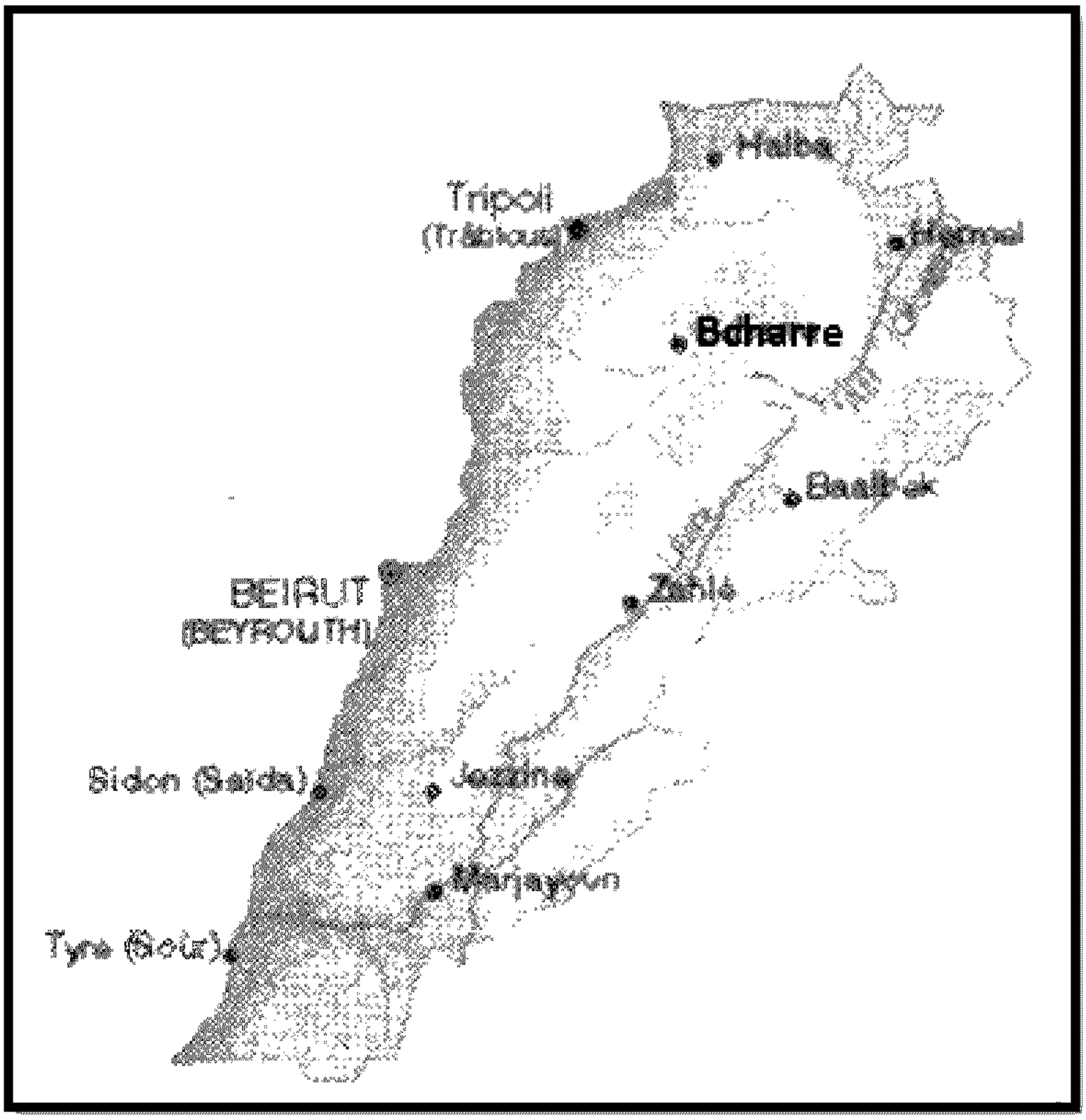

موقع (بشرّي) (Bécharré).[1]

[1]- http://fr.wikipedia.org/wiki/Bcharr%C3%A9

عينطورة (Antoura):

أسَّس الآباء اللعزاريون (دير عينطورة) في نطاق الحماية الفرنسية تجاه مسيحيي الشرق، كان هدفها الرئيسي تعليم أبناء العائلات المارونية المعروفة في الجبل آنذاك تمهيدا لتسليمهم مناصب مهمة في الإدارة العثمانية.. قام (لامارتين) شهر نوفمبر بزيارتين استثنائيتين إلى الدير وكتب يقول : "تعرف مجموعة الجبال التي توجد فيها عينطورة بإسم كسرفان، أو سلسلة كسترافان: تمتد هذه البقعة من نهر الكبير إلى نهر الكلب (...) كانت بلد الموارنة تماما، هذه الأرض ملكهم، هنا فقط تمتد امتيا زاتهم، مع أنهم، راحوا يتدفقون يوما بعد يوم على بلاد الدروز، ويحملون إليها قوانينهم وعاداتهم."[1]

أصبح الدير فيما بعد ثانوية فرنكوفونية اعتبرت من أوائل مراكز التوثيق ونشر الإرساليات واحتوت على مكتبة تحمل اسم (لامارتين).

الليدي استير ستانهوب (Lady Esther Stanhope, [1786 – 1839]):

اجتمع (لامارتين) في لبنان إلى (الليدي استير استانهوب)، وهي رحَّالة بريطانية جريئة اقترن اسمها بلبنان والعرب، زارت لبنان في الفترة العثمانية ونالت حماية الباشا التركي والتقت بـــ (محمد علي باشا) في القاهرة سنة 1811 والأمير (بشير الثاني) والشيخ (بشير جنبلاط) قبل قتله سنة 1812: "عاشت السيدة ستانهوب عدَّة سنوات ضمن علاقات صداقة وحتى سياسية مستمرة مع الباب، مع عبد الله باشا، مع الأمير بشير، عاهل لبنان، وخاصة مع شيوخ صحراء سوريا وبغداد."[2]

اتخذت سنة 1814 من (تدمر) عاصمة لملكها السعيد ومن لبنان مقرا ثان لإقامتها. انتقلت سنة 1817 من دير (مار الياس) المهدّم الذي أقامت فيه زهاء ثلاث سنوات إلى دير آخر مهجور ومنعزل في بلدة (جون) أحاطته بحديقة غناء وفق النموذج التركي[3] وعرف بعدها بـــ (دار الست) وفيه توفيت سنة 1839.

---

[1]- «Le groupe de montagnes dans le quel se trouve Entoura, est connu sous le noms de Kesrovan, ou de la chaîne de castravan : cette contrée s'étend du Nahr - El - Kébir au Nahr - El - Kelb (...) C'était le pays proprement dit des maronites, cette terre les appartient, c'est là seulement que leur privilèges s'étendent, bien que de jour en jour, ils se répandent dans les pays des druses, et y'portent leurs lois et leurs mœurs.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage Orient.http://books.google.fr (بتصرف)

[2]- «Lady Stanhope vécut plusieurs années dans des rapports d'amitié et même de politique soutenus avec la porte, avec Abdallah - pacha, avec l'émir Béchir, souverain du Liban, et surtout avec les scheiks des désert de Syrie et de Bagdad.»
نفسه.

[3]- نفسه.

كانت أديبة ومستشرقة وناسكة على طريقتها، انكبتَّ طوال سنوات على كتابة الرسائل وعرفت بجمالها وصراحتها وأفكارها الخاصة، وقد أضحت أسطورة زمانها وما زالت أخبارها تتردد إلى اليوم: "استقبلت في كل مكان بالحماسة والعناية التين يفترض أن يجلبها لها مركزها، ثروتها، روحها وجمالها (...) حملتني أنا شخصياً على الاعتقاد أنَّها تستمد قوة روحها الخارقة وعزمها، ليس فقط من مزاجها، بل أيضا من تصوُّرات دينية متوَّهجة، يتحد فيها التنوير الأوروبي مع بعض الاعتقادات الشرقية، وخصوصا مع عجائب علم التنجيم. كنت أرغب في رؤيتها: فكرها عن العزلة والوساطة يتجاوب بوضوح مع أفكاري الخاصة (...) لكن ليس هناك ما هو أصعب لأوروبي من أن يكون مقبولا لديها، إنَّها ترفض أيَّ تواصل مع الرحَّالة الإنجليز، مع النساء، مع أفراد أسرتها أنفسهم (...) علمًا أنَّها لا تزال مع ذلك تحتفظ ببعض الصلات القصيَّة مع عرب فلسطين وبلاد ما بين النهرين، وأنَّ توصية بخط يدها لدى هذه القبائل يمكن أن يكون لها فائدة قصوى لجولاتي المستقبلية ."[1] كان يلجأ إليها الكثير من الأوروبيين المتواجدون بلبنان في الأوقات العصيبة للحصول على حمايتها وكانت تطمئن الجميع بعبارة: «**Allah Kerim!**». تنصح (لامارتين): "(...)-- تتكلم، قالت لي، مثل رجل ما زال يؤمن بعد بقوة بالإرادة الإنسانية، وليس كفاية بالإمبراطورية القاهرة للقدر وحدها، قوَّتي أنا تكمن فيها. -- ..."[2]

تركيا:

أُعجب لامارتين بتركيا حيث: "لديك طوال ساعات النهار والليل المشهد الأكثر جمالا والأكثر عذوبة بما يمكن أن تغتني به نظرة بشرية."[3]

بلغاريا:

قاده خط سير رحلته النادر إلى بلغاريا، والتقى في بولديف (مدينة السبع روابي) رئيسَ أساقفته[4]، وتحدَّث عن عادات البلغاريين: "بدت لي العادات خالصة، وإن كفَّت النساء عن ارتداء الحجاب كما في تركيا."[5]

2. المستوى الفني:

---

[1]- «Elle fut accueillie partout avec l'empressement et l'intérêt que son rang, sa fortune, son esprit et sa beauté devaient lui attirer (...) Elle me fondent moi - même à croire qu'elle trouve la force surnaturelle, de son âme et de sa résolution, non seulement dans sa caractère, mais encore dans des idées religieuses exaltées, où l'illuminisme d'Europe se trouve confondu avec quelque croyances orientales, et surtout avec les merveilles de l'astrologie. Je désirai la voir: sa pensée de solitude et de médiation avait tant de sympathie apparente avec mes propres pensée (...) Mais rien n'est plus difficile pour un Européen que d'être admis auprès d'elle, elle se refuse à toute communication avec les voyageurs anglais, avec les femmes, avec les membres même de sa famille (...) Sachant néanmoins qu'elle conservait quelque rapport éloignés avec les arabes de la Palestine et de la Mésopotamie, et qu'une recommandation de sa main auprès de ces tribus pourrait m'être d'une extrême utilité pour mes courses futures.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[2] «(...) -- Vous parlez, me dit- elle, comme un homme qui croit encore trop à la volonté humaine, et pas assez à l'irrésistible empire de la destinée seul, ma force à moi est en elle. -- ...»

[3]- «Vous avez à toute les heures du jour et de la nuit le plus magnifique et le plus délicieux spectacle dont puisse se parer un regard humain.»

نفسه.

[4]- mille et une vies; voyage au château de Saint - point à Poldiv en Bulgarie. Un film écrit et réalisé par Jean Luc Mage. Documentaire. Samedi 30 octobre à 16h15. Production / France3. 2004 - 2005.

[5]- «Les mœurs m'ont paru purs, quoique les femmes cessent d'être voilées comme en turquie.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

أسلوب الرحلة:

يعتبر كتاب الرحلة إلى الشرق أول نص نثري كبير للشاعر الرومانسي، لكن ذلك لا يعني أبدا قطيعته مع الشعر، إذ لا يتوقف عن إبراز نفسه كشاعر، وله في (ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق (1832 1833) أو ملاحظات رحَّالة للسيِّد.دو لامارتين) مبارزة فروسية مع شاعر سوري شاب. يقدِّم لمؤلفه: "هذا ليس كتاب، ولا رحلة؛ لم أفكر أبدا في كتابة الواحد أو الآخر، فليغلقها القارئ إذا قبل تصفحها، إذا كان يبحث عن شيء أخر غير الانطباعات العابرة والأكثر سطحية لرحالة يسير دون توقف. لا يمكن أن تكون منها أدنى فائدةَ إلاَّ للرسَّامين؛ هذه الملاحظات استثناء تصويرية تقريبا؛ إنَّها النظرة المكتوبة، إنَّها عين مسافر جالس على جمله أو على سطح سفينته، الذي يرى هروب مناظر طبيعية أمامه، والذي، حتى يتذكرها في الغد يسكب بعضا من قلم رصاصه دون ألوان على صفحات يوميته. أحيانا ثمانية أيام من دون كتابة؛ مرات أخرى فاقدًا الصفحات المبعثرة لألبوم ممزقا من قبل ابن آوى، أو مبللا بزبد البحر، أحيانا ينسى المسافر المشهد الذي يحيط به، ينطوي على نفسه، يتكلم مع نفسه، يستمع إليها تفكر، يتمتع أو يتألم، ينقش كذلك إذن كلمة عن انطباعاته البعيدة، لكي لا يحمل ريح المحيط أو الصحراء حياته بكاملها، ويبقى له بعض الأثر في زمن أخر."[1]

يعترف (لامارتين) أن وجود المرء في الشرق يحرره من خطيئة تعلقه بالمتع المادية ليمحض بروحه، وكان يقضي أغلب الوقت الرموش نصف مفتوحة والأفكار شاردة وترنيمات الصلاة على الشفاه دون أن يهتدي إلى سر ذلك العطر الذي يفوح من عالم الشرق: "نقوم بصلاة في المساء على متن السفن ! لم نعد نقوم بذلك قط منذ ثورة يوليو (جويلية)، ماتت الصلاة من على شفاه ليبرالية القرن التاسع عشر العجوز."[2] تلوَّن وصفه بطابع الحزن المفرط والأسى العميق والكآبة، ويرى كثير من النقاد أن كلمة (الشرق) كانت أقرب في بدايتها إلى معنى الفضاء وأن (لامارتين) هو الذي أرساها بمعناها الأدبي: "إذا كان لـــ La Tasse، كما يزعم السيد شاتوبريان، وحي الأماكن وهو يكتب القدس المتحررة، وأعترف مع كل إعجابي بـــ La Tasse، ليس هذا ما يجعلني أثني عليها، لأنه يستحيل أن تدرك المواقع أقل ولا تكذب على العادات التي صنعتها؛ لكن مهما كانت المشاهد والعادات؟ الشعرية ليست هنا، إنَّها في القلب."[3] وقد

---

[1]- «Ceci n'est un livre, ni un voyage; je n'ai jamais pensé à écrire l'un ou l'autre, que le lecteur les ferme donc avant de les avoir parcourues, s'il y cherche autre chose que les plus fugitives et les plus superficielles impressions d'un voyageur qui marche sans s'arrêter. Il ne peut y'avoir un peut d'intérêt que pour des peintres; ces notes sont presque exclusivement pittoresques; c'est le regard écrit, c'est le coup d'œil d'un passager assis sur son chameau ou sur le pont de son navire, qui voit fuir des paysages devant lui, et qui, pour s'en souvenir le lendemain jettes quelques de crayon son couleur sur les pages de son journal. Quelque fois huit jours sans écrire; d'autre fois perdant les pages éparses d'un album déchiré par les chacals, ou trempé de l'écume de la mer, quelque fois le voyageur oubliant la scène qui l'environne, se replie sur lui - même, se parle à lui - même, s'écoute lui penser, jouir ou souffrir, il grave aussi alors un mot de ses impressions lointaines, pour que le vent de l'océan ou du désert ne porte pas sa vie tout entière, et qu'il lui en reste quelque trace dans un autre temps.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[2]- «On faisait une prière le soir à bord des vaisseaux! Depuis la révolution de juillet, on n'en fait plus, la prière est morte sur les lèvres de ce vieux libéralisme du dix- neuvième siècle.»

نفسه.

[3]- «Si la Tasse avait eu, comme le prétend M Chateaubriand, l'inspiration des lieux en écrivant la Jérusalem délivrée, et j'avoue que tout admirateur que je suis du Tasse, ce n'est pas par là que je le louerais, car il est impossible d'avoir moins

غلب على وصف (لامارتين) شعرية تدفع إلى الحنين لرؤية مناظر طبيعية تحُل السكينة والصفاء والهدوء في النفس، حيث تعكس كل واحدة من تفاصيلها مراسلات خفية بين الطبيعة والروح[1]، لمح القدس: "كانت هي! برزت في لون أصفر داكن وباهت على الخلفية الزرقاء للسماء وفوق العمق الأسود لجبل الزيتون."[2]

يسترسل: "أوقفنا جيادنا، من أجل تأملها في هذا التجلي الغامض والباهر (...) خلف هذه الجدران العالية، وهذه القباب الخفيضة للقدس، ترتفع رابية عالية وفسيحة من السلسلة الثانية، أكثر عتمة من تلك التي تحمل وتخفي المدينة، تحيط وتنهي هذه الربوة الثانية لنا الأفق، تركت الشمس في الظل جناحها الغربي، لكن حلَّقت بأشعتها العمودية قمتها الشبيهة بقبة عريضة، لقد بدت كأنها تغرق قمتها الشفافة في الضوء، ولا نعرف الحد الملتبس بين الأرض والسماء إلا ببعض الأشجار العريضة والسوداء المغروسة على الذروة الأكثر ارتفاعا، والتي من خلالها تعمل الشمس على تمرير أشعتها."[3] ونقرأ له هذا التشبيه: "يشبه هذا البحر حقل شوفان جميل يتموَّج مع نسمات صبيحة ربيعية."[4] ويشبِّه (لامارتين) قمم جبال لبنان المتفاوتة العلو في السحب البيضاء والتي تسطع بانعكاس أشعة الشمس عليها بجبال الألب المغطاة بالثلوج: "جبال الألب تحت سماء آسيا."[5]

---

compris les sites et plus menti aux mœurs qu'il nous l'a fait ; mais qu'importent les sites et les mœurs, La poésie n'est pas là, elle est dans le cœur.»

نفسه.

[1]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuels des études littéraires françaises de dix- neuvième siècle, p:64.

[2]- «C'était elle! Elle se détachait en jaune sombre et mat sur le fond bleu du firmament et sur le fond noir du mont des oliviers.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr/

[3]- «Nous arrêtâmes nos chevaux, pour la contempler dans cette mystérieuse et éblouissante apparition (...) derrière ces haute Muraille, et ses dôme abaissé de Jérusalem, une haute et large colline s'élevait en seconde ligne, plus sombre que celle qui portait et cachait la ville, cette seconde colline bordait et terminait pour nous l'horizon, le soleil laissait dans l'ombre son flanc occidental, mais rasant de ses rayons verticaux sa cime semblable à une large coupole, il paraissait faire nager son sommet transparent dans la lumière, et l'on ne reconnaissait la limite indécise de la terre et du ciel qu'à quelque arbre larges et noires plantés sur le sommet le plus élevé, et à travers les quels le soleil faisait passer ses rayons.»

نفسه.

[4]- «Cette mer ressemble à un champ de belle avoine ondoyant aux brises d'une matinée de printemps.»

[5]- «Les Alpes sous un ciel d'Asie.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

المبحث الثالث

ضمير بير

Gustave Flaubert. <u>voyage en orient</u> (1849 - 1851).

نبذة عن حياة فلوبير

آثاره الأدبية

عرض الرحلة

1. المستوى العام

تاريخ النشر

مسار الرحلة

أهم محطات الرحلة

2. المستوى الفني

أسلوب الرحلة

الجنس الأدبي الذي يمكن أن تدرج فيه الرحلة

مسار الزمان والمكان

نبذة عن حياة فلوبير:

ولد غوستاف فلوبير (Gustave Flaubert) في الثاني عشر (12) ديسمبر سنة 1821 بـ (روين)، العاصمة القديمة لـ (نورماندي). يرجع نسبه إلى (الشامبونواز) من جهة والده و (نورماندیا) من جهة والدته.[1] ترعرع بيئة بورجوازية في كنف والده العنيف الطباع والجرَّاح الشهير بمستشفى (Hôtel – dieu) بمدينة (روين) إلى جانب أخيه البكر (أشيل) الذي أصبح طبيبا مثل أبيه وجده[2]، وشقيقته (كارولين) التي تصغر (أشيل) بثلاث سنوات. دخل (فلوبير) شهر فيفري 1831 إلى المعهد الملكي بـ (روين) لإكمال صفوف الثامن، لكن سنوات المدرسة الداخلية ستكون مرعبة للغلام الذي يفتقد عائلته كثيرا ويعاني من التعليم التقليدي والكئيب، وقد عاد إلى تلك التجربة القاسية في سيرته الذاتية (Mémoire d'un fou) سنة 1838.

كان الطفل الصغير منغلقا على نفسه متكتما وحالما كما كان محروما من المواهب البارزة ويشكو من تأخر في تعلم القراءة ما دفع والده إلى إطلاق لقب (أبله العائلة) عليه: "كان غوستاف فلوبير على عكس طفل ظاهرة. لم يتمكن من القراءة إلاَّ بصعوبة بالغة، بالكاد تعلَّمها عند دخوله المدرسة الابتدائية في سن التاسعة."[3] بقي (غوستاف) حبيس الاستعمال الشفهي والسلبي للغة ولم يكن اختياره كتابة الرواية إلاَّ صيغة متناقضة وأكثر تحررا، وإذ يحلل (سارتر) في كتابه (الكلمات) تأخر (فلوبير) في تعلم الحروف الأبجدية والقراءة والتي تعاظمت إلى حد الغباء والسلبية كان بسبب تدخُّل والده السلطوي الذي يعاني من جروح في كبريائه العائلي وأنَّ (مدام بوفاري) التي كانت تعتبر بنتا قد أُصيبت بالخيبة بعد مجيء (غوستاف) وقامت بإرضاعه باقتدار نازي كما لو أنها تقوم بذلك من منطق الواجب أكثر من منطق الحنو[4] أكَّدت الدراسات المعاصرة على دور العلاقة أم – طفل في تحصيل اللغة.

ترك التلميذ الصغير الحرية لإلهامه أول مرة في مرحلة الإعدادية وكانت له كتابات مدرسية وخارج نطاق الدراسة من حكايات عجائبية ومذكرات حميمة لوحظ فيما بعد أنها بداية أدبية مبكرة[5] ، أما حلمه فكان تحقيق أمجاد شبيهة بتلك التي حققها (هيغو) و (فيني): "أظهر منذ طفولته الرونية نضجا مدهشة؛ قرأ في

---

[1]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, p:293.

2- أب والدته .

[3]- «Gustave Flaubert fut le contraire d'un enfant phénomène. Il ne parvint à apprendre à lire qu'avec une extrême difficulté, c'est à peine s'il savait lorsqu'il entra au lycée, à l'âge de neuf ans.»

Charle Dantzig: Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus.Choix, notice et préface (Gustave Flaubert vu par Guy de Maupassant en 1884), p:84.

[4]- Sartre: Les mots, pp:19 - 27(بتصرف).

[5]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 01. ص:77.

سن الحادية عشر فاوست من ترجمة نرفا ل؛ كان يكتب في المدرسة لمجلة الفنون والتقدم، ألّف سنة 1836 أولى أقصوصاته نشر بعضها في صحيفة محلية صغيرة تدعى (Solbri)، في 1838 أنهى أول أهم أعماله : مذكرات مجنون."[1]

لكن: "والده اندهش، دون أن يثيره ميل ابنه غوستاف للآداب .كان قد حكم على الكتابة أنّها مهنة الكسولين وغير النافعين."[2]

التقى الفتى المجنون، بينما كان يقضي عطلته الصيفية بـ (تروفيل) رفقة عائلته بـــ (إليزا شليزنجر)، زوجة (موريس شليزنجر)، الناشر الموسيقي ومؤسس المجلة الموسيقية (La Gazette) بالتعاون مع (بارليوز)، وقد نجح بأن يصبح صديقا للزوجين، وكان يتردد عليهما أثناء إقامته بباريس (1841-1842). شعر المراهق ذو الخمسة عشر (15) عاما بتعلق عميق اتجاه السيدة (شليزنجر) التي تكبره بأحد عشرة (11) عاما يذكرنا بروايات الحب العنيف ومع أنها ستمضي بقية حياتها في منفى فقد تجذَّر حبها في نفسه بحمية صوفية و ظل يكن لها حبا أفلاطونيا[3]: "لكل واحد منا غرفة ملكية في قلبه، لقد أخفيتها، لكنني لم أهدمها."[4] سافر سنة 1852 إلى ألمانيا وبقي على اتصال متقطّع معهما، و لم يلتق (إليزا) إلاّ سنة 1867 في مدينة (نانط) بفرنسا، لكنَّه ابتعد عنها فيما بعد مع الوفاء لذكراها، وانتهى هذا الحب الخالد المستحيل في (التربية العاطفية) وفي شخص (مدام أرنو) إلى أن يصير مرادفا لفشل حياة بأكملها. بدأ سنة 1841 بعد نيله شهادة الباكالوريا ضد إرادته وبتصميم من والده دراسة الحقوق في باريس وهناك التقى ابن الأخ الصغير لعالم المصريات (شامبوليون): (مكسيم دو كمب [1822- 1894]) الذي كان يدرس نفس التخصصُّص، وتمَّ ذلك شهر فيفري 1843[5]. درس (فلوبير) الحقوق بقليل حب واجتهاد وأخفق في امتحان السنة الثانية ، ليقرر إثر إصابته في جانفي 1844 بمرض عصبي مزمن خطير يبدو أنه الصرع وضْع حد لدراسته منسحبا إلى منزل ريفي صغير اشتراه والده في قرية صغيرة كانت المواشي تغرق فيها من شدَّة الأمطار على ضفاف نهر (السين) بـــ (كرواسيه) إحدى ضواحي روين بـــ (نورماندي).[6]

---

[1]- «Dés son enfance rouennaise, se montre d'une étonnante précocité; à onze ans il lit Faust dans la traduction de Nerval, il rédige au collège le journal Art et Progrès, en 1836 composé ses premières nouvelles dont certaines sont publiées dans le "Solbri" petit journal local, en 1838 il achève sa première œuvre importante: Mémoire d'un fou.»[1]

Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, p:293.

[2]- «Son père s'étonna, sans s'indigner de la vocation de son fils Gustave pour les lettres. Il jugeait la profession d'écrivain un métier de paresseux et d'inutile.»

Charle Dantzig: Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus. (Gustave Flaubert vu Par Guy de Maupassant en 1884), p 88.

[3]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

[4]- «Chacun de nous a dans le cœur une chambre royale, je l'ai murée, mais elle n'est pas détruite.»

Gustave Flaubert: Salammbô. Bierut: Œuvres immortelles. Dar Sader, 2000, p:17.

[5]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, p:413.

[6]- غوستاف فلوبير: التربية العاطفيّة. تر: إيلي - مارون خليل. تقديم: البيْر تيبُوديْه، ط1، بيروت: منشورات عويدات، ماريان. روائع الأدب والفكر منقولة إلى العربية، 1983م. ص:23.

كرواسيه (croisset) سنة 1840. رسم بالريشة لـــ (برار) (E.Berar).[1]

[1]- http://fr.wikipedia.org/wiki/Gustave_Flaubert

فقد (فلوبير) سنة 1846 اثنين من أعز أقربائه؛ والده في الخامس عشر (15) جانفي وأخته (كارولين هامار) في السادس والعشرين (26) مارس 1846 فريسة لحمى النفاس وذلك بعد ولادتها لابنتها (كارولين) في 21 جانفي 1846 بأسابيع فقط، لتقلص عائلة (فلوبير) من الآن فصاعدا في الأم و (غوستاف) برت أخته (كارولين) التي حيل بينها وبين أبيها المستهتر أما أخوه (أشيل) فقد استقر بـــ (L'hôtel dieu)، تغيَّر (فلوبير) و لم يعد كالسابق،كتب شهر أوت 1846 إلى الشاعرة الشه يرة المليحة الواسعة الثقافة[1] وعميقة الذكاء التي ارتبطت بحميمية بعدد من كبار رجالات الأدب السيدة (لويز كوليت، 1810- 1876): "من يحيا الآن وهو أنا، لا يقوم إلاَّ بتأمُّل الآخر الميِّت."[2] التقى السيدة (لويز كوليت) بداية فصل الصيف، لكن نظرة العشيقين إلى الحياة والفن لم تكن متوافقة وتوقفت علاقتهما بانفصالهما الأول في آب 1848 ثم عادت بعد ثلاثة أعوام لتنتهي سنة 1855، أما الوسائل البليغة الماجنة التي خصَّ (فلوبير) تلك السيدة بجانب كبير منها فقد تمَّت طباعتها ونشرها بعدما قامت ابنتها بجمعها.[3] ورث الشاب في ربيعه الرابع والعشرين عن والده ثروة طائلة تمكِّنه من تحقيق أحلامه؛ بدأت المغامرة صيف 1847 رفقة صديقه وناشره مكسيم دو كمب: "غادرت مع دو كامب، كنَّا نسير فوق شواطئ بريتانيا بأحذية ضخمة، الحقيبة على الظهر، مترجلين."[4] شرع بعد عودتهما وانطلاقا من ملاحظاتهما المشتركة في نظم بعض مغامرتهما، وقد ظهر لهما كتاب (Par les champs et par les grève) سنة 1848، كتب إلى (لويز كوليت) في أكتوبر: "أكتب كل الفصول الفردية؛ واحد، ثلاثة، إلخ. ماكس الزوجية."[5] شارك ودون اكتراث صديقه (بويهت) أيام ثورة فيفري 1848 في باريس التي أهدت ملكية جويلية[6]، وأقدم ربيع السنة المقبلة (أفريل 1840) على تجربة جديدة مع (مكسيم) دائما قادتهما إلى الوسط والريف وإيطاليا وسويسرا وتوران وبروتاني، ليبدأ شهر ماي في كتابة حلمه الكبير (تجربة القديس أنطوان) الذي أنهاه كتابة أولى في 12 سبتمبر 1849، لكنَّ عندما سلَّم المخطوط المطوَّل إلى صديقيه (لويس بويهت) و (مكسيم دو كمب) لإعطاء رأيهما المخلص

---

[1]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص ص:78- 79.

[2]- «Celui qui vit maintenant et qui est moi, ne fait que contempler l'autre qui est mort.»
موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 1. ص:79.

[3]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

[4]- «Je pars avec Du Camp, nous promener sur les grève de Bretagne, avec des gros souliers, le sac au dos, à pied.»
Gustave Flaubert: Correspondences. [02 vols]. Gallimard. Paris, 1973. T.01, p:85.

[5]- «J'écris tout les chapitre impairs; un, trois, etc. Max tous les pairs.»
Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:132.

[6]- Jean D'Ormesson: Une autre histoire de la littérature française, p:65.

فيه جاء حكمهما بعد أربعة أيام طويلة قرآ فيها مخطوطه سلبيا: "يجب رمي ذلك في النار وعدم التحدث عنه مرة أخرى أبداً."[1]

رأى صديقيه أن عمله مفرط في الاندفاع الحيوي[2] وغنائي جدا، ونصحاه بعدم نشره[3]، أما العلاج فيكون بإزالة التسمم وإيجاد موضوع أكثر ارتباطا بالواقع: "موضوع واقعي، واحد من هاته الحوادث التي تزخر بها الحياة البرجوازية."[4] تنازل (فلوبير) عن نشره، وبعدها بقليل كان الانطلاق الكبير رفقة (دو كمب) في رحلة إلى الشرق استغرقت سنتين (1849 - 1851) شملت مصر، فلسطين، سوريا، لبنان، اسطنبول، اليونان، إيطاليا. شرع بعد عودته شهر جوان 1851 في تحرير (مدام بوفاري) كما أخذت فكرة الأبوة تشغل فكره، ولعلها بعض تأثيرات الرحلة الشرقية بدأت تنعكس على حياة ومؤلفات (فلوبير): "فكرة وهب الحياة لشخص ما تروِّعني، سألعن نفسي إن أصبحت والدا."[5] فرغ من تحرير (مدام بوفاري) في 30 أفريل 1856، وقد ظهرت أولا مع الحذف القاسي لبعض الفقرات من الرواية في مجلة دورية أسسها مكسيم دو كمب وتيوفيل غوتييه وأرسين أوساي بين الأول (01) أكتوبر و الخامس عشر (15) ديسمبر هي (مجلة باريس) التي لعبت دورا مهما في الحياة الأدبية قبل أن تختفي سنة 1858. ٥وجهت الرواية عند ظهورها من الرأي العام وبعض النقاد ومثل ناشرها ومؤلفها بداية سنة 1859 إلى المحاكمة بجنحة انتهاك حرمة الأخلاق الدينية واستهتار البطلة وعدم مراعاتها للتقاليد والأعراف العامة لكن محكمة باريس أصدرت أخيرا يوم 07 فيفري 1858 حكما يقضي بتبرئتهما، ويبدو أن الفضيحة قد أفادت الرواية التي حظيت باهتمام أكبر بكثير أيٌّ من أعماله الروائية، ظهرت بعد تبرئتها بالمكتبات في أفريل 1858 وحققت نجاحا جميلا أطلق معه اسم (بوفاري) على مذهب فلسفي خاص هو (البوفارية)[6] قوامه: "الفساد التصوري الذي يؤدي إلى الاختلال بين الإمكانات والشهوات التي ينميها الزهو اليقظ "[7]، وقد صدرت الترجمة العربية التي قام بها (حافظ مصلح) في بيروت سنة 1973. كان (فلوبير) يعتقد عندما بدأ خريف 1973 في تحرير الفصل الأول من (سالامبو) أن بإمكانه الاعتماد على ذكرياته وقراءاته الكثيرة، لكنَّه وجد نفسه غير قادر على وصف قرطاج وتخيُّل المشاهد فعاود شهر أفريل 1859 الرحيل إلى الشرق وفي ثلاثة أشهر زار الجزائر وتونس ظهرت بعدها (سالامبو) في المكتبات شهر نوفمبر 1862، وقد اشتهرت الرواية التاريخية بسرعة وحققت نجاحا معتبراً ورغم الانتقادات فقد كان لها نصيبها من المدح كالمقال الذي كتبته (جورج ساند)

---

[1]- «Il faut jeter cela au feu et n'en jamais reparler.»

نفسه. ص: 65.

[2]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 1. ص:77.

[3]- Jean D'Ormesson: Une autre histoire de la littérature française, p:41.

[4]- «Un sujet terre à terre, un de ces incidents dont la vie bourgeoise est pleine.»
Yvan Le Clerc : Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N°250, février 1988, p:55.

[5]- «L'Idée de donner le jour à quelqu'un me fait horreur, je me maudirais si j'étais père.»
غوستاف فلوبير: التربية العاطفيّة. تر: إيلي - مارون خليل. تقديم: البيْر تيبُوديْه، ط1. ص:10.

[6]- محمد هريدي: البوفاريّة في الرواية المصرية والتركية - دراسة مقارنة. مجلة فصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 01، م 03، ع 03. ص:129.

[7]- لافراندا: فلوبير بقلمه. تر: فؤاد قاسم. المنشورات العربية .دت. ص:46.

وسجَّل بداية صداقة ومراسلات بين الكاتبين جعل عاطفتهما المتبادلة تنتصر على الاختلافات الجمالية كما استوحى المؤلف (روايي) أوبرانسنة 1890 انطلاقا من (سالامبو).

ظلَّ (ناسك كرواسيه) حبيس طاولته ونادرا ما كان يغادرها[1]، لكنه قرر بدأً من جانفي 1860 الكف عن التسبب بحياة الوحدة والاندماج في حياة اجتماعية؛ فاحتك بالوسط الأدبي الباريسي وحضر عشاءات (مانيي) التي أسسها الشهر المنصرم غافارني وآل غونكور (الأخوين: جيل غونكور، ت 1870 – ادمون غونكور، ت 1896)[2] وسانت بوف و...غيرهم، والتقى في شباط 1863[3] بـ (بودلير) ودعاه الامبراطور إلى (كومبيين) في نوفمبر 1864. باشر في الفاتح من سبتمبر 1846 كتابة (التأهيل العاطفي) أو (التربية العاطفية) التي كان قد جمع وثائقيتها ووضع تصميمها، أتمَّها في 16 ماي 1869 لكنَّها لم تلق نجاحا كبيراً بعد صدورها بالمكتبات في نوفمبر 1869[4]، رحل شهر جويلية من سنة 1865 إلى انجلترا و عُيِّن منتصف (15) الشهر الجاري فارسا في جيش الشرف . كرَّس (فلوبير) أشد محبته لأمه وبعض أصدقائه من عمره وأحد هؤلاء يدعى (ألفريد بواتفان) وهو شاب حالم في مثل موهبة (فلوبير) هجر لقلة إمكانياته المادية دراسة الطب وعمل مربيا في (روين) لكسب قوته، و(ألفريد) شاعر مسالم لم ينشُر شعره قط وطالما تناصح مع صديقه أمور الأدب لكنه وقع ضحية السل ومرض آخر شائع في ذلك العصر هو (السأم)[5] ليخترمه الموت يوم 18 جويلية 1869. هصر موته قلب (فلوبير) وبعدها (سانت بوف) شهر أكتوبر من نفس السنة، ويبقى (مكسيم دو كمب) صديقه العزيز الحميم والأمين على ثوراته وجرأته. عمل بعد مشاركته كممرض ثم ملازما أولا للحرس الوطني في حرب (1870 – 1871) التي أطاحت بالإمبراطورية على تعديل (تجربة القديس أنطوان) وقد تم نشر الكتاب في صيغته الثانية سنة 1874. أقبل سنة 1875 على بيع أملاكه والاستنجاد بأصدقائه لإنقاذ زوج ابنة أخته (إرنست كومنفيل) من حافة الإفلاس، وفعلا نجح (فلوبير) في إخراجه من المأزق لكنه وجد نفسه بعدها خائرا محبطا جدا ولكي يعيد ملأ كيس نقوده كان في حاجة إلى ال نشر وكانت عودته إلى جنس أدبي هجره هو الحكاية فكتب خرافة القديس جوليان الاسبتاري

(La légende de Saint Julien l'hospitalier)، وكتب السنة الموالية (قلب بسيط) وبدأ العمل على هيرودوس (Hérodias). جمع بعدها ح كاياته الثلاث التي يصفها (تيودور بونفيل) بالـــ: "ثلاث روائع مطلقة وكاملة"[6] وعكست إلهامه ذي الطابع المزدوج[7] في كتاب واحد حمل عنوان (ثلاث حكايات) نشُر سنة

1- يبدو أنَّ وحدته المتصلة لم تمنعه أن يكون صديقا وفيًّا ولعل المراسلات الضخمة الروحية والمؤثرة مع أصدقائه والمقربين منه خاصة تلك التي تبادلها مع (لويز كوليت) مثال جيِّد.

[2]- زبير دراقي: محاضرات في الأدب الأجنبي. سلسلة الدروس في اللغات والآداب. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. دت. ص: 74.

[3]- http://fr.wikipedia.org/wiki/Gustave_Flaubert

[4] -Yvan Le Clerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:26.

[5]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص: 79.

[6]- «Trois chefs d'œuvre absolus et parfais.»
http://fr.wikipedia.org/wiki/Gustave_Flaubert

[7]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 1. ص:78.

1877. كان ينوي مدفوعا بنجاح الكتاب والاستقبال الجيِّد الذي حظي به من طرف النقاد كتابة حكاية أخرى لكنه يريد أولا إنهاء روايته الكبيرة (بوفار وبيكوشيه) التي بدأ في كتابتها سنة 1872. توفيت (لويز كوليت) شهر مارس سنة 1876 وبعدها بثلاثة أشهر (شهر جوان) توفيت (جورج ساند)، أمَّا هو فقد أصبح دون مال وصحته في تدهور مستمر ونوباته العصبية صارت تتكرر بإيقاع مقلق وكان عليه أن يلزم الفراش ما يقرب الثلاثة أشهر بسبب كسر في الشظية. اجتهد أصدقائه في إيجاد عمل له وكان عليه أن انتظار تعيين (جول فيري) سنة 1879 كمحافظ خارج التوظيف الإداري بمكتبة (مازارين) إضافة إلى أجرة المسكن والأكل ومساعدة بثلاثة آلاف (3000) فرنك، ورغم تضايقه من الكمبيالات الجديدة التي كان عليه دفعها وشعوره بالإنهاك والإضناء والإحساس بالتقزز والاشمئزاز من كل شيء فقد شرع في جانفي سنة 1880 في تحرير الفصل العاشر والأخير من (بوفار وبيكوشيه). عاش (فلوبير) وحيدا واهبا نفسه للأدب حتى وافته المنية[1] بغتة بعد نزيف دماغي وسط مخطوطاته في (سان- أنفاريور) بـ (كرواسيه) يوم الثامن (08) ماي 1880 تاركا (بوفار وبيكوشيه) غير مكتملة، وقد قامت مجلة (الجديدة) نشر الأجزاء المكتملة منها سنة 1880 وظهرت السنة المقبلة (1881) بالمكتبات.[2] لم يعد (فلوبير) في العشر سنوات الأخيرة من حياته قادرا على تحمُّل أحزانه وكتب إلى (موريس شليزنجر) في 24 نوفمبر 1853: "عَلتني دكنة تبعث على الخوف."[3] ولم يعد في قدرته أبدا التصنع في رسالته إلى السيدة (ورجيه دي جنيت) شهر شهر أكتوبر 1864: "كم أنا متضايق! كم أنا متعب."[4] ويخبر (جورج صوند) في رسالة تعود إلى الثالث عشر (13) جانفي 1867 أنه: "أقضي أسابيع كاملة دون تبادل كلمة مع بشر."[5]

كان يشتاق دائما إلى الإحساس بالمرارة في كل شيء واليأس في غمرة حماسته ومن يسخر منه مع انتصاره ولعلها مشاعر الرومانسية وغربته!. كتب في (مذكرات مجنون): "طفلا، حلمت بالحب؛ - شابا، بالمجد؛ - رجلا، القبر."[6] ونقرأ في (ذكريات أدبية): "مررت بفترة شباب مريرة حقا، ولا أريد أن أعود إليها ."[7] ونصحنا (مكسيم دو كمب) بالعودة إلى تفاصيل فترة شباب (فلوبير): "من المسموح متابعة تفاصيل فترة شباب الكاتب؛ لم يكن لغوستاف فلوبير فكرة مشتركة مع والده الطبيب، لا فكرة مشتركة مع الرونيين

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية.17. غ - ف. الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الرياض، المملكة العربية السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1419 هـ/1999م. ص:505.

[2]- غوستاف فلوبير: التربية العاطفيّة. تر: إيلي - مارون خليل. تقديم: البيْر بيْوَديْه، ط1. ص:644.

[3]- «Je deviens d'un sombre à faire peur.»
Gustave Flaubert: Correspondences. Œuvres complètes (y compris les œuvres inédits de jeunesse; la première éducation sentimentale, la première tentation de Saint Antoine et les notes de voyage, et une volumineuse correspondances). Préface de Jean Bruneau - présentation et notes de Bernard Masson. Edition du centenaire. Paris,1925. T.02, p:71.

[4] «Comme je m'ennuie ! Comme je suis las.»
نفسه. المجلد02، ص:80.

[5]- «Je passe des semaines entière sans échanger un mot avec un être humain.»
نفسه. المجلد02، ص:87.

[6] «Enfant, j'ai rêvé l'amour; - jeune homme, la gloire; - homme, la tombe.»
Gustave Flaubert : Mémoire d'un fou. Œuvres complètes. T.1, p:37.

[7] «J'ai passé vraiment une amère jeunesse, et par laquelle je ne voudrais pas revenir.»
Henri Guillemin: Flaubert devant la vie et devant dieu. Préface de François Mauriac. Chap.01: le Prédestiné. P17

(...) كان على تناقض مع وسطه وزمنه، كان فلوبير على خلا ف مع نفسه أيضا، أصيب بمرض مزمن ويمكنه تقييم مدى ظآلتنا والاحساس بشدة قوته (...) كان من كائنات العمل وليس الحلم."[1] جعله ذلك يبحث في رحلاته على بعض الدعة والتواضع اللذين يشعرهما المسافر في خضم هذا الكون الفسيح الذي لا يفتأ يذكّرنا بمدى ضآلته[2]، وقطع صلته بالرومانسية لاهتمامه بالفيزيولوجيا وعلمي التشريح والطب الباطني ما أتاح له الحصول على فكرة محسوسة عن الحياة ساعدته في وضع مبادئ جلية دقيقة للمذهب الواقعي النقدي وجعلته يقترب أكثر من المنهج العلمي في فنه:[3] عصرية شعريته الخيالية . وقد برزت العدمية في روايات (غوستاف فلوبير)، وهي مذهب أدبي وفلسفي ملحد اهتم بالعدم واعتباره الوجه الآخر للوجود بل هو نهاية الوجود، كما ترى أن الوجود الإلهي وعدمه سواء ويحسن أن لا يجهد الناس أنفسهم في ذلك ولإمكانها معرفة حقيقة الحياة بعيدا عن النظرة المثالية أو النظرة الواقعية السطحية، ويفرق المؤرخون بين الإلحاد والعدمية؛ فالملحد يختار الإلحاد الصريح كـ (سارتر) مثلا أما العدمي فيحتوي عنده الوجود الإلهي وعدمه و(نيتشه) صاحب (موت الإله) واحد من أهم الفلاسفة العدميين، وينحصر التزام الأديب العدمي في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالا ناضجا يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب العدمي المدرك للعدم و يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن نافذا من الموت والبشاعة والعنف والقبح إلى الحياة العدمية، أما الطبيعية فقد عرفت في التاريخ الأدبي بمعنييها الظاهري والباطني؛ الأول يستمد من الوصف المباشر للواقع والثاني من الملاحظة العلمية الدقيقة للسلوك الإنساني ، هي: "الحاصل الطبيعي لحالة حضارية جديدة"[4] يقول (زبير دراقي) و: "ولوج لمنهج العلوم التطبيقية في الميدان الأدبي عاد يندرج ضمن التطور الاجتماعي والفكري العام."[5] ويختصرها (إميل زولا) في كلمتين: " " الطبيعية ما هي إلا منهاج .. أو تطور"[6]، ويرى بعض النقاد أن (فلوبير) بنظرته اليائسة إلى القدر كان سباقا إلى الأفكار الوجودية وأن الثقة الشديدة في أبحاثه الشكلية وانعدام الطابع الشخصي في أعماله يقربانه من تيار أدبي معاصر يطلق عليه (الرواية الجديدة)[7] بل راح البعض يعتبره باعث الرواية الحديثة[8] ورأى فيه آخرين أب الأدب الحديث[9]، ولعل افتتانه بالفراغ والموسيقى المأتمية وهيمنتهما على رواياته تدخله في زمرة الكتاب المعاصرين،[10] أما (فلوبير) فيود تأرجح مؤلفاته بين الواقعية والرومانسية إلى ازدواجيته، فهو شخص

---

[1]- « Il est loisible de suivre le détail de la jeunesse de l'écrivain; Gustave Flaubert n'a pas une idée commune avec le docteur son père, pas une idée commune avec les Rouennais (...) Il est en contradictoire avec son milieu et avec son temps, Flaubert était aussi en contradiction avec lui - même, touché d'un mal incurable, il peut mesurer le peu que nous sommes, et sentir l'extrémité de sa force (...) Ils étaient des créations d'action et non pas de rêve. »
Paul Bourget: Gustave Flaubert, p:51.

2- سعد فلووق: فتح ملف كوتشوك هانم. مكتبة المعارف. 2003م. ص21(بتصرف).

3- فان تييغم: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. ص:223.

[4]- زبير دراقي: محاضرات في الأدب الأجنبي. ص:74(بتصرف).

[5]- نفسه. ص:74(بتصرف).

[6]- فان تييغم: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. ص:223.

[7]- موسوعة المعارف الحديثة - الآداب 1. ص:80.

[8]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, pp: 293 - 294.

[9]- Jean- Jacques Brochier: Gustave Flaubert et ses héritiers. Magazine littéraire - Flaubert. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n° 250, février 1988, p:17.

[10]- موسوعة المعارف الحديثة - الآداب 1. ص:27 .

يوجد بداخله رجلان؛ يترع أحدهما إلى الغنائية والآخر إلى الواقعية .[1] كان (فلوبير) من أشد الكتاب انشغالا بتقنيات الكتابة وهو في ذلك مثال أعلى للمثابرة وبذل الجهد[2]؛ ؟كان يجلس وراء طاولته يوميا من عشر إلى اثنتي عشر ساعة وأحيانا يقضي ساعات طويلة أو أياماً كي يجد الجملة المناسبة أو الكلمة المناسبة ثم يقرأ النص بصوت مرتفع في غرفة يسميها (غرفة الصراخ) كامتحان أخير لتقييمها، وكثيراً ما تحدث عن عذاب الكتابة و حرصه على استنفاذ كل طاقته من أجل اختيار الكلمات والجمل الملائمة ، يشكو إلى الآنسة روبي دو شانتبي (Mlle Le Royer De Chantepie) كثرة بحثه عن جملة، فقد داخت رأسه وجفتّ حلقه وهو يقلبها على عشرات الوجوه؛ نجّرها وحفرها ثم ندب وشتم حتى وجدها أخيرا، لم تولد دون مخاض وعذاب لكنها رائعة يعترف بذلك: "... إنّها مثل الجسد والروح؛ الشكل والفكرة، الكل واحد."[3] وتحتفظ (مكتبة روان) بما يفوق الألف وثمانمائة (1800) مخطوطة من (مدام بوفاري)[4]، وهي إثبات كبير على معاناة (فبوبير) في تحريرها ونصريرها لتعوّفه الدائم من الكتابة مع قلة ما كتب إذ لا يتجاوز إجمالي رواياته طيلة حياته خمس (05) أو ست (06) روايات، وهذه عبقرية هادئة: "تصنع نفسها بالصبر والمثابرة والعمل المتواصل."[5] لم يكن النص الأدبي بالنسبة لـــ (فلوبير) معجزة بل كان صراع ضد حتمية اللغة التي يجدها المبدع ماثلة أمامه وسابقة على وجوده ،[6] وقد برع على صعيد اللغة وأصبحت أعماله مرجعا في اللغة الفرنسية وكان لدقة وعمق وصفه لتفاصيل الدواخل الإنسانية وعنايته برسم الشخصيات تأثير كبير على التكوين الشخصي للمتلقي بل وعلى الفن الروائي في القرن العشرين (20).

قرأ (فلوبير) منذ طفولته الأولى لـ (فولتير)[7] وواظب على قراءة (ساد): "مثل كل معاصريه، قرأ فلوبير ساد، وصاغ مفهوما عن الرجل الذي نادرا ما يحمل على التفاؤل، لكن ليس بالضرورة على اليأس ."[8] ونقرأ له في إحدى أعداد مجلة (l'artiste):"مساء ذات إثنين من 15 يوليو 1839 في قسم الرياضيات مع صديقه ارنست شوفالييه بالحي اللاتيني : "أحب كثيراً أن أرى رجالا هكذا، مثل نيرون، مثل ماركيز ساد (...)، هؤلاء الوحوش – يفسرون بالنسبة لي التاريخ، إنّهم التتمة، الذروة، الأخلاق، التحلية."[9]

تعرّفنا على (فلوبير) الرومانسي و(فلوبير) الواقعي و(فلوبير) رجل المراسلات وبقي (فلوبير) رابع هو (فلوبير) الصحافي، وأكثر ما يبرز هذا الجانب في دفاتر أعماله وما تعكسه من اهتمام با لفكرة وشغف

---

[1]- زبير دراقي: محاضرات في الأدب الأجنبي. ص: 70.

[2]- فيكتور برومبير: غوستاف فلوبير. تر: غالية شملي. ط1، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978م. ص:26.

[3]- «...C'est comme le corps et l'âme; la forme et l'idée, c'est tout un»
Jacques Suffel: Gustave Flaubert - chronologie et préface. Garnier Flammarion. Paris, 1966. , pp:78 - 81(بتصرف)

[4]- Jacques Suffel: Gustave Flaubert - chronologie et préface. Garnier Flammarion. Paris, 1966. , pp:78 - 81(بتصرف)

[5]- هاشم صالح: بين العبقرية والجنون. الحوار المتمدن. ع:767(بتصرف).

[6]- حليمة الشيخ: ما قبل النص. ج 02. برينال. دت. ص:29.

[7]- Claude Duchetm: Sade dans Flaubert. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n° 250, février 1988, p:39.

[8] «Un Flaubert qui, comme tous ses contemporains, a lu Sade, et s'y forgé une notion de l'homme qui ne portait guère a l'optimisme, mais pas d'avantage au désespoir.»
نفسه. ص:17.

[9] «Le 15 juillet 1839, un lundi soir en classe de mathématique avec son amis Ernest Chevalier, en quartier latin: J'aime bien voir des hommes comme ça, comme Néron, comme le marquis de Sade (...) ces monstre - explique pour moi l'histoire, ils sont le complément, l'apogée, la morale, le dessert.»

بالتحقيق[1]، وقد صدر عن (دار ادهانسا) بـــ (بوشلونة) كتاب (حق وجرأة) للكاتب الإسباني (جوردي جوييت) اشتمل على مائة وستين (160) صفحة وجمع فيه عشرات الأقوال و الآراء الـــ (غوستاف فلوبير)، ومعرفة (جوردي جوييت) الكبيرة باللغة الفرنسية وإحاطته بأدب (فلوبير) جعلا من كتابه مرجعا مهماً عن (فلوبير) الإنسان والكاتب ومن خلاله على ثقافة عصره وأبرز كتَّابه، ويبدو أنه قد انتقى تلك الأقوال بعناية وقصديه من كتابات (فلوبير) ورسائله وأوراقه وأحاديثه، وهي لا تخلو من بعض التناقضات ومن روح السخرية والانتقاد لأشياء كثيرة بما في ذلك فرنسا ذاتها وليس فرنسا كأرض وبلد وإنما كذهنية وحال ووقوف إلى جانب العلم والحداثة والدعوة إلى تحطيم المبالغة والبرجوازية على الصعيدين الاجتماعي والثقافي ورفض لكل مظاهر التخلف والتقليدية خاصة في مجال الأدب الذي ينحاز فيه (فلوبير) إلى الشعر والشعراء أكثر منه إلى كتاب النثر:

"في هذه اللحظات لا أحد يهتم بالفن.. الفن بحد ذاته، إننا نشوِّهه ونلطخه بشكل رهيب بكل ما هو برجوازي."

"لقد مضى زمن الجمال!! فالفن سيصبح يوما بعد يوم أكثر علمية، وبالطريقة نفسها سيعود العلم يوما بعد يوم أكثر فنية، وسوف يلتقي الاثنان في القمة بعد أن كانا متباعدين في القاع."

"إنني لا أصنفها كقراءات جادة، تلك التي تتناول مواضيع عميقة جدا .. وإنما القراءات الجادة هي تلك التي تنكب على الكتب المصنوعة جيدا من حيث التقنية والأسلوب، يرافقها إطلاع على المناهج التي تم توظيفها.. لأننا روائيون ولسنا مزارعون!"

"في عصرنا الراهن لدي انطباع بأن المفكر (أي كل فنان أو مدَّعي أنه مفكر؟ !) لا ينبغي له أن يمتلك لا يقين ولا وطن ولا حتى ميول اجتماعية."

"باستثناء القميء.. يموت أحدنا في التردد بين قيمه الخاصة وبين قيم الأعمال التي كتبها؟"[2]

يصادفنا وجود العديد من النساء في حياة (فلوبير):"كانت لي غراميات مع نساء على اختلافهن."[3]

أحب (**إليزا شليزنجر**) و (**لويز كوليت**) وتطول القائمة مع:

السيدة فوكو أولالي دو لونغلاد ، التقاها (فلوبير) بـ (مرسيليا) سنة 1840 وهو في طريقه إلى (كورسيكا)، كانت آنذاك في الخامسة والثلاثين (35) من العمر وقد جاء فلوبير على تجربته الشهوانية معها شهر نوفمبر 1842 في رسالة إلى (لويس بويهت) تعود إلى الثالث والعشرين (23) أفريل 1858.

---

[1]- entretien avec Pierre- Marc de Biabi. Magazine littéraire - Flaubert. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n° 250, février 1988, p:28(بتصرف).

[2]- http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=29560.

[3]-« J'ai eu des amours à tous crins.»
Jean- Jacques Brochier: Gustave Flaubert et ses héritiers. Magazine littéraire - Flaubert, n° 250, février 1988, p:17.

الأميرة ماتيلد، ابنة ملك واسط فالي (جيروم بونابارت) أصغر إخوة (نابوليون)، ولعل مركزها الملكي منع (فلوبير) من إعلان غرامه لها وجعله يتصرف كعاشق جامد.

جوليات لآربار، معلمة ابنة أخته (كارولين همار) بين سنتي (1855 – 1857) قبل عودتها إلى انجلترا.

كان فلوبير يغشى دور الدعارة، وقد يظن الكثيرين أن ذلك انحراف في السلوك إلاَّ أن (فلوبير) له فيها فلسفة خاصة؛ فما أكثر ما يتعلمه الإنسان داخل الماخور ، إنَّها نقطة التقاء عناصر عدة هي: الدنس، والمرارة، وغياب الترابط الإنساني تماما، والسعار العضلي، وصليل الذهب... ورغم الحزن البالغ الذي يخامر المرء فإنَّه يعاود الحلم به بكثير من الحب واللوعة . كان يحب الدعارة لذاتها بصرف النظر عن معالمها الجسدية، يأخذ قلبه في الدق كل مرة يرى فيها إحدى تلك النسوة ذات الأثواب القصيرة تسير قرب واجهة زجاجة تحت المطر تماما مثلما كان الرهبان بملابسهم التي تلفها الحبال يلمسون دائما ركنا عميقا زاهدا في روحه: "لم يكن للجسد البشري أسرارا تستقصي على فلوبير، فقد كان ابن جراح، ويعرف هو نفسه كثيرا من الأطباء، كما يعرف المشرحة التابعة للمستشفى .. نريد أن نقول إن منظر فلوبير الخادع، وملامح شكله الرياضية، وتقليده لأبناء جيله في غزوات الحب، ليست إلا مظاهر خارجية، فقد كان ذا حساسية فائقة."[1]

آثاره الأدبية:

يزخر رصيد (فلوبير) بالكثير من الأعمال الرئيسية، وإضافة إلى مؤلفاته السابقة ندكر:

Trois pages d'un cahier d'écolier (1831).

Passion et vertu, conte philosophique (1837).

Correspondances [deux volumes] (1852) .

Salammbô سالامبو (1860).

(**سالامبو**) ملحمة بطولية عن انتفاضة المرتزقة ضد زعمائهم القرطاجنيين عاد فيها الكاتب إلى الغنائية:

"كان ذلك بميغارا، ضاحية قرطاج، في حدائق هملكار."[2]

كان ذلك الديكور الضخم والدامي لغراميات المرتزق (ماتة) وابنه (أميلكار) جسدَّت فيه (سالومبو) المرأة المتخاصم عليها ومركز التنافس السياسي، ولعل اكتشافه للعادات والأعراف الشرقية خلال رحلته إلى مصر جعله يكتب (سالامبو) و (هيرودوس) بعدها سنة 1877.

التربية العاطفية (Education sentimentale)، 1869: سيرة ذاتية ومثال على واقعية الأدب المتزمت[3]، أنهاها كتابة أولى في السابع عشر (17) جانفي 1845 لكنها لم تنشر إلاَّ بعد ثلاثين (30) عاما عن وفاته.

---

[1]- د.نولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

[2]- «C'était à Mégara, faubourg de Carthage, dans les jardins d'Amilcar.»

[3]- الموسوعة العربية العالمية.17. غ - ف. ص:20.

تزج (التربية العاطفية) بالقارئ مجددا في الدروب التعسة للأوهام المفقودة والأحلام المهدورة والحياة الفاشلة.

غواية القديس أنطوان (La tentation de Saint Antoine): صدح هذا النشيد الغنائي في صيغته النهائية سنة 1874، و(أنطوان) ناسك من العهد الأول للمسيحية كان يستعرض على طريقة (دانتي) كل ديانات العالم ترك فيها (فلوبير) حرية التعبير لخياله الطليق.

بوفار وبيكوشيه (Bouvard et Pécuchet): رواية غير مكتملة لـــ (فلوبير) نشرت بعد وفاته بسنة (1881)، اعتمد في كتابتها على ألف وخمسمائة (1500) كتاب، تروي انسحاب عاملين بالمكاتب ذوي ذكاء متواضع إلى القرية ومحاولتهما التجريب في العلوم بأفكار مسبقة لكنهما باشرا عملية استكشاف المعارف الإنسانية دون منهج محدد ففشلا بشكل مثير للشفقة: "كانا في الأربعينات مثله، نشيطين، كريمن، غامضين."[1] لقد دفع (فلوبير) ببطليه إلى حافة هاوية تبعث على الدوار حيث يتواشج جنون العظمة مع حماقة لا حدَّ لها، عاكسا بذلك عقلا علميا حقيقيا وليس تكميليا، فمن يطير يموت في النهاية.

قاموس الأفكار المتوارثة (Le dictionnaire des idées reçues): كان في نية (فلوبير) إضافته إلى رواية (بوفار وبيكوشيه) لكن ذلك لم يحدث ونُشر المنجد بعد وفاته، أخذ شكل جمع كليشيهات و جمل متداولة تعبِّر غالبا عن الحس السليم. أدرك (فلوبير) أن الأمر لم يكن يتعلق بلغة البرجوازيين وحدهم، فكل لغة ابتداء بلغته مليئة بالثقوب، ووصل في نهاية سفر طويل نحو الفراغ إلى تصور عبثي بأن هناك لغة ميتة تستعمل كأداة تواصل بين البشر!

نُشر له في المجلات:

La découverte de la vaccine [inach] (1845)

Une leçon d'histoire naturelle, genre commis (1837),.[2]

نشر له بعد وفاته هذه الأعمال:

Correspondances [cinq volumes] (1877- 1905)[3].

Dictionnaire des idées reçues (1911).

Correspondances [neuf volumes] (1926 -1933) .

Supplément à la Correspondances [quatre volumes] (1954).

Souvenirs, notes et pensées intimes (1965)[4] .

تتمتع رسائل (فلوبير) بمكانة مميزة، ولها أهميتها في فهم عمله بمجموعه[5]، خاصة أن كثيرا من مراسلاته مع (لويز كوليت) وأصدقائه إجمالا أثارت جوانب نفسية وكشفت عن معلومات مهمة عن عملية تكوُّن

---

[1]- «Quadragénaire comme lui, dynamique, généreux, incompris.»
Jean- Jacques Brochier: Gustave Flaubert et ses héritiers. Magazine littéraire - Flaubert, n° 250, février 1988, p:17.

[2]- Henri Le Maître: Dictionnaire Bordas de littérature Française et Francophone, p:292.

[3]- نفسه. ص:293.

[4]- Abdeljalil Alquarawi: La Tunisie dans les lettres française du dix- neuvième siècle. Thèse. Paris.1969. p:26.

[5]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1983. ص:90(بتصرف).

الرواية وعن مذهبه الأدبي؛ كتب إلى (سانت- بوف) بعد انتهائه من (مدام بوفاري):"أنا رومانسي قديم متحمس."[1] وقد سحرت مراسلاته عددا من الكتاب فـــ (أندريه جيد) مثلا يعتبر (فلوبير) معلما وصديقا وأخا ومراسلاته كانت رفيقة وسادته طويلا. آه، لقد قرأها بعناية في سن العشرين واليوم ليس فيها جملة واحدة لا يعرفها، احتلت طيلة خمس سنوات مكان الإنجيل وكانت معين الطاقة له وسبغت على حماسته نوعا جديدا من الورع.[2]

أبله القرية (crétin de l'algide): اختار (فلوبير) هذا العنوان حتى يثبت لوالده الذي أطلق عليه هذا اللقب أنَّ أبله شديد الذكاء.[3]

Le château des cœurs.

كتبه عن الحياة الحديثة.

وقد فتح ضياع أوراق (فلوبير) بعد وفاته على يد (كارولين) المجال واسعا لكثير من التساؤلات.[4]

---

[1]- « Je suis un vieux romantique enragé»

غوستاف فلوبير: التربية العاطفيَّة. تر: إيلي - مارون خليل. تقديم: البيْر تيبُوَديْه،ط1. ص:624.

[2]- La nouvelle revue Française. Avril 1983, p:52(بتصرف).

[3]- Jean Didier Urbain: L'idiot du voyage - Histoires des touristes. Paris, 2002, p:354.

[4]- د. دَولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

عرض الرحلة:

غوستاف فلوبير: (رحلة إلى الشرق) **[1849 - 1851].**

(Gustave Flaubert. voyage en orient) [1849 - 1851].

1. المستوى العام:

تاريخ النشر:

نشرت رحلة (غوستاف فلوبير) إلى الشرق بعد وفاته في الجزء الثامن من رحلاته.

مسار الرحلة:

شق (فلوبير) طريقه رفقة (مكسيم دو كمب) إلى الشرق الأوسط في رحلة بحرية استغرقت سنتين (1849-1851) قادته إلى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وآسيا الصغرى وتركيا واليونان وإيطاليا؛ انطلق من باريس يوم 29 أكتوبر 1849 إلى مرسيليا حيث أبحر في 04 نوفمبر وبعد الكثير من العواصف البحرية وصل إلى الإسكندرية منتصف (15) نوفمبر 1849 ليغادرها يوم 25 من نفس الشهر إلى القاهرة، وامتدت إقامة (فلوبير) في القاهرة حوالي الستة أشهر (من شهر ديسمبر إلى غاية شهر جويلية 1850) ثمَّ بعدها إلى فلسطين ووصل إلى القدس في التاسع (09) من شهر أوت 1850، أكمل طريقه إلى سوريا فلبنان فتركيا واختار أن تكون طريق العودة عبر اليونان وإيطاليا؛ مكث (فلوبير) في أثينا من ديسمبر 1850 إلى فيفري 1851 وقد كتب إلى والدته من هناك في 15 ديسمبر 1850: "انتظري أن تجدي ثلاثة أرباع أصلع، بهيئة منتفخة، الكثير من اللحية والبطن ."[1] أقام في إيطاليا حوالي الأربعة أشهر (من شهر فيفري إلى غاية شهر جوان 1851) وزار نابولي وروما وفلورانسا وفينيسيا وميلانو قبل أن يحط بكرواسيه في جوان 1851.

قام الأخوين (إدمون وجول دو غونكور) بنشر مقطع من مخطوط (فلوبير) يعود إلى السادس (06) ماي 1866 جاء فيه: «قال فلوبير بالأمس : "هناك رجلان بداخلي، الواحد ترونه، ضيق الصدر، الرجل الذي صنع من أجل الانحناء على طاولة؛ الآخر، كاتب رحَّالة، جذل حقيقي لكاتب رحلات في رحلة،

[1]- «Attends-toi à me retrouver aux trois quarts chauve, avec une mine culottée, beaucoup de barbe, et de ventre.» Gustave Flaubert: Correspondances. T.02, p:283.

وطعم التمارين العنيفة !"»[1] ولم يمل (مكسيم دو كمب) تشجيع صديقه (فلوبير) على عدم الاستسلام للعادات المترلية وم رافقه في رحلة ثانية أطول من الأولى ويمد الدكتور (أشيل) يد المساعدة: "غوستاف، لصحته يجب أن يرحل ."[2] تقتنع (أم فلوبير) أخيراً وقد اشتدَّ جزعها على ابنها بالموافقة على سفر هذا الأخير، ولعل (مكسيم دو كمب) كان أكثر حظا من (فلوبير) فقد استطاع وهو اليتيم الثري الحيوي أن يسافر في سن العشرين بمفرده إلى آسيا الصغرى وإيطاليا والجزائر لينشر سنة 1848 (ذكريات ومشاهد من الشرق) أهداه إلى (غوستاف فلوبير) هذا الأخير الذي ارتعشت يداه فرحا عند تصفحُّه، وقد ذكر (مكسيم) في ذكرياته أن الأصدقاء الثلاثة (غوستاف فلوبير) و(مكسيم دو كمب) و(لويس بويهت) الذي لم يمنعه فقره المدقع م شاركة صديقيه في حبه ما للقدم والشرق كانوا يلتقون قبل السفر إلى مصر وأحيانا الليل بأكمله.[3] حلم (فلوبير) مبكرا جدا بالشرق وكان لاطلاعه البسيط باللاتينية ومعرفته باليونانية القديمة وقراءته لـ (هيرودوت) و (بايرون) وشرقيات (فكتور هيجو) و(ألف ليلة وليلة) دور في اكتشاف طريق القدم الكلاسيكي والشرق، كما كانت بعض الأماكن الأوروبية أكثر شرقية وقد حدث أن تجمَّع حشد من الناس في الرابع عشر (14) سبتمبر 1833 على ضفاف نهر (السين) بباريس لتحية إحدى قطع البحرية الفرنسية المتَّجهة إلى الإسكندرية وكان بين هؤلاء صبي فرنسي في الثانية عشرة من عمره يدعى (غوستاف فلوبير) أخذ يحلم بالسفر إلى مصر والعمل كجمَّال (يقود الجمال) والزواج من امرأة مصرية وأصبحت مصر وفلسطين وسوريا والأراضي الواقعة على امتداد سواحل شمال إفريقيا ترادف عنده كل ما هو جميل ليهتف: تحيا الشمس، تحيا أشجار البرتقال، تحيا النخيل، تحيا أ زهار اللوتس، تحيا الرومانسية التي تعزف حبا... وقد أبدى في كتاباته الأولى شغفا كبيرا بكل ما هو شرقي حتى إنَّه تنازل عن كل نساء العالم مقابل تمثال كليوباترا ويروي في النسخة الأولى من مؤلفه (إغواء القديس أنطوان) مباشرة قبل سفره إلى مصر عن انقضاض جحافل من الوحوش والأوثان والهراطقة وسائر الخطاة على القديس في ملاذه بمصر وساعده على إتمام كتابه ذاك قراءاته عن أديان الشرق ممضيا أياما في اكفهرار مدينة روين جعلته يشتاق أكثر إلى الشمس وصار اهتمامه أعظم من مجرد تذوق متحفي ، وكان الرابع (04) نوفمبر 1849 تاريخ مغادرة اثنين من المتحمسين مرسيليا إلى الإسكندرية، كتب إلى والدته في رسالة تعود إلى السابع عشر (17) نوفمبر 1849 أنَّه وعندما أصبحا على مقربة من شاطئ الإسكندرية وكان ذلك عند الساعة الثانية لعد الزوال صعد مع قائد الدفة إلى سطح السفينة ومن هناك بدا سراي (عباس باشا) على حافة مياه البحر المتوسط الزرقاء مثل قبة سوداء والشمس تصب عليه بأشعتها ورأى الشرق خلفه في ضوء فضي ذاب بين

---

[1]- «Flaubert disait hier: "Il y a deux hommes en moi; l'un vous voyez, la poitrine étroite, l'homme fait pour être penché sur une table; l'autre, un commis voyageur, une véritable gaieté de commis voyageur en voyage, et le goût des exercices violents!"»

Charles Dantzig: Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus. Choix, notice et préface, p:89.

[2] «Gustave, pour sa santé a besoin de partir.»

د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر- نوفمبر - ديسمبر 1983.ص ص:19 - 20.

[3]- Maxime du Camp: Souvenirs littéraires. vol 01. Hachette. Paris, 1883. [02 vols], p:80.

البحر والسماء وما هو إلاَّ وقت قصير حتى ارتسم الشاطئ فكان أوَّل ما رآه جمَّال يقود جملين وعلى طول الساحل عرب نشيطون يصطادون في ثنايا هواء لا حدَّ لمسالمته، وعند النزول عمَّ ضجيج يذهب باللب كأنَّه مجموع دفوف الشرق كلها، وصادف أن كان (سليمان باشا) رجل مصر القوي ومرعب القسطنطينية متواجدا في الإسكندرية وليس في القاهرة فقلم بزيارته وقد وجده رجلا ساحرا وودود قابله بما يثير الإعجاب، وفي اليوم الموالي لوصوله الإسكندرية صعد النيل على متن سفينة ذات مركب بخاري صغير لا يحمل إلا محركه عبر شواطئ المحمودية الفضاء المؤدية إلى القاهرة.[1] شعر (فلوبير) في الليلة الأولى بالطرب والميل إلى الغناء؛ كان يثرثر ويكثر الحركة ويقرأ بصوت عال أبياتا من شعر (بويه ت) ولم يستطع إرغام نفسه على النوم فضاء النيل الأصفر الوقراق وبعض النجوم يحعلانه يفكر في (كيلوباترا).. ويغشاه النوم في فراشه المتنقل مرتجر بمعطفه، يا للهناء! الحقل الأخضر يشرب من بعيد أحد سهول نورماندي حيث تترع أشجار التفاح والصحراء بلونها الرمادي المحمر حيث يقبع هرمين وثالث يصغرهما وإلى اليسار منهم قبَّة مسجد (محمد علي) ووراء القاهرة تلال المقطَّم العالية [2]، نزل المسافران وأراد (مكسيم) التقاط بعض الصور، لكن التصوير كاكتشاف [3] جديد لا يزال يثير الفضول فالتفَّت حولهما جماهير كثيرة تدخل الجو نود لفوقها.. أترين أيتها العجوز المسكينة أنني لا أستطيع أن أكون أسعد حظا!![4] وقد نشر (مكسيم) بعد عودته ألبوما بمائة وخمسين (150) لوحة فوتوغرافية من نوع الداغريوتيب يصاحب نص تفسيري تسبقه مقدمة أطلق عليه عنوان (مصر والنوبة وفلسطين وسوريا)كما كتب (النيل) الذي فرَّق بين الصديقين بعد شراكة طويلة.. وقد أقام مجمع الفنون في القاهرة بقاعة اخناتون بين يومي السابع عشر (17) والثامن عشر (18) فبراير سنة 1982 تحت إشراف وزارة العلاقات الثقافية الخارجية الفرنسية معرضا للصور الفوتوغرافية حمل اسم (مصر في عهد فلوبير)، وكان بين المعروضات صورة لـ (فلوبير) في القاهرة بعدسة (مكسيم) تعود إلى التاسع (09) يناير 1850 إضافة إلى صور أخرى.[5]

---

[1]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:231.
[2]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:532
[3]- Ed. Gide et J. Baurdry. Vol 02. 1852, p:47.(بتصرف)
[4]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, pp:528 – 529(بتصرف).
[5]- د.نولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:138.

القاهرة، صورة فوتوغرافية لـــ (مكسيم دو كمب).[1]

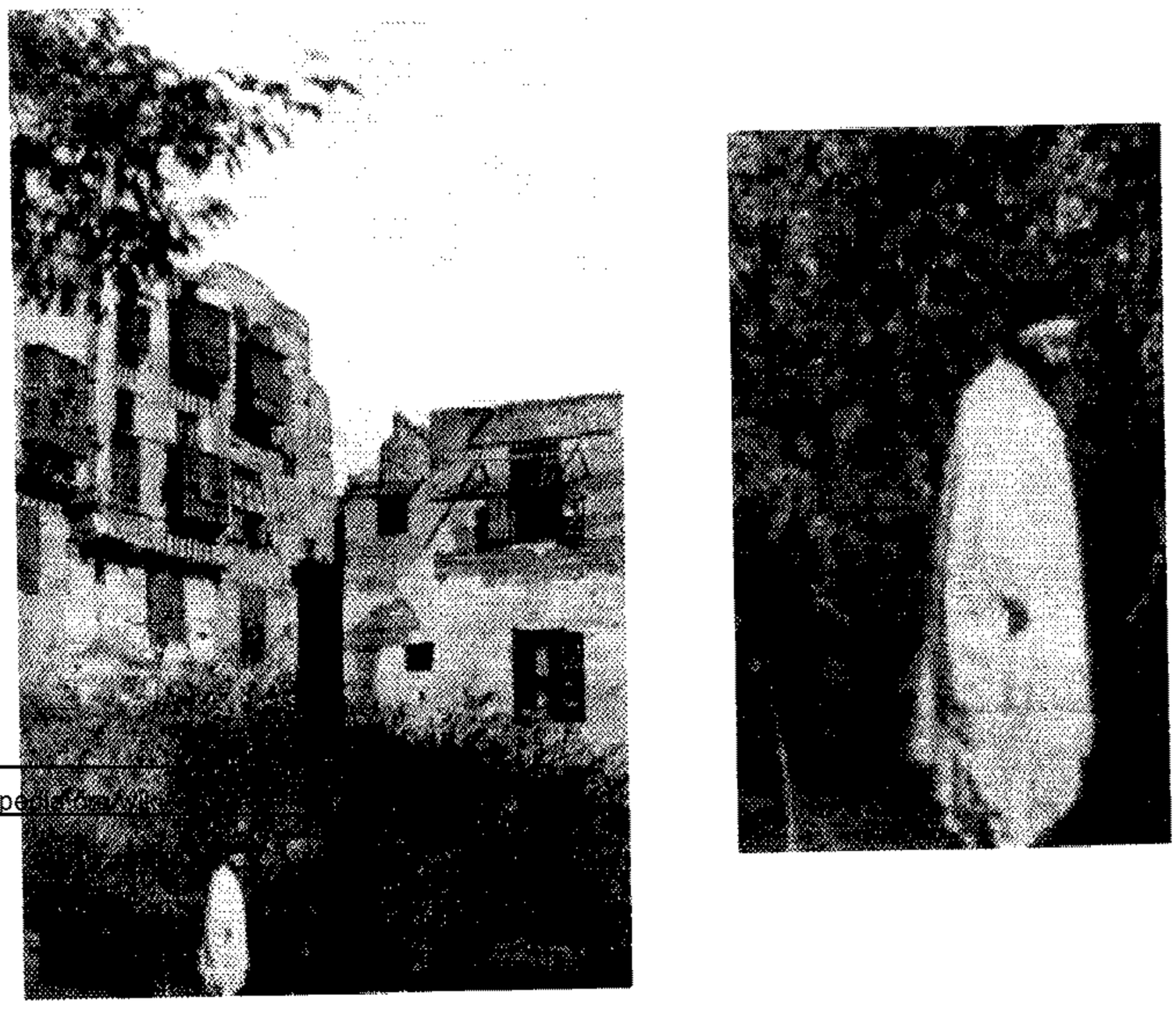

1- http://fr.wikipe[illegible]

(غوستاف فلوبير) في القاهرة، صورة فوتوغرافية لـــ (مكسيم دو كمب).[1]

كان فلوبير يقدِّس أمه ويعاملها بحرارة فجة؛ هي عجوزه المسكينة يتخيل أنَّها ظلَّت وحدها بعد سفره تبكي وقد تهدَّل ركنا فمها، وراح يكتب لها بانتظام يحدثها عن أحداث يومه الصغيرة ويرد على رسائلها، ورسالتها الطويلة الطيبة -يا عزيزتي العجوز المسكينة- قد وصلته كهدية رأس السنة يوم الأربعاء الماضي (16 جانفي 1850) وأنَّه تسابق بالجمال، أتدرين لا يسبب الجمل غثيانا أو ألما كما يقال بل إنَّ الواحد يجلس وكأنَّه على مقعد وثير ويمكنه التغيير في وضع ساقٍ على ساق أو التمدد على رقبة البهيمة أو أن يضجع في الهودج ، أما كنيته فيصعب عليه الانتظار حتى ينطقها أمامها!! أتعرفين كيف يدعوني العرب؟ يصعب عليهم كثيراً نطق الأسماء الفرنسية فيضطرون إلى اختراع أسلم من عندهم، خمِّنيه إذن.. إنَّ الاسم الذي اشتهرتُ به هو (أبو شنب) ومعناه (والد الشوارب)! وتستعمل كلمة (أبو) أيضا بمعنى الصاحب لتحديد الشيء الأساسي المتعلِّق بالشخص فيقولون مثلا أبو الأحذية وأبو الصمغ وأبو المسطرده ليعنوا تاجر الأحذية و تاجر الصمغ و تاجر المسطرده، ولها أن تحكم على ابتهاجه عندما عرف بالشرف الذي يسبغونه على هذا الجزء المتواضع من شخصه! أما (مكسيم) فقد أطلقوا عليه اسما طويلا جدا لم يعد يذكره ومعناه (الرجل بالغ النحافة)[2]، وبعث من القاهرة في الرابع عشر (14) نوفمبر 1849 بقصيد بريدي إلى رفيق ثقافته (لويس بويهت) يبدأه بتقبيل الرأس الطيبة لهذا القديم العزيز الذي يعتقد أنَّه يبادله نفس الإحساس فيكثر التفكير فيه ويشتاق إليه مائة مرة في اليوم ويحاول من خلال الوصف الدقيق جعله يعيش معه أجواءه الشرقية فالقمر كان ينشر ضوءه فوق المآذن عندما كان يحرر له هذه الرسالة وقد صمت الجميع ومن حين لآخر تنبح الكلاب ومن النافذة التي انحسرت عنها الستر بدت أشجار الحديقة ككتل سوداء وسط نقاء الليل الشاحب، كان يكتب على طاولة مربعة يزيِّنها بساط أخضر وتضيئها شمعتان وقد وضع الحبر في آنية دهان و صديقه الشاب (مكسيم) من وراء الحائط يُغمِّ جرعته لتحميض الصور وينام الأبكم (زاستي) والترجمان في السطح ولا يخفي عليه أن هذا الترجمان هو من أحذق وأخبث القوَّادين الممكن وصفهم أمَّا سيادته فقد أصبح يبدو شرقيا للغاية بقفطانه النوبي الطويل الذي يطول وصف تصميمه والموشى بصور الهدهد وهامته حليقة تماما يعلوها طربوش أحمر زاعق اللون كاد يهلكه في الأيام الأولى لفرط ما كان يحسه

---

[1]- نفسه.

[2]- Gustave Flaubert, Correspondances. T.01, pp:561 - 562(بتصرف).

من حرارة بسببه.[1] استقبل في القاهرة من المهندس بالعسكرية المصرية (مسيو جاليسي) والبك (برانستور) ومنحهما المسؤول عن الشؤون الخارجية المصرية السيد (أرثين بك) في الثاني والعشرين (22) نوفمبر كل ما يسهِّل لهما إجراءات الرحلة ويذكر (فلوبير) أنَّه و(مكسيم) قد انتعلا لذلك الموعد خفين وارتديا زيًّاأسودا مهيبا بصدار أبيض.[2]

رحل الفرنسيين كمبعوثين رسميين من الحكومة؛ بتكليف من وزارة الزراعة والتجارة لـ (فلوبير) ووزارة الثقافة لـــ (مكسيم دو كمب)[3]: "سافرنا من أجل المعرفة، وبتكليف من الحكومة لمهمة."[4]

استغرقت تلك الرحلة البحر ية سنة، وقادتهما إلى مصر وفلسطين وآسيا الصغرى واسطنبول واليونان، وكان يستعمل الجمل والحصان لتنقلاته برا، جاء في كراسات رحلته: "وأخيرا أرى الخط الأسمر للبحر الأحمر ! على الخط الرمادي للسماء . إنَّه البحر الأحمر ! اعتليت الجمل، قادنا الرمل إلى غاية قُصَير."[5] ويكتب إلى والدته لاحقا: "أوقفت حصاني الذي انطلقت به قبل الآخرين، وشاهدت المدينة المقدَّسة."[6] وإلى لويس بويهت (Louis Bouilhet) في رسالة يعود تاريخها إلى الرابع عشر (14) نوفمبر 1850: "قطعت الطريق من (Marmoise) إلى (Smyrne) بالحصان."[7]

طبع علاقة الفرنسيين في الرحلة نوع من ا لرقة والحنان والعاطفة: "استيقظت قبل مكسيم. عند استيقاظه، بسط يده اليسرى يبحث عنِّي."[8] (فلوبير) الذي كان يكره البرجوازية التي أصبحت القوة السائدة في المجتمع الفرنسي بعد سقوط (نابوليون)؛ تتحكَّم في السياسة والصحافة وأسلوب الحياة العامة في تلك البلاد. رأى فيها مستودع للاحتشام المتطرِّف والأناقة الشديدة والعنصرية، وتعود به الذاكرة إلى رحلة أمستردام التي أقنعته تماماً أنَّ بلده فرنسا يقاوم الحداثة و يسوده فكره مرغلق.[9]

اليوم الأخير.. وداعا.. إنَّ حزن الفراق جعله يدرك نشو ة لحظة الوصول؛ الفلاحون لن يراهم كلهم بعد ولا النسوة يجلبن الماء ولا الطفل يستحم في بركة الساقية الصغيرة، و لم يتمكَّن من رؤية أرض مصر تتوارى وراء الأفق و لم يستطع توديعها لأنه كان نائما عندما غادرت السفينة الميناء، ترى هل يعود يوما؟[10] ويجيب

---

[1]- نفسه. المجلد 01، ص ص:536 – 537(بتصرف).

[2]- Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:101. Bibliothèque historique. Paris.

[3]- Catherine Sauvat: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire - Flaubert. Editions Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n° 250, février 1988, p:35.

[4]- «Voyageant pour notre instruction, et chargés d'une mission par le gouvernement.»
Gustave Flaubert : Notes du voyage en orient, p:19.

[5]- «Enfin j'aperçois la ligne brune de la mer rouge! Sur la ligne grise du ciel. C'est la mer rouge! Je remonte à chameau, le sable nous conduit jusqu'à Kosséir.»

نفسه. ص:83.

[6]- «J'ai arrêté mon cheval que j'avais lancé en avant des autres, et j'ai regardé la ville Sainte.»
Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:194.

[7]- «J'ai fait la route de Marmoise à Smyrne à cheval.»

نفسه. المجلد 01، ص:707.

[8]- «Je suis réveillé avant Maxime. En se réveillant, il étend son bras gauche pour me chercher.»
Gustave Flaubert: Notes du voyage en orient. Jean- Jaques Ampère. 1948, p:65.

[9]- Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:154(بتصرف).

[10]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:475.

الزمن على سؤال (فلوبير) بـــ: لا، فلم يعد قط إلى مصر واكتفى سنة 1858 بزيارة سريعة إلى قرطاج من أجل روايته (سالامبو).

أهم محطات الرحلة:

أبو الهول:

كان اللقاء بـ (أبي الهول) اكتشافا حقيقيا وتجربة لا تنسى نقلها (فلوبير) في أدق لحظاتها وأبلغها إثارة، أي نعم لقد رأى الشرق في رسالة إلى (أرنست شيفلييه) لكن (أبي الهول) أخذ بعقله وإن لم يلتق حتفه هناك فلأن جواده أو الله لم يريا ذلك،[1] كانت حوالي الثالثة والنصف عندما انطلق جواده بأقصى سرعته في الصحراء وبعد دقيقتين دخل (مكسيم) معهما في سباق مجنون صعدت فيه صرخات لـــ (فلوبير) رغم أنفه وشدَّهما هذا الإعصار حتى (أبي الهول) الذي أخذ يخرج من الأرض ويكبر ويكبر مثل كلب آخذ في النهوض، وتبعهما العرب وهي تصيح باسمه[2].. ورآه (والد الفزع) كما يدل اسمه، كان هو والأهرام والرمال غارقين في لون رمادي ذي طلعة ورد ية والسماء شديدة الزرقة والنسور تحلق ببطء على قمم الأهرام، توقف أمامه، نظر إليهما بطريقة مفزعة جعلت (مكسيم) يبدو شاحبا وانتاب (فلوبير) قلق لم قد يفعله بهما هذا الرأس لكنَّهما حاولا التحكُّم في خوفهما ورجعا كالمجنونين مشتيْن بين أحجار المستنقعات وحلَّ الليل فنصبا خيمتهما عند سفح الهرم.[3]

قصر الكرنك:

لم ينس (فلوبير) هذا القصر، يخبر والدته في رسالة تعود إلى السابع عشر (17) ماي 1850 أنَّه من صنع جن كانوا يسكنونه ويتناولون طعامهم في أطباق ذهبية تحوي إسنا في أسياخ كالسمان [4]، ولعل هذه الأجواء الوحشية في حياة الفراعنة قد ألهمته ملحمته الشرقية وروايته المفعمة (سالامبو).

وادي الملوك:

راح (وادي الملوك) ووصفه وصفا يذكِّرنا بجحيم (دانتي) في (الكوميديا الإلهية)؛ دعا والده إلى تخيُّل واد نُحت في جبل يابس لا نبات فيه تحدُّه قبور من جانبيه يمكن النزول إليها عبر سلالم متلألئة، تصوَّري كهوفا حوائطها مموَّهة بالذهب واللازورد نقش عليها صور ثعابين متعدِّدة الرؤوس تسير على أقدام آدمية ورؤوس مقصولة تطفو وبجَع يحُ سفنا وملوك على عروشهم وجوههم خضر بملامح غريبة وأُناس يأكلون وراقصون ورسومات يُخشى أن تتقشر إذا لُمست وكأنها رسمت لتوِّها... إنَّه لشيء مبلبل ولا أبالغ، كفاك سأحدثك مرة أخرى.[5] أيُّ زاد يمكن أن يغترف منه مخيِّلة (فلوبير)! ولعل الحيَّ التي رمزت للغرام الجدب أو القاتل[6] في روايته الريفية (مدام بوفاري) كان توظيفاً لما استوحاه من زيارته تلك.

---

[1]- Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:570.

2- يكتب (فلوبير) هنا كلمة (أبو الهول) بحروف لاتينية مرتين.

[3]- نفسه. المجلد 01، ص:591.

[4]- نفسه. المجلد 01، ص:220.

[5]- نفسه. المجلد 01، ص:621.

[6]- د. ذولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:08.

أورشليم:

كان (فلوبير) متلهفا لرؤية أرض المسيح: "بسبب البعوض، الخيول وفكرة أنني يجب أن أرى القدس، لم أنم الليلة التالية (...) أحلم بيسوع - المسيح الذي مشى عاري - الرجل من هذه الطرق."[1] كتب إلى والدته في العاشر (10) أوت 1850: "وصلنا مساء أمس عند الرابعة والنصف، كان ذلك تاريخ في الحياة، يا أمي العزيزة المسكينة!"[2] وكتب إلى صديقه (بوييه ت) بعد رسالته تلك بعشر أيام: "... اعتقدت أنَّه المسيح الذي رأيته يصعد جبل الزيتون . كان ثوبه أزرق، والعرق يتلألأ على صدغه ."[3] لكن يبدو أنَّ (فلوبير) يعاني صراع داخلي، نقرأ له في كراسات سفره : "جرَّبت هذا الإحساس الغريب، الذي يشعر به رجلين مثلنا عندما يكونان لوحدهما في زاوية موقدهما (...) أن يكون هذا الرجل المتجسِّد الحقيقي فعلا، أن يمكننا الاستمرار في حبه حين نعلم أنَّه لم يصبح غبارا مثل الآخرين، غبار وعدم، لكنَّه ما زال على قيد الحياة، لكنَّه ما زال الصوت، الحقيقة، الحياة، نعتقد به بشغف، نطيعه، أن نكون من خاصته، أفضل خاصته، نملئ القلب بحضوره، نهبه كل شيء... للأسف! يا للجنون! لقد مات، منذ ألفي سنة."[4] أحزنه أو أو ربما أضحكه الحال التي آلت إليها القدس !: "القدس مدفن عظام محاط بأسوار . كل شيء متعفِّن؛ الكلاب ميِّتة في الشوارع، الديانات في الكنائس (..) يمقت الأرمن اليونانيين، الذين يكرهون اللاتينيين، الذين يقصون الأقباط."[5] يراسل (بوييه ت) مرة أخرى: "عدت إلى الفندق، متعب، متضايق حتى نخاع العظم. أمسكت سان ماثيو، وقرأت بانفتاح قلب بكر الحديث عن الجبل."[6]

ضريح المسيح Saint - sépulcre:

أضاع (فلوبير) لحظة الوقوف عند الضريح إحساس الأوفياء للمسيح -عليه السلام-، كتب إلى (لويس بويهت): "كانت واحدة من أكثر اللحظات مرارة في حياتي؛ كان يمكن أن يكون ذلك لطيفا جدا لمؤمن! كم من نفوس فقيرة كانت تتمنى أن تكون مكاني! كم فقد هذا كله بالنسبة لي!"[7] وقد كان له مع

---

[1]- «À cause des moustiques, des chevaux et de l'idée que je dois voir Jérusalem, le jour suivant nuit blanche (...) Je songe à Jésus - Christ qui marchait nu - pied par ces routes.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:97.

[2]- «Nous sommes arrivés hier au soir à quatre heurs et demie. C'est une date dans la vie, cela, pauvre chère mère!»
Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:104.

[3]- «... J'ai pensé au christ que j'ai vu monter sur le mont des oliviers. Il avait une robe bleue, et la sueur perlait sur ses tempe.»
نفسه. المجلد 01، ص:113.

[4]- «J'ai éprouver ce sentiment étrange, que deux hommes comme nous, éprouvent lorsqu'ils sont seuls au coin de leur feu (...) Que cet homme ait été vraiment l'incarnation, qu'on puisse aujourd'hui encore l'aimer, en sachant qu'il n'est pas devenu poussière, comme les autre, poussière et néant, mais qu'il est vivant, mais qu'il est la voix, la vérité, la vie, croire en lui passionnément, lui obéir, être des siens, le meilleur des siens, s'emplir le cœur avec sa présence, lui donner tout... Hélas ! Quelle folie ! Il est mort, voila deux mille ans.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:165.

[5]- «Jérusalem est un charnier entouré de muraille. Tout y pourrit; les chiens morts dans les rues, les religions dans les églises (...) Les Arméniens maudissent les Grecs, les quels détestent les Latins, qui excommunient les copte.»
نفسه. ص:589.

[6]- «Je suis revenu à l'hôtel, lassé, ennuyé, jusque dans la moelle des os. Jais pris un saint Mathieu, et j'ai lu avec un épanouissement de cœur virginal le discours sur la montagne.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:178.

[7]- «Ça été un des moments les plus amer de ma vie; c'eut été si doux pour un fidèle! Combien de pauvres âmes auraient souhaité être à ma place! Comme tout cela était perdu pour moi!»
نفسه. ص:129.

قس يوناني حادثة سردها لـــ (بويي‌ت): "أخذ وردة، ألقاها على البلاط [بلاط القبر من الرخام الأبيض]. سكب عليها ماء الورد، باركها وأعطاني إياها."[1]

بيت لحم:

ألهبت(بيت لحم) :"بقيت هنا، آلمني مغادرتها، كان ذلك جميلا، حقيقيا، إنَّها تشدو فرحة باطنية ."[2] وتساءل (هنري جيلمان) عن سر اختيار (فلوبير) لكلمة (حقيقي) بالضبط، وقد انتهى إلى شفافية المكان، أي (الكهف) الذي شهد ولادة الطفل، لكن المبالغة تأتي برأيه مع: (تشدو فرحة باطنية)؛ فمرة أخرى هذا النداء وهذا الأمل الخالي من معنى ومحمولة الإيمان هذه! خيانة خجولة مثلما في الأسرار.[3]

الكنيسة البروتستانتية:

اغتنم فرصة تواجده بمدينة المسيح وزار الكنيسة البروتستانتية في زمن صار (ليون العاشر) و(لوثر الإيطالي) بروتستانتيين!: "رجال بالأسود، جالسون على المقاعد من كل جانب؛ رجال آخرين بثوب مثني، في كرسي على الشمال، يقرأون الإنجيل؛ جدار عاري بالكامل، كان ذلك يشبه مدرسة ابتدائية، أو غرفة انتظار (...) أفضل الأرمن، اليونانيين الأقباط، الأتراك (...) لم نبق ربع دقيقة وكان عندي الوقت كي أمَّل حقا وعميقا."[4]

اختلطت سنوات تأهيل (فلوبير) بسنوات رحلته الشاقة، وإن اعتبرت رومانسية الشاب الغنائي في حكم المعروفة فقد شهدت الرحلة على واقعية غير معروفة بعد لديه أو على الأقل ليس بنفس الدرجة .[5] ويتفق الكثير أن سفينته قد رست على صخرة الواقعية بعد أهواء الرومانسية، بعث من القاهرة رسالة إلى رفيق ثقافته (أرنست شفالييه) تعود إلى الرابع عشر (14) نوفمبر سنة 1849 يخبره فيها بأنَّه تخلَّى كل ما هو أُفق وخضرة ورمال وأشجار وشمس وفاته أن يتوقع ما هو مدن وبشر فكان له مع الطبيعة لقاء و في غيرها وجد[6]، أمَّا السحيق الهزلي فهو يضحك ببشاعته حيث ضروب من العبيد وبائع الرقيق الذي يدلِّل على نسوة مكتترات والتاجر الناصح وقد عاد إلى الشباب وليس أكرم من العصا التي تنشر ض رباتها يمينا وشمالا في الشوارع وفي البيوت لسبب ولغير سبب.[7]

الفتح أمام (فلوبير) في مصر أبواب كثير من المسؤولين، وذلك رغم سقوط (نابوليون) أو (السلطان الكبير) كما كان يلقبه المصريون، فنجده يهرع إلى طمأنة والدته. كان (عباس باشا) هو والي مصر آنذاك، وهو

---

[1]- «A pris une rose, l'a jetée sur la dalle [La dalle de marbre blanc du tombeau]. Y'a versé de l'eau de rose, l'a bénit et me la donnée.»

Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:132.

[2]- «Je suis resté là, j'avais du mal à m'en arracher; c'est beau, c'est vrai, ça chante une joie mystique.»

Gustave Flaubert : Carnets de voyage, p:149.

[3]- Henri Guillemin: Flaubert devant la vie et devant dieu, p:189(بتصرف).

[4]- «Messieurs en noir, assis sur les bancs de chaque coté; autre messieurs en rabat, dans une chaise à gauche, lisant l'Evangile; mur tout nus; ça ressemblait à une école primaire, ou à une salle d'attente (...) Jaime mieux les Arméniens, les Grecs, les Coptes, les Turcs (...) Nous n'y sommes pas restés un quart de minute et j'ai eu le temps de m'y ennuyer véritablement et profondément.»

Gustave Flaubert: Carnets de voyage, p:127.

[5]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:89.

[6]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:381(بتصرف).

[7]- نفسه. المجلد 01، ص:382(بتصرف).

حفيد (محمد علي) الذي كان قد لفظ أنفاسه الأ خيرة قبل وصول (فلوبير) بأشهر قليلة، وقد عرف بشجيعه للنفوذ الفرنسي كما أنعم على بعضهم بلقب (البك) أو (الباشا)؛ فـ (سليمان باشا) مثلا هو (ستيف) الكولونيل السابق في الجيش الفرنسي، وسبق له أن شارك في موقعة (نزيب) سنة 1839 التي عرفت دحر جيش السلطان العثما ني[1]، غير أنَّ سفلة الفرنسيين المغتربين في رسالة إلى صديقه (لويس بويهت) تقتفزه ويستسمحه إنَّها كثيرة العدد.[2] ولم يفارقوا ذاكرته سريعا ، فيأتي في رسالة أخرى على أسماء المهندس (شارل لومبير) المدعو (لومبير بك) أحد أتباع (سان سيمون) والمهندس (مرجل بك) و(لوبير بك) المسؤول عن البلاط والطبيب أنطوان كلوت (كلوت بك) وقائد الشرطة المصرية الخاصة بالأجانب (بكير بك) الكورسيكي الأصل،[3] وتتحفظ الدكتورة (دولت صالح العرب) على كلامه: "بالطبع لم يكونوا جميعا من السفلة؛ كان لأخلاق لومبير العالية وروحه النبيلة أثر دائم على مكسيم دو كمب وفي توجُّهه إلى الصحافة التقدمية والنقد الاجتماعي كما كان كلوت طبيبا عسكريا ممتازا إنَّما كان م ن بينهم بعض المغامرين."[4] يملأ الشك (فلوبير) وقد تراجع دائما و في كل سن ع ن مواجهة نفسه وسيهلك في الثمانين قبل أن يكتب عملا ذا ثقل[5]، يبُشر لرفيق ثقافته (لويس بويهت) عن قلقه بشأن (غواية القديس أنطوان) فهو يشعر أنه أجوف جدا أفطس جدا عقيم جدا! ماذا يفعل متى عاد أدراجه؟ أينشر شيئا؟ ماذا سيكتتب؟ وهل سيكتب؟ لا يخفي عن صديقه أنَّ حكاية (القديس أنطوان) أصابته بضربة قاضية ، لقد حاول عبثا أن يبني ما يشبه حدوتة شرقية وباشر الكتابة قليلا لكنه -ولله الحمد- أدرك وبسرعة بلاهتها إذ يحسن أن يكون الواحد عينًّا وهذا حسبه.[6] يحسن أن يكون الواحد مرآً عينًّا، هذا يعني مداومة الملاحظة كما كما يرى (موباسان) في مقدمة كتاب(بيير وجان) سنة 1885، إذ يستحسن التمعُّن وبعناية كافية عند الإعداد لمهنة الكاتب كي يكتسب القدرة على الالتقاط الفوري للملمح المتميزِّ، وهي ميزة نادرة لا غنى له عنها وكم تزداد قيمتها حين يرحل. ها هو ذا في مصر أرض الفراعنة وموطن البطالمة ومؤتل (كليوباترا) إذا أمكن للمرء أن يتهادى في أسلوب راق وقد جعلت الحلاقة من الرأس أنعم من الركبة ، يدخن في غلايين طويلة ويشرب القهوة مضطجعا على أريكة ، لا يكاد يفيق من دهشته الأولى كأنَّما أُلقي به نائما وسط سيمفونية لـ (بتهوفن)، يهوِّق الآلات النحاسية أذنه وتزعق نغمات القرار ويتنهد المصفار يحتويك الملح الدقيق يأخذك يلدغك، وكلما ز اد يقل إدراكك للمجموع ليعود بعد قليل الانسجام وتعود الشجرة إلى الالتزام بقوانين الغابة .[7] جميلة جداً المقاربة بين عدم قدرته على الإ حاطة بمصر في شمولها التي لم تتجاوز الشكل الخارجي و لم تقع قط لابن الغرب تمام المشاركة بسيمفونية لـــ (بتهوفن).

---

[1]- د.دَولت صالح العرب، مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14 ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:81(بتصرف).

[2]- Gustave Flaubert:Correspondance. T.01, p:79(بتصرف).

[3]- Gustave Flaubert:Correspondance. T.01, p:82(بتصرف).

[4]- د.دَولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:81.

[5]- Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, pp:342.

[6]- نفسه. المجلد01، ص:601 - 602.

[7]- Gustave Flaubert: Correspondences. [Lettre à D.Jule Kloket: 15/01/1850]. T.01, p:563(بتصرف).

التئم شمله بعد عودته إلى فرنسا بـــ (لويز كوليت)، والتي كان قد قطع علاقته الغرامية الطويلة معها شهر أوت 1848 أي قبل سفره، كما شرع في العشرين (20) من سبتمبر سنة 1851 بتحرير رواية (مدام بوفاري): "بدأت الليلة الماضية روايتي، والآن أتوقع صعوبات في الأسلوب ترعبني."[1] هل فكَّر في كتابتها بمصر؟ نعم، لقد فكَّر فيها هناك تجيب (كاثرين سوفا): "في القاهرة، قاده صاحب فندق النيل، السيد بوفاريه إلى بوفاريته، تماما مثلما جعلته فقرة الشلال الثاني يصرخ: لقد وجدتها! أوريكا! سأسميها إيما بوفاري."[2] وتعَّد (مدام بوفاري) من أكثر أعماله بوحاً، وكان (فلوبير) ينسبها إلى نفسه: "مدام بوفاري هي أنا."[3] وكأنَّه يريد أن ينبِّه القارئ إلى أهمية ومكانة الكاتب في إبداعه [4]. تعالج الرواية معالجة واقعية شاعرية قضية من قضايا الجنس والحب في ضيعة بـــ (نورماندي)[5] بطلتها الفتاة (إيما بوفاري) التي رأت نفسها في مدن بعيدة يوجد بها قباب بديعة أو في غابات الليمون حيث صوت القيثارة وهدير النبع ومن أجل ذلك استعدت للفرار مع (رودولف).

فصَّل (فلوبير) جيِّدا الملامح الخارجية لبلاد الشرق[6]، وتدين كثير من مؤلفاته من حيث الأصل أو تحديد التفاصيل إلى تلك الآثار الصامتة أو العروض المتحركة: "إنَّ ثورة الأخلاق الشرقية هي التي دفعت فلوبير إلى كتابة سالامبو وهيروديا س ."[7] فيما جسَّدت (سالومي) التي تلوي بخصرها و بطنها في (رقصة السيف)[8] قالبا حيَّا لـــ (كوتشوك هانم) بأنوثتها الدافقة وسلسلة تحوُّلاتها، وفترت (أميرة سبأ) برقصتها: ثنية ثنية الربابة (Pince de la lyre) التي تشبه رقصة النحلة (سانت أنطوان) في أمسية الماركيز (لبومرو) وهمس له: "أنا ألبِّسك، أنا أطيِّبك، أنا أرصِّعك بالنجوم ."[9] و تعرَّض بطله (القديس أنطوان)[10] إلى أنواع من الإغراء، وفرَّ (فريدريك) بطل (التربية العاطفية)[11] في نهاية (Zovaide turque) وهو يصرخ مستحضراً رقصات إكليل الغار:

"هل تتذكر؟ هل تذكر؟...

"هل تتذكر، فلوبير؟

---

[1]- «J'ai commencé hier au soir mon roman, j'entrevois maintenant des difficultés de style qui m'épouvante.»
Gustave Flaubert: Correspondences. T.02, p:32.

[2]- «Au Caire, le propriétaire de l'hôtel du Nil, certain monsieur Bouvaret, le conduit vers (sa) Bovary, tout comme le passage de la deuxième cataracte le fait s'écrier : J'ai trouvé! Eurêka! Je l'appellerai Emma Bovary.»
Catherine Sauvât: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:46.

[3]- «Madame Bovary c'est moi.»
Gustave Flaubert: Salammbô, p:10.

4- حميد عبد القادر، الواقعية في الرواية وميزة الصدق. يومية الخبر. الطبعة الإلكترونية:
http://www.elkhabar.com/ar/autres/maraya/2624 15.htm/

[5]- الموسوعة العربية العالمية.17. غ - ف. ص:505.

[6]- د.دَولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:91.

[7]- «C'est la révolution des mœurs oriental qui poussera Flaubert à écrire Salammbô et Hérodias.»
Catherine Sauvât: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, p:45.

[8]- Gustave Flaubert: Salammbô, pp:234 - 246.

[9]- «Je t'habillerai, je te parfumerai, je t'étoilerai.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:113.

[10]- Flaubert: La tentation de saint Antoine. Œuvres complètes. Edition du centenaire. Paris, 1925. T.01, p:85(بتصرف).

[11]- Patrick Wald Lasowski : Te rappelles- tu Kuchuc - Hanem? Magazine littéraire - Flaubert. Edition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil. Paris, n° 250, février 1988, pp:46 - 47.

"هل تتذكر، كوتشوك هانم.. ؟"[1]

لم تتحدث (كوتشوك هانم) عن نفسها لكن الكاتب هو الذي فعل، ذلك ونفترض أنَّها لو نطقت لوددت عند سماع وصف (فلوبير) كلام (بلقيس سبأ): "أنا لست امرأة بل عالما بأكمله"[2]، نقول هذا ونحن نقرأ له: "من كل المتع الصغيرة الممكنة، الرحلة هي الأكبر حسب علمي؛ هي التي اختلقناها عندما تعبنا من الآخرين."[3]

يبدو (فلوبير) الذي زار الشرق لأول مرة دائم الملاحظة، وفيما استسلم (مكسيم) لهوسه التصويري ذاب هو في الألوان، كتب إلى والدته أنَّه كان يملأ بطنه في مصر بالألوان كما يملأ الحمار بطنه بالشوفان..[4] بالشوفان..[4] هناك حيث يودّ الشاعر أن يحس ويرغب الرسَّام في النظر.[5] ويعيد مراسلتها ليخبرها عن تضارب الألوان في المدن المصرية فكأننا نحضر حفلا تنكريا تتشتت فيه الألوان بين الأبيض والأصفر واللازوردي في فجاجه ثم تصفو بضلالها فتغشى عيني لكل فنان.[6] وقد وصف (فلوبير) ما يتحدى كل تمثيل تمثيل أدبي[7]، كمن يبحث عن انفعالات فنية لأخلاقيات ملوَّنة، وصف غروب الشمس من صعيد دلتا النيل وصفا لفتنا فيه ثراء الألوان: "ترتفع أهرامات سقاره باللون الرمادي في اللون الذهبي الذي يمتد من خط الأرض إلى وسط السماء – إلى اليسار كان بداية وردي – أصفر– أخضر، أخيراً أزرق – في الوسط إنَّه النيل الأصفر."[8] ووصف غروبا آخر: "إنَّ الجبال هي بالون النيلي الداكن – الأزرق الملتحف بالرمادي المسوَّد– تتضارب فيها – شرائح النبيذ، بينما تبدو النخلات بين خرق الواد الصغير سوداء كالحبر– السماء حمراء– النيل كنضار بحيرة من الرصاص المذاب."[9] كما فتنه البحر الأحمر.. استحم فيه لذة وضل يرقب طيلة ساعات مدَّه وجزره، كان يحوي أصدافا ورمالا تفوق عددها براعم حقول الربيع وامتزج سطحه بألوان كل الأصباغ المحتملة تدرَّج بعضها فوق بعض.[10] رأى الشمس تحرِّك الزرقة وفاض النيل الذي يتلوى كالثعبان في الصحراء على ضفتيه فحاوبته كل ضفة بخصلة خضراء.[11] إنَّ الضوء المصري الأعظم وروعته وإنَّها ريشة (فلوبير) وفنه الذي يحصي ألف لون ولون.. لكنَّه كان يشعر أمام كل ما يراه:

---

[1]- «Te rappelles-tu ? Te rappelles- tu?...
«Te rappelles- tu, Flaubert?
«Te rappelles- tu, Kuchuc - Hanem?... »
Gustave Flaubert: La première éducation sentimental. Œuvres complètes. T.01, p:149.

[2]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:87(بتصرف).

[3] «De toute les débauches possible, le voyage est la plus grande que je sache; c'est celle qu'on a inventée quand en a été fatigué des autres.»
http://www.acr-edition.com/DU-MAROC-AUX-INDES-Voyages-en-Orient_a726.html

[4]- Gustave Flaubert: Ccorrespondences. T.01, p:101.

[5]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق .تر وتقديم: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ص:97. دمشق: دار الأهالي، 2003م.

[6]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, pp:614 - 615(بتصرف).

[7]- Yvan le Clerc: Chronologie. Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:22(بتصرف).

[8]- «Les pyramides de Sakkarah se détachent en gris dans la couleur d'or qui s'étend depuis la ligne de la terre jusqu'au milieu du ciel - à gauche c'est d'abord rose - jaune - vert, enfin bleu - au milieu est le Nil jaune.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage en orient, p:62.

[9]- «Les Montagnes sont indigo foncé - du bleu par - dessus du gris noir, avec des appositions lie - de - vin, dans les fentes des vallons les palmiers sont noirs comme de l'encre - le ciel est rouge - le Nil a l'aire d'un lac d'acier en fusion.»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage, p:590.

[10]- Gustave Flaubert: Correspondences. [Lettre à Louis Bouilhet,02/06/1850].T.01, p:121(بتصرف).

[11]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:195.

"كثر خواء من برميل أجوف (...) من المخطأ، إلاه الرأفة؟ هم [هم، المسيحيون – القسيسين]، أنتم؟ أنا؟ لهم ،أعتقد، أنا فيما بعد؛ أنتم خاصة !"[1] كتب في لحظة يأس[2]: "يا للقلب الحزين والمليء بالدموع، قلب ولع ولا يعرف أين يرمي حبه!"[3] حتى المعابد

المصرية ضايقته ويرى أنَّ: "تفرُّغ جيِّد بالشمس أقل عقماً من انشغالات يغيب فيها القلب."[4]

كان المرض رفيقا وفيًّا لرحلته، وبأسلوبه الساخر المعتاد.. لا شيء جيِّد للصحة مثل السفر![5] لقد أصيب (فلوبير) بالزهري وعانى (مكسيم) في بيروت من البرص: "من بقية قرحة التقمها في الإسكندرية."[6] واستفحل مرضه مع برص ثنائي الرأس : "إذا كان واحدا، يكون ثالث جدري يلتقطه منذ وجودنا على الطريق."[7] يصف (فلوبير) حالة صديقه التي يبدو أنَّها أصبحت سيئة جداً: "لا بدَّ من مهارة المسيح لشفاء هذا الأجذم."[8]

2. المستوى الفني:

أسلوب الرحلة:

تنقسم المراسلات إلى نوعين: **المراسلات الشخصية** التي يبعث بها كاتب شهير إلى ذويه وأصحابه وأحبائه، يتناول فيها بقلمه كافة الموضوعات، وتعكس ذكاءً ورِقة مشاعر جميلة ومواقف، لذا فهي تكون غالبا أداة مكمِّلة لكتب التاريخ ولها دورها في الحضارة الإنسانية ووسيلة فعَّالة لإعادة تكوين وحدة المكان التي يمزّقها السفر والانتقال. **الرسائل الروائية** والتي تطلق على أعمال أدبية كُتبت في صورة رسائل.[9] وقد صحبنا (فلوبير) من خلال يومياته ورسائله التي بعث بها إلى ذويه وأصحابه في حلمه الشرقي والمصري؛ فرحنا نتابع تلقائيا يوما بيوم الوجود المتنوِّع والغير المستقر للكاتب الرحَّالة: "كان شرق فلوبير عكس شرق دو نرفال الذي عالج عمله بعد انتهاء الرحلة بزمن."[10] ويجد القارئ في مراسلاته متعة أدبية فائقة، إذ لمَّا وصل المثالي والتقليدي من النثر درجة عالية من الصعوبة وجب امتلاك الأفكار المعاصرة دون صيغها الجاهزة، وقد اختار رجل الكلمة المضبوطة والجملة النظيفة التي تكتفي بذاتها أسلوبا ساخرا[11] كاريكاتيريا

---

[1]- «Plus vide qu'un tonneaux creux (...) À qui la faute, dieu de miséricorde? À eux [eux, les chrétiens - les prêtres], à vous ? à mois? A eux, je crois; à mois ensuite; à vous surtout! »
Gustave Flaubert: Correspondances. [Lettre à Louis Bouilhet: 14/11/1850]. T.01, p:178.

[2]- Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:587.

[3]- «O cœur navré et plein de larmes, cœur adorant et qui ne saît où jeter son amour! »
Gustave Flaubert: Carnets de voyage, p:572.

[4]- «Bonne oisiveté au soleil est moins stérile que les occupations où le cœur n'est pas. »
نفسه. ص531.

[5]- Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:712(بتصرف).

[6]- «D'un reste de chancre gober à Alexandrie»
Gustave Flaubert: Carnets de voyage, p:707.

[7]- «Si c'en est un, ça faît la troisième vérole qu'il attrape depuis que nous somme en route. »
نفسه. ص:707.

[8]- «Il faudraît des christs de l'art pour guérir ce lépreux. »
نفسه. ص:779.

9- Etiemble: Histoire de la littérature. Encyclopédie de la Pléiade, pp: 51–71(بتصرف).

[10]- د.دَولت صالح العرب: مصر والشرق في مُراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:77.

[11]- أقرب إلى نصائح الرواية الاجتماعية ذات الطابع التهكمي والصيغ الرنانة.

نحو: "رائحة الثوم وكثرة الكلام "[1] واهتم بالتفاصيل.[2] كان يظهر ويختفي طوال الرحلة موظفون ورجال دين ومحتالون وراقصون وعاهرات... وتمثل على أرضية الرحلة أربع (04) شخصيات مميَّزة هي: **بطلا الرحلة:** فلوبير ومكسيم دو كمب. **المنتظران بالوطن والمتلقيان لخطابات فلوبير:** أمه و(لويس بويه ت). **الأبكمان،** كما يحلو لـــ (فلوبير) تسميتهما وهما : الخادم (زاستي)، الكورسيكي الأصل والموظَّف السَّابق بالخيَّالة العسكرية، اصطحبه معه (مكسيم دو كمب) من باريس[3] – المرشد (جيسيبي)، من موالي جنوه، اكتروه في القاهرة. يصفه (فلوبير) بأنَّه كان من أحذق وأخبث القوَّادين.[4]

مسار الزمان والمكان:

يمكن تناول رحلة (فلوبير) عبر خطوط عريضة كالتالي : الانتقال أو مرحلة وسيطة – امتداد – الملاحظة كصورة ملموسة (picturesque) – الشرق كفضاء للإبداع – الإدراك الجمالي، كما وفَّرت له المراسلات حرية الانتقال من موضوع إلى موضوع[5]، فكنَّا بذلك أقرب إلى رحلة داخل رحلات.

---

[1]- Le voyage comme objet du texte, p:81(بتصرف).

[2]- الموسوعة العربية العالمية.17. غ - ف. ص:505.

[3]- Maxime du Camp: Souvenirs littéraires, vol 01, p:80.

[4]- Gustave Flaubert: Correspondences. [Lettre à Louis Bouilhet, 14/11/1850]. T.01, p:29

[5]- ضحى محمد شيحة: أدب المراسلات في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. مجلة عالم الفكر. الكويت: وزارة الإعلام. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:61.

الفصل الثاني

جيرار دو نرفال

Gérard de Nerval. <u>Voyage en orient</u> (1842 - 1843).

نبذة عن حياة جبران خليل جبران

آثاره الأدبية

عرض الرحلة

1. المستوى العام

تاريخ النشر

مسار الرحلة

أهم محطات الرحلة

2. المستوى الفني

أسلوب الرحلة

مسار الزمان والمكان

نبذة عن حياة جيرار دو نرفال:

ولد جيرار لابروني (Gérard Labrunie) في الثاني والعشرين (22) ماي سنة 1808 بـ (باريس)، اشتهر ككاتب باسم (Gérard de Nerval) نسبة إلى بستان العائلة المسيَّج (سياج دو نرفال). و(دو نرفال) أو (نرفل) حسب النطق المحلي مشتق من الأصل (نوارفال) الذي استعمل في أقدم أسماء الملكية ويعني المنظر المعتم لمكان تحيط به أعشاب.[1]

لم يعرف (جيرار) والدته (ماري لورانت) قط لأنها توفيت و لم يكن يتجاوز السنتين عندها، ووفقا لما يرويه هو نفسه فقد توفيت في ألمانيا يوم 29 نوفمبر 1810 إثر حمى أصيبت بها عند عبورها جسر مليء بالجثث، وكانت ترافق حينها زوجها الطبيب العسكري (إتيان لابروني) إبان حملة (نابليون) العسكرية فزاد البرد والحرب في هشاشة جسمها: "لم أر أمِّي قط، لقد ضاعت صورها الشخصية أو سُرقت، كل ما أعرفه أنها كانت تشبه إحدى نقوش الزمن، وهذا ما يُدعى التواضع حسب (Prudhon) أو (Fragonard). لاحقتني الحمى التي تسببت في موتها ثلاث مرات، في مراحل من حياتي مفصلية وبانتظام؛ أحسست فيها دائما أن ذهني قد دمغ بصور الحداد والأسى التي لفَّت طفولتي . أما الرسائل التي كتبتها والدتي على حافة شواطئ بحر البلطيق وعلى ضفاف (Sprée) أو (الدانوب) فقد أُعيد قرائتها لي عدَّة مرات !"[2] تكفلَّ خاله (أنطوان بوشي) بتربيته في (مورتفنتين)[3] فرسمت مناظر (الفالوا) إطارا واقعيا وفلكلوريا مثاليا لمعظم رواياته الخيالية: "... كنت أغذي عقلي، خلال إقامتي الطويلة وسط غابات ريف معزول، بمعتقدات غريبة وأساطير وأغاني قديمة ما زال يحتفظ بها غالبا السكان المحليين والفلاحين. هناك حيث يُصنع الشاعر، ولست سوى ناثر حالم."[4] أقلم (جيرار) بباريس رفقة والده (إتيان لابروني) بعد عودة هذا الأخير إلى فرنسا سنة 1814 وهي السنة التي وافقت سقوط الإمبراطورية ، ليلتحق بثانوية (شارلمان) سنة 1820 أين جمعته علاقة

---

[1]- Jean - Pierre Vérot: Encyclopédie de la littérature. Librairie Général Française. La pochothèque Garzanti / Le livre de poche, 2003, p:172.

[2]- « Je n'ai jamais vu ma mère, ses portrait on été perdu ou volés, je sais seulement qu'elle ressemblait à une gravure du temps, d'après Prudhon ou Fragonard, qu'on appelai la modestie, la fièvre dont elle est mort m'a suivi trois fois, à des époque qui forment dans ma vie des divisions singulières, périodique ; toujours à ces époque je me suis senti l'esprit frappé des images de deuil et de désolation qui ont entouré mon berceau. Les lettres qui écrivait ma mère, des bords de Baltique ou des rives de la Sprée ou du Danube, m'avaient été lues tant de fois! »

Gérard de Nerval: Promenades et Souvenirs - Le Chareau de saint- Germain.p:32.

[3]- P - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraire française du dix- neuvième siècle, p:132.

[4]- « ... Ainsi que du séjour que j'ai fait long temps dans une compagne isolée, au milieu des bois. Livré souvent aux soins des domestiques et des paysans, je vais nourri mon esprit de croyances bizarres, de légendes et de vieilles chansons, il y'avait la de quoi faire un poète, et, je ne suis qu'un rêveur en prose. »

Gérard de Nerval: promenades et souvenirs - Le Chareau de saint- Germain, p:38.

صداقة مع (تيوفيل غوتييه) مؤلف (رواية العمياء). انتهى سنة 1828 من ترجمة (فاوست) لـ (تيوفيل غوتييه) وهي مأساة مسرحية أخرجها (برليوز) موسيقيا سنة 1846، وقد نشر (داندي دوبري) ترجمته سنة 1840[1] التي اعترف (غوتييه) نفسه بجمالها، ليكثّف بعدها (دو نرفال) من نشاطاته إلى جوار صديقه (غوتييه) فاشتغل بالصحافة وبقي على اتصال بأعضاء النادي الرومانسي وخاصة مع (فيكتور هوغو) و (بارتوس بوري نوديه). يقترب فهم (دو نرفال) للسياسة والمسرح من فهم (هوغو) كما كان شديد الإعجاب بـ (نابليون) وقد شارك في معركة (هرناني) في 25 فيفري 1830، ورث عن جده بعدها بثلاث سنوات (1833) ثلاثون ألف فرنك سمحت له بالسفر إلى إيطاليا أواخر سنة 1834 وهناك وقع في حب جارف لممثلة المنوّعات (جيني كولون) جاعلا من تلك المرأة عروس القوافي وحولها يتركز الجدّ والورع[2] بل وأسّس لأجل مجلتها مجلة (Le monde dramatique) سنة 1835، لكن المجلة أعلنت إفلاسها أوائل السنة الموالية لتتركه وعليه ديون. ومع ذلك كان (دو نرفال) كثير السفر؛ فسافر مع (تيوفيل غوتييه) سنة 1836 إلى بلجيكا كما سافر إلى إيطاليا وألمانيا والنمسا...

بدأ سنة 1837 التعاون مع (ألكسندر دوما، 1802- 1870) المدعو (بيكييو) في محاولة لكسب المال، واشتغلا سنة 1838 على المأساة المسرحية (ليو بوركهاردت)[3]، لكنّه انتهى إلى اليأس بعد زواج (جيني كولون) من نافخ الناي في الأوبرا الهزلية (لويس- غابريال لو بلوس)[4] في 11 أفريل 1838 واستحوذت على أفكاره وهواجس تلازمت في أعماله بصور إنسانية صعبة المنال: "إحدى المفاتيح الرئيسية لأعمال جيرار دي نرفال إمرة، إنّ الممثلة الصاعدة جيني كولون (أوريليا) التي سبق لها الزواج مرتين وعشيقة مصرفي هولندي، أحبها نرفال بجنون وجعلها محور كتابته ما حوّلها إلى أسطورة ."[5] حاول (جيرار) التخفيف من معاناته وتعويض حرمانه بالأسفار، فسافر إلى ألمانيا (أم الجميع) كما يحلو له تسميتها[6]، وفي (فيينا) بالنمسا أغرم بعازفة البيانو (ماري بلايال) وقد أراد تكريمها في (رحلة إلى الشرق) و(أوريليا) **(Aurelia)** و(الباندورا).[7] عاد سنة 1840 إلى فرنسا ليعاود السنة الموالية (1841) السفر إلى النمسا وسويسرا وبلجيكا[8]، لكن يبدو أنه لم يتمكن أبداً من نسيان حبه لـ (جيني) التي قابلها مرة أخرى في بروكسل. توفيت في السنة نفسها (1841) السيدة (فوشار) وهي الفتاة (صوفي دواس) رفيقة الطفولة بـ (مورت فونتان)[9]، ولا نغادر سنة 1841 إذ وفي 21 من شهر فيفري في سن الثالثة والثلاثين (33) أصيب بأولى نوبات الهلوسة التي أعلنت المرض العقلي لـ (جيرار) الذي لم يدعه بعد ذلك، تُقل على إثر تلك الأزمة إلى

---

[1]- Raymond Jean: Nerval par luis même. Seuil - Ecrivains de toujours. Paris.1964, p:184.
[2]- Léon Cellier: Gérard de Nerval - L'homme et l'oeuvre. Connaissance des lettres. Paris - GE,1956, p:47.
[3]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:08.
[4]- Raymond Jean: Gérard de Nerval - poésie et souvenirs. p:53.
[5]- "L'une des clés principales de l'œuvre de Gérard de Nerval est une femme, Jenny Colon (Aurélia), une modeste actrice mariée deux fois, et l'amante d'un banquier hollandais. Nerval, pris d'un amour fou envers cette femme, la place au centre de ses écrits en la transposant en mythe."
http://www.hku.hk/french/dcmScreen/lang3035/lang3035_nerval.htm
[6]- Raymond Jean: Gérard de Nerval - poésie et souvenirs, p:114.
[7]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:08.
[8]- Raymond Jean: Gérard de Nerval - Poésie et souvenirs, p:14.
[9]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:08.

الطبيب النفسي (سانت – مارسال) وبعد نوبة جديدة أُدخل إلى عيادة الدكتور (إسبر بلانش بباسي).[1] بقي الكاتب في المشفى ثمانية (08) أشهر كاملة امتدت من الواحد والعشرين (21) مارس إلى الواحد والعشرين (21) نوفمبر وذلك لحالته الخطيرة، وطوال تلك المدة لم يزره والده الذي كان على خلاف معه إذ يرى في ابنه شابا متهاونا وغير مكترث.[2]

تفاقمت حالة (دو نرفال) الذهنية إثر وفاة (جيني كولون) في 05 جوان 1842[3]: "اعتقدت أنا أيضا أن ليس أمامي إلاَّ وقت قصير للعيش، واطمأننت عندها إلى وجود عالم تلتقي فيه القلوب العاشقة...، إنني أمتلكها وهي ميتة أكثر من حياتها: تفكير أنا جعلني أدفع الثمن لاحقا ندماً مريراً."[4]

شرع (دو نرفال) شهر ديسمبر 1842، ملبيا دعوة قديمة من النجمة، في رحلة إلى الشرق الأوسط استمرت حوالي السنة تقريبا، بعد عودته تعاون مع مجلة (Des deux Mondes) وبقي يمارس نشاطه الصحفي إلى غاية سنة 1844 حيث سافر مع (أرسان هوساي) إلى بلجيكا وهولندا[5] ، بدأ سنة 1846 في نشر ذكرياته الشرقية على أعمدة مجلة (Des deux Mondes) وحمل أَول أجزاء الرحلة عنوانا جذَّابا و (نساء القاهرة) سنة 1848 ، لكن ظهوره في فترة من الاهتياج السياسي شغلت فيه الثورة فكر الباريسيين جعله لا يعرف إلا القليل من النجاح . بدأ سنة 1849 في تحرير روايته التاريخية (Le Marquis de Fayolle) لتنشرها جريدة (Le temps) لكنه لم يتمكن من إكمالها بسبب نفسيته المحبطة باستمرار، أُدخل مجددا شهر أفريل إلى عيادة الدكتور (بلانش) وبعد خروجه من المشفى قام بإكمال الجزء الثاني من رحلته الشرقية (نساء لبنان) أما الكتاب كاملا فنشر تحت عنوان (رحلة إلى الشرق) سنة 1851. أصيب بجروح في الصدر والركبة وذلك عقب سقوطه من السلم يوم الرابع والعشرين (24) سبتمبر 1851 تبعا لنوبة عصبية على الأرجح. قام بعرض مسرحيته (L'imagier de harléme) في 27 ديسمبر 1851 لكن مشروعه فشل رغم ثقة (دي نرفال) في النجاح . إنَّ الكاتب في أسوأ حالاته وفريسة لنوبات هلوسة متقاربة أكثر أجبرته على دخول عيادة الدكتور (بلانش) عدة مرات وفي رواية البعض مصح البلدية : [جانفي – فيفري 1852 / فيفري – مارس 1853 / 10 أوت – ماي 1854 / نهاية 1854 (19 ديسمبر)[6]، وهي آخر مرة دخل فيها المصح][7]. وكان له بين تلك الفترات عدة نشاطات: رحلة إلى بلجيكا (ماي 1852) – – رحلة إلى الفالوا (أوت 1852)، نشر كتابه (Les illuminés) النذير بالاشتراكية – ظهر له كذلك:

La bohême galante, Les nuits d'octobre, Lovely, Contes et facéties.

---

[1]- Raymond Jean: Nerval par lui - même, p:85.

[2]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:08(بتصرف).

[3]- P - G . Castex et P .Surer: Manuel des études littéraire française du dix- neuvième siècle, p:132.

[4]- «Je croyais mois - même n'avoir que peu de temps à vivre, et j'étais désormais assuré de l'existence d'un monde ou les cœurs aimants se retrouvent ailleurs.., elle m'appartenait bien plus dans sa mort que dans sa vie : égoïste pensée que m'avais payé plus tard par d'amer regrets.»

Jean Pierre Vérot: Sombres aspects, Gérard de Nerval - élément de biographie et parcours littéraire de déshérité, p:15.

[5]- Raymonde Jean: Nerval par luis même, p:185.

[6]- Camille Rogier: Gérard de Nerval - poésie et souvenirs. Edition établie, présenté et annotée par Jean Richer. NRF. Edition Gallimard, 1974, p:295.

[7]- Aristide Marie: Gérard de Nerval - Le poète e t'homme, Hachette. Paris,1914, réédition, 1955, p:60.

إضافة إلى:

Des petits châteaux de boéme (1853),

عبارة عن مجموعة قصائد ضمَّها لاحقا إلى (Odelette rythmique et lyrique)

El Desdichado (1853)

مثَّلت هذه الأعمال منبع إلهام لأعمال أكبر وأكثر نضجا كتبها أواخر حياته: بنات النار (1854) – الأوهام (1854) – أوريليا أو الحلم والحياة (1854)[1]، كما كشفت عن ذوق (دو نرفال) للمعارف الباطنية.

امتلأت حياة (دو نرفال) بالأحزان وعاش يجتر آلامه ومات متشردا لا يجد ما يكفي حاجته ويسد رمقه ويقيه من شدة البرد القارص كما أن عبقريته لم تكتشف إلاَّ بعد وفاته:[2] يا للشقاء؛ لقد طردته من نفسي؛ هددته، لعنته[3]!

كانت سنة 1854 سنةً بائسة صعبة جدا، كتب إلى والده ثمانية (08) أشهر قبل وفاته: "إنَّ حالتي جيِّدة حتى الآن!"[4] وكانت إذاً ليلة الخامس والعشرين (25) جانفي 1855 فجر السادس والعشرين (26) في جو متجمِّد بلغت درجة حرارته ثمانية عشر درجة تحت الصفر (- 18)، اختار (دو نرفال) الانتحار شنقا وقد وُجد قبل الساعة السابعة (07) صباحا بقليل معلَّقا بالقضيب الثالث لدَرج خشبي دبق مزوَّد بدربزين لمسكن قذر في زاوية قذرة لشارع بحي المذبحة القديمة قرب (شاطلي) بباريس وفي جيوبه ورقات من (أوريليا) وفلسين وإيصالين لحق المأوى وجواز سفر الشرق وبطاقة زيارة ورسالة. كان صباحا شاحبا داكن اللون ليوم يائس بشارع الفاتوس القديم (La vieille lanterne) لكنه ساعده على لمح النجمة الضيقة المضيئة بين الجدران السوداء للمنازل:[5] "جوف هذه الليالي السوداء والبيضاء."[6]

لم يتأخر ذيوع خبر موته المأساوي فجاء أصدقائه الواحد تلو الآخر ، وأراد (مكسيم) تخليد تلك اللحظة فوصف صديقه في ذكرياته الأدبية (Les Souvenirs Littéraire): "كان ممددا على ظهره، العينان مغمضتين، اللسان يمس مسا خفيفا الشفاه الموارية، الأصابع إلى الداخل، المحيا هادئ، طرف الأرجل إلى الخارج، تلم أسمر بسيط يحيط بالعنق شاهد على ...[7] وعلَّق بودلير: "أراد أن يستريح فاختار (الشارع القديم) والزاوية الأكثر قذارة فيه التي أمكنه إيجادها على حافة حبل لعلَه يكون حزام ملكة سبأ."[8]

خمَّن (تيوفيل غوتييه) أن الغراب الذي رآه (دو نرفال) في مرفأ بيروت من على السفينة المتجِّهة إلى سانت-جون داكر وكان حينها في مهمة شفع العفو لوالد (ست- سليمة)[9] هو كذلك آخر ما لمحته عيناه

---

[1]- Collection Microsoft. Microsoft corporation®Encarta®2005©1993 - 2004.

[2]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر . م 11، ع 03. ص:208 [836](بتصرف).

[3]- «O malheur; je l'ai chassé de moi - même ; je l'ai menacé, je l'ai maudit!»

[4]- «Ma situation est bonne, quoique dans l'avenir..»
Raymond Jean: Nerval par luis même, p:04.

[5]- Aristide Marie: Gérard de Nerval - Le poète et l'homme, p:39.

[6]- «Au creux de ces nuits noires et blanches.»
Marc Nadaux: Gérard Labrunie dit Gérard de Nerval, p:11.

[7]- Marc Nadaux: Gérard Labrunie dit Gérard de Nerval, p:39.

[8]- «Replanissant rue la vieille lanterne dans le coin le plus sordide qu'il ait pu trouver, ou il va modestement prendre congé au bord d'un corde qui est peut - être la ceinture de la reine de Saba.»
نفسه. ص: 33.

[9]- Théophile Gautier: Jour des morts, p:37.

الحتضرتان، وأنَّ قبل تنفيذ انحلاله المحزن حضرت ذهنه الحكمة الدرزية القاسية: "أُغلق الباب، تمَّت المسألة، كلَّت الريشة."[1]

شيِّعت جنازته يوم الثلاثين (30) من جانفي 1855 عند الثانية عشر والنصف [12:30د][2]، وقرأ (د. بلانش) باكيا من أمام قبر (دو نرفال) رسالة لهذا الأخير يعود تاريخها إلى الثاني (02) من جانفي 1855 أي ثلاثة أسابيع قبل انتحاره[3]، كان يعتذر له فيها عن تركه أشياء تخصه وأنه لن يتأخر في العودة لأخذها حالما يجد سكنا.

آثاره الأدبية:

يعَّد (دو نرفال) واحداً من أقطاب الأدب الفرنسي [4]؛ هو شاعر وقصصي ومسرحي **له** مساهمة عظيمة بإدخاله الأنا القلقة في العالم العقلي للأدب : "أنا الغامظ ، المحروم، الذي لا يمكن مواساته ."[5] درس التاريخ كما تعلَّم لغات عديدة لذلك فلحتمال اطلاع على الآداب الشرقية غير مستبعد: "درست كلاً من الإيطالية، اليونانية واللاتينية، الألمانية، العربية والفارسية."[6] استوحى أولى نصوصه الأدبية (napoléon et la France guerrière, 1826) من الملحمة النابوليانية واشتمل على مجموعة مراث شعرية وطنية، كتب بعدها كتاب تهجُّم ضد اليسوعيين وأهجوة ضد الأكاديمية الفرنسية. ولعل أعمال (دو نرفال) عامة باستثناء مؤلفيه المسرحيين (لارا، 1833) و (ليو بوركهارت، 1839) كانت أعمالا رومانسية وشعرية بالدرجة الأولى: "أعتبر من بين الكتاب الذين اتصَّلت أعمالهم المشهورة عميقا بحياتهم ."[7] وقد جئنا آنفا على ذكر بعضٍ من أعماله التي يبدو أن تلك التي كتبها أخريات حياته تزامنا مع نوبات العصبية المتتابعة[8] قد قد ارتبطت وثيقا بأحداث من حياته، لعل الكتب الثلاث الآتية كانت أوسعها شهرة وأكثرها نضجا:

بنات النار (1854):

بدأ (دو نرفال) كتابه بمقدمة يخاطب فيها (ألكسندر دوما) كنوع من الجواب عن تلميحات النقد الأدبي التي تناولت جنونه، ويتألف من عدة أقصوصات تحمل كل أقصوصة اسم امرأة واقعية أو أسطورية : أنجليك، سيلفي، جيني، أوكتافي ، كوريا، إميلي،... تنتهي كلهن إلى التجسُّد في (إيزيس) التي ترمز إلى صورة المرأة الضائعة.

---

[1]- «La porte est fermée, l'affaire est fini; la plume est émoussé»

الحكمة عن:

Johann Wolfgang Von Goethe: Faust et le second Faust de Goethe suivis d'un choix de ballades et de poésies traduits Par Gérard de Nerval précédés d'une notice par Théophile Gautier, p:207.

[2]- Camille Rogier: Gérard de Nerval - poésie et souvenirs, p:295.

3- غفر (دو نرفال) عجفه (د. بلانش) آخر مرء ثلاثة أشهر ونصف قبل وفاته.

[4]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص 193 [821].

[5]- «Je suis le ténébreux, le veuf, l'inconsolé.»

Raymonde Jean: Nerval par luis même, p:01.

[6]- «J'étudiais à la fois l'Italien, le Grec et le latin, l'Allemand, l'Arabe et le persan.»

Gérard de Nerval: Promenade et souvenirs - Premières années - juvenila, p:39.

[7]- «Je suis du nombre des écrivains dont la vie tient intimement aux ouvrages qui les ont fait connaître.»

نفسه.

8- زادت نوباته العصبية من خلقه الأدبي.

الأوهام (1854):

وهي مجموعة شعرية ذات طابع ديني ضمَّت أناشيد صوفية ألَّف فيها (دو نرفال) بين المسيحية والوثنية في عرض كلاسيكي تقريبا، اشتملت على صور ورموز محكمة الغلق وإرهاصات ظهرت بوادرها بعد ذلك في إنتاج السريالية.

أوريليا أو الحلم والحقيقة (1854):

آخر عمل لـ (دي نرفال) كان رواية نثرية حدثت بأكملها في أسرار وخبايا ذهن الشاعر ورسمت ملامح فترة طويلة من المرض . أراد (دو نرفال) عبر (أوريليا) مواجهة مأساته الحياتية والملل الذي يقتحم روحه فصار في الدرب الأخرى مهتديا بنجمة الحبيبة على إيقاع نبض الرؤى الداخلية التي شرَّعت أبواب الحلم وأدَّلته اكتشاف الأعماق حيث تتوثب هالات الصور وتستفيق وجوه أسطورته الحميمة.

نُشر له بعد وفاته أعمال منها: (Promenades et Souvenirs). نجد رسلًم بيانياً يختصر أهم محطات حياة (دو نرفال) في كتاب: [1](Manuel des études littéraires françaises de dix- neuvième siècle)

[1] - P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraire française du dix- neuvième siècle. Librairie Hachette. Paris, 1966.

عرض الرحلة:

(جيرار دو نرفال): [رحلة إلى الشرق، **(1842 - 1843)]**.

[Gérard de Nerval. Voyage en orient, (1842 – 1843)].

1. المستوى العام:

تاريخ النشر:

أراد (دو نرفال) بعد عودته من الرحلة أن يقدِّ م كتابا يدعم مكانته كشاعر وأديب، واستمرت عملية النشر ست سنوات (1844 - 1851) كمقالات في المجلات الدورية أولا في ثم ظهر على صورته النهائية بعد مشاورات مع (شاربونتيي) في جانفي 1851[1]، وقد أعلن ببيان المؤلفات الحديثة الفرنسية في 14 جوان 1851.[2] قسّم (دو نرفال) كتابه إلى أربعة أجزاء:

نحو الشرق (vers L'orient)

نساء القاهرة (Les femmes du Caire)

دروز وماروني (Druses et maronites)

ليالي رمضان (Les Nuits du Ramazan)

ينقسم كل واحد منها باستثناء الكتاب الأول المؤلَّف فقط من فصول إلى عدد من الأجزاء والأجزاء إلى فصول.

ترجم العمل إلى اللغة العربية في ثلاثة أجزاء [الجزء الأول (392 صفحة) – الجزء الثاني (211 صفحة) – الجزء الثالث (344 صفحة)]. صدرت الترجمة عن المطبعة الوطنية في القاهرة سنة 1960[3]، وظهر في طبعة ثانية عن نفس دار النشر سنة 1965.[4]

مسار الرحلة:

بعث (دو نرفال) إلى والده رسائل كثيرة لم تنقطع إلاَّ ما بين الثاني (02) ماي والخامس والعشرين (25) جويلية 1843 زوَّدتنا بمعلومات عن خط سيره وبعض التواريخ. بارح (دو نرفال) فرنسا عاقدا العزم على القيام برحلة بحرية إلى الشرق قادته تباعا إلى كل من مصر – لبنان– تركيا – مالطا – إيطاليا. استغرقت رحلته سنة، بدأت يوم غادر باريس في 23 ديسمبر 1842 إلى يوم وصوله مرسيليا في 05

---

[1]- د.سامية أحمد سعيد: مع الشاعر جيرار دي نيرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:60.

[2]- Camille Rogier: Gérard de Nerval - Poésie et souvenirs, p:293.

[3]- د.سامية أحمد سعيد: مع الشاعر جيرار دي نيرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:60.

[4]- د.الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه. ص:314.

ديسمبر 1843؛ نزل (رون ليون) بأفينيون في 25 ديسمبر 1842، واستقبل من قيل صديقه الشاعر (ميري) أمين مكتبة المدينة[1] بمرسيليا في 28 ديسمبر، وبعدها بثلاث أيام أي الفاتح من جانفي 1843 أبحر على متن المركب، نزل الإسكندرية في 15 جانفي ليتجه بعدها مباشرة إلى القاهرة أو بالأحرى إلى بولاق عن طريق النهر حيث وصل في 25 من نفس الشه ر لتطأ قدماه أرض العاصمة الكبرى صباح السابع (07) من شهر فيفري 1843.

[1]- نفسه. ص:95.

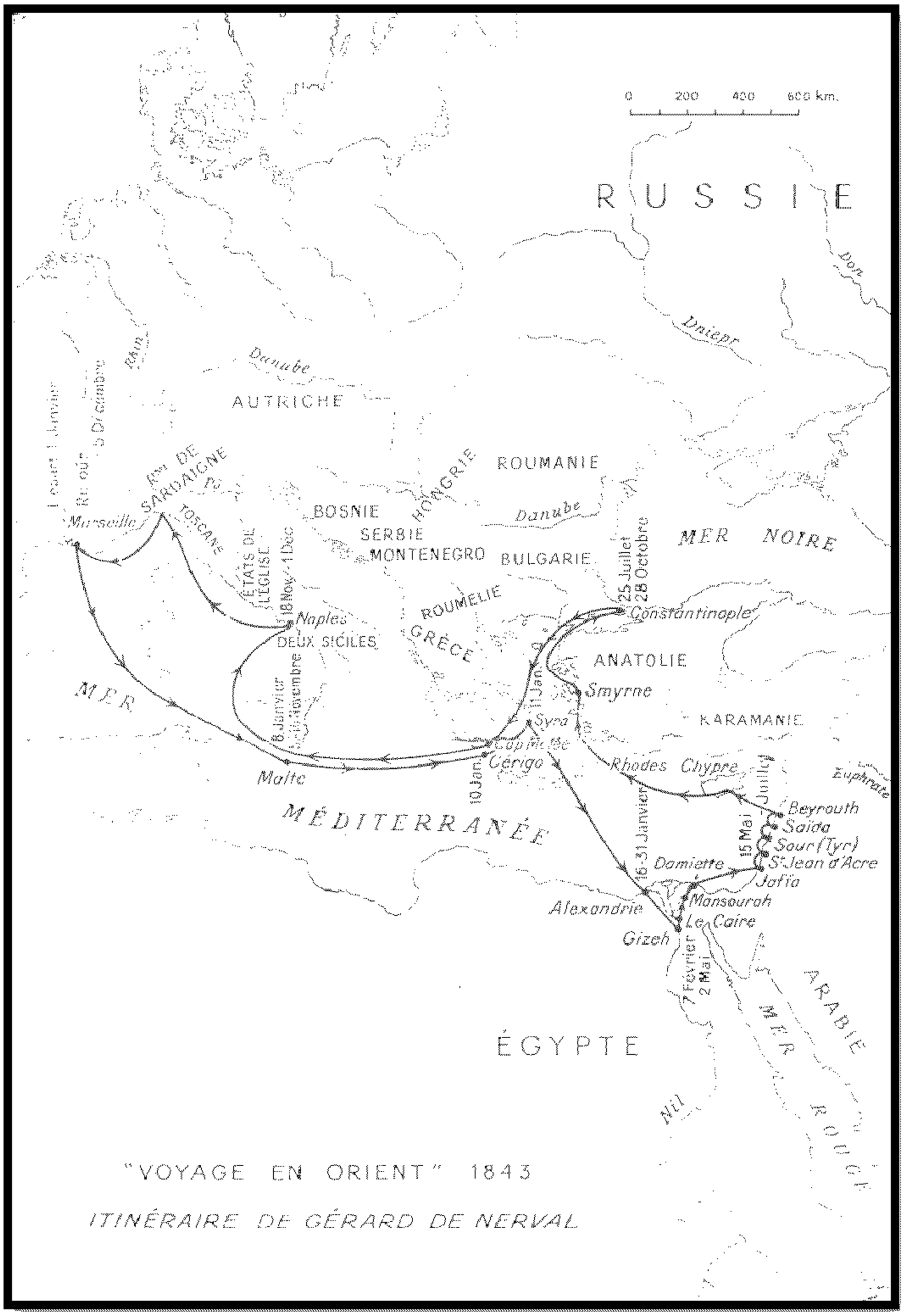

خط سير رحلة (دو نرفال)، 1843.[1]

[1]- Reymond Jean: Nerval parle lui- même, p:185.

يفاجئنا (دو نرفال) بخط سير ثان؛ ركب سفينة (المونتور) من مرسيليا في 01 جانفي، وصل إلى فيلات في 08 جانفي، انطلق في اليوم الموالي على متن (مينوس) هذه المرة في طريقه إلى الأرخبيل وانتظر فجر 10 جانفي ليلمح جزيرة سيريغو [سيثار أو مضيق كورانث أو جزر كرست لقديسة الحب (أفروديت)][1]، وصل لسوريا في 11 أو 12 جانفي 1843 لكنه لم يتأخر بالبقاء فيها، كتب إلى والده: "لكنني لم استطع رؤية دمشق أين كان الوباء."[2] تابع رحلته ووصل إلى الإسكندرية يوم الاثنين 16 جانفي لكنه غادرها في الحال إلى القاهرة التي خصَّها وأحيائها كإطار بأطول إقامة، وصل إلى القاهرة في 07 فيفري، نزل النيل وهناك رأى أجمل جزء من الدلتا [3] لكنَّه تنازل عن زيارة مصر العليا، انطلق ثانية يوم 02 ماي من القاهرة نحو دمياط ومن هناك ركب سفينة يونانية يوم 08 ماي في زيارة إلى بيروت، وبعد توقف في جافلوسانت – جون داكر وصيدا وصل العاصمة اللبنانية نحو منتصف الشهر ومنها عاود الانطلاق بداية شهر جويلية إلى إسطنبول عبر قبرص و(Rhode) و(Smyrne) وكان وصوله العاصمة التركية يوم 25 جويلية. قفل (دو نرفال) يوم 28 أكتوبر راجعا إلى البلد الأم على متن السفينة النمساوية (لوروطاس) رفقة صديقه الرسَّام (كامي روجيه)[4] الذي التقاه في اسطنبول، وصل مالطا في 05 نوفمبر لينطلق ثانية في 16 من نفس الشهر حيث وصل نابولي في 18 نوفمبر وامتدت إقامته فيها إلى غاية 01 ديسمبر واستقبل هناك بحفاوة من قبل (طوماسو كارغالو) وشقيقاته "المتعلمات بقدر ما هن جميلات "[5] كما كانت يزور بومباي في وقت الفراغ، أبحر من نابولي على متن (فرانسيسكو بريمو)[6] وبعد اختراق جديد للبحر الأبيض المتوسط وصل إلى مرسيليا في 05 ديسمبر 1843. كان في استقباله صديقه الطافح بالحيوية الذي سبقه بالوصول. أمضى (دو نرفال) عيد الميلاد وسط عائلته بنيم[7] لكنه فوَّت (سانت إيتيان) في باريس يوم 26 ديسمبر إذ لم تطأ قدماه العاصمة الفرنسية التي ذهب إليها عبر ليون إلاَّ في 01 أو 02 جانفي 1844.[8]

قام (دو نرفال) بإعادة تركيب خط سير نصف- منشود نصف- تجربة معيشة فصله رحلتين في واحدة؛ الأولى إلى النمسا (**VITA NUOVA**) وكانت رحلة ذهنية امتدت بين 1839 و 1940 استعاد فيها ذكريات إقامته في فيينا وخصَّها بالجزء الأول (نحو الشرق) تمهيدا للاستهلال في رحلته الثانية إلى الشرق سنة 1843،

---

[1]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:95.
[2]- «Mais je n'ai pu voir Damas ou il était la peste.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p :158.
[3] -«instruites autant quelles sont jolies.»
نفسه. المجلد01، ص:39.
[4]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:98.
[5]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:251.
[6]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:99.
[7]- Camille Rogier: Gérard de Nerval poésie et souvenirs. Edition établie, présenté et annotée par Jean Richer, pp:291-292.
[8]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:99.

فكانت النتيجة أن اختلف كثيرا خط سير الرحلة الأولى عن الثانية[1]، ويمكن أن تقرّب الخريطة التالية الفكرة أكثر إلى الأذهان:

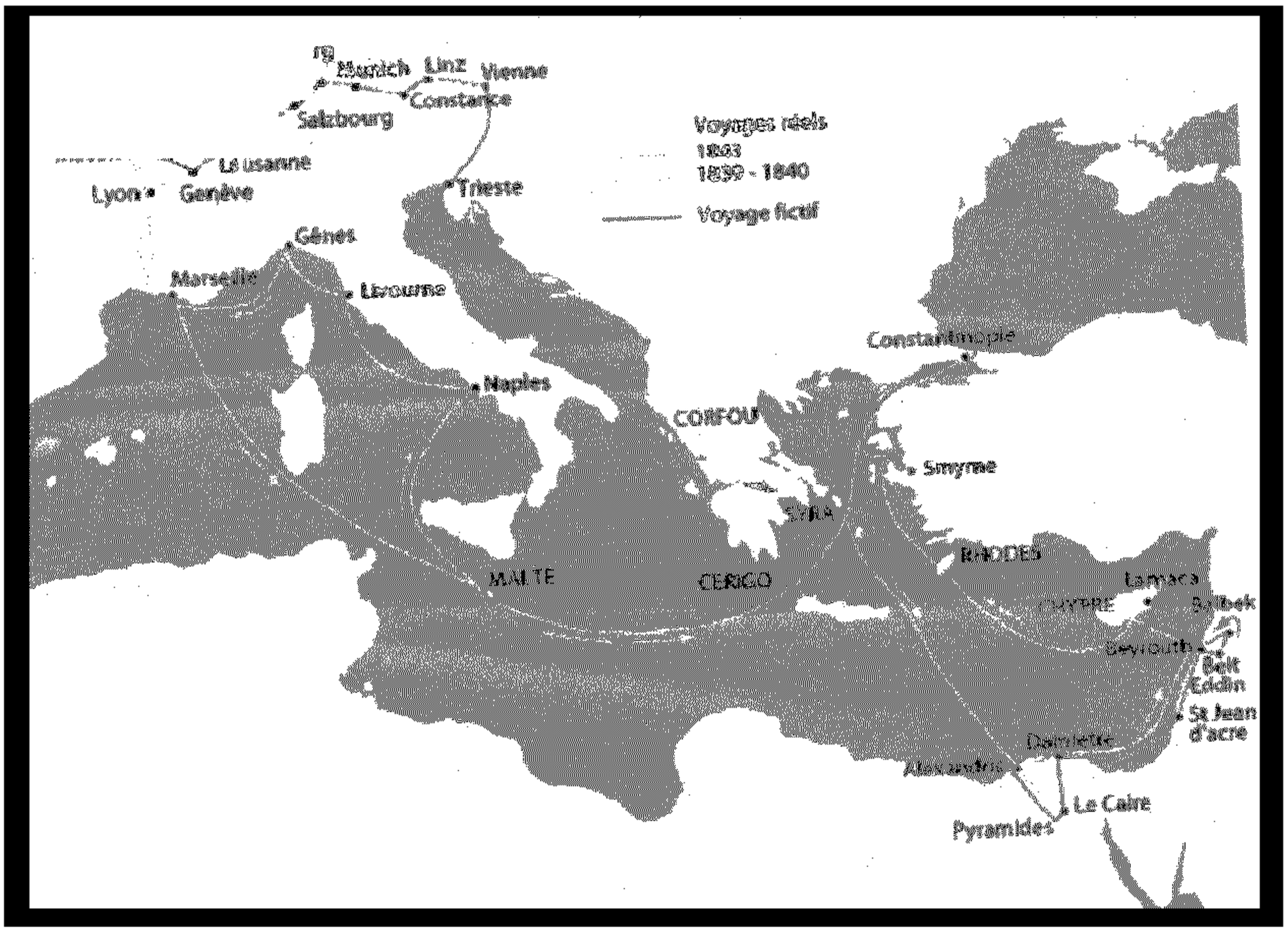

خط سير نصف- منشود، نصف- تجربة معيشة.[2]

[1]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:83.
[2]- Bernard Corteggiani : L'encyclopédie culturelle, p:125.

قوِم (جيرار دو نرفال) إلى الشرق رفقة الشغوف بالإجيبتمولوجيا (جوزيف دو فونفريد) الذي تكفَّل بأغلب تكاليف الرحلة، في فترة ما زال فيها (محمد علي) حاكما على مصر وبيروت تحت الإدارة التركية. أبحرا سوية من مرسيليا في 01 جانفي 1843 ووصلا إلى الإسكندرية في منتصفه، فكانت أوَّل مدينة مصرية رآها، إلاَّ أن أبنيتها الأوروبية خيبتَّ أمله وتركت في نفس ه أثرا سيئا و لم تحظ آثارها ولا حمامات كيوباترا وعمود الصواري باهتمامه. اسقَّل في العشرين من نفس الشهر قاربشراعي وبعد خمسة أيام في النهر كانت مدينة القاهرة.

أراد (دو نرفال) منذ اللحظة الأولى الوقوف على أسرار الحياة الشرقية، لذلك تخلى عن كل ما يمت إلى العادات الأوروبية بصلة وحاول أن يدمج بالكامل في الحياة المصرية؛ ففيها يتلخص كل أو بعض تلك الحياة: "لا أتأسف على تخصيصي بعض الوقت للقاهرة وبقائي في جميع الحالات مواطنا من هذه المدينة، وهي الوسيلة الوحيدة لفهمها وحبها."[1] بقي في الفندق لأقصر مدَّة ممكنة ثم انتقل إلى الحي الفرنسي قبل أن يكتري شهر مارس منزلا منفردا في حي قبطي بشبرا له عدَّة طوابق وحديقة كلَّفه ثلاثمائة قرش فقط. حلق رأسه على الطريقة التركية آنذاك وارتدى زى البلد؛ ألقى شالا على كتفيه وأحاط رأسه بمنديل ولبس طاقيتين إحداهما حمراء والأخرى بيضاء وارتدى سروالا واسعا من القطن الأزرق وصديريا أحمر مطرَّزا بالفضة، وبذا استحق أن يطلق عليه اسم (شلبي) وهو الاسم الذي كان يطلق وقتذاك على المتأنقِّين من الشباب: "خرجت أخيرا من عند الحلاق، في هيئة مغايرة، مسرور، فخور لعدم تلويث مدينة تصويرية بمظهر معطف – كيس وقبعة مستديرة."[2]

كان يبدو مثل سوري من صيدا أو طرابلس واستطاع بفضل هذا الزي أن ينضم إلى موكب العرس وتمكَّن من مشاهدة موكب الحجاج، واستغنى في بعض جولاته عن دليله (عبد الله) مفضِّلا التيهان معتمدا على الصدفة وحدها متوقفا أمام هذا المشهد أو ذاك : "لا نعرف بأي طعم غريب وغير متوقع .."[3] استوقفته أسواق القاهرة السخية بالألوان الزاهية والحمامات التي تصبح ملجأ رحيما في أيام الخماسين الحارقة فتريح

---

[1]- «Je ne regrettais pas de m'être fixé pour quelque temps au Caire et de m'être fait sous tous les rapports un citoyen de cette ville, qui est le seul moyen de comprendre et de l'aimer.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. [03 vols]; Tome premier; Tome deux: Les femme du Caire; Tome trois: Les Nuits du Ramazan. Les textes de la collection sont annotés sous la direction de Marcel Guilbaud de la bibliothèque nationale. Collection nationale des grands auteurs de la nouvelle librairie de France. Société générale d'édition et de diffusion. Paris, 1999. T.01, p:143.

[2]- «Je suis sorti enfin de chez le barbier, transfiguré, ravi, fier de ne plus souiller une ville pittoresque de l'aspect d'un paletot-sac et d'un chapeau rond.»
نفسه. المجلد 01، ص:21.

[3]- «Par on ne sait quel goût de l'étranger et de l'imprévu ..»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p.235.

-رغم حرارتها الشديدة- المستحم من حرارة رياح الخماسين لتحارب بذلك نار بتاح الدنيوية نار حورس السماوية[1]، كما استرعى انتباهه متاجر الحي الفرنسي الشهير (الموسكى) وحفلات الزفاف ورقصات العوالم (Les chawazys) وحلقات الذكر والحاوي أو المصارع و القرداتي ومطوِّعي الثعابين والقراقوز أو خيال الظل والمغنيين والراقصين المتنكرين في المقهى ولاعبي الخفة وبالعي السيوف وكثرة الجماهير العربية والضجيج والتصفير والعواء والجرس الصغير والعطور والأشباح ... بدأت ليلته الأولى في القاهرة بمغامرة لحضور حفل زفاف فنجده وسط الزحمة بعباءة ولحية طويلة وكلمة (طيب) التي تلبس جميع المعاني وذلك تبعا للنغمة التي تقال بها لكن لا مجال لمقارنتها بكلمة (جود) الإنجليزية إلاَّ لإظهار الفلوق بين شعب مهذّب تهذيبا أكيدا وأمة تعتبر على أكثر تقدير مجرد مهذَّبة.[2] استيقظ (دو نرفال) ذات صباح على شيخ الحي يعيد إليه المبلغ الذي دفعه ويعُلمه أنَّه لا يمكن لأعزب أن يسكن وسط العائلات! وأنَّ عليه الزواج وإلاّ فالرحيل، يترعج (دو نرفال) الذي غامر في ليلة هادئة بالصعود إلى سطح منزله لكن مترجمه (يوسف اليهودي) يهوِّن عليه أزمته فللزواج هنا أربعة أنواع ويستطيع اختيار ما يناسبه:

إما زواج من قبطية أمام تركي يقوم مقام القسيس، وهو زواج غير مقبول عادة من العائلات.

إما زواج أمام القسيس، وهو زواج جدِّي يلزم بدفع مبلغ من المال في حالة الطلاق.

إما زواج جاد جدا أمام القسيس طبقا لتعاليم مذهبه، وفي هذه الحالة لا يجوز الطلاق ولا بدَّ من دفع مبلغ من المال في حال رحيل الزوج.

يتم الزواج الأخير على مرحلتين:

المرحلة الأولى: أمام الكنيسة القبطية.

المرحلة الثانية: أمام دير الفرنسيسكان، وعليه في هذه الحالة أن لا يترك زوجته أبدا حتى لو رحل.

ينصح مستشار الزواج العريس في النهاية بتجنب زواج القنصل لأن مأساته ستتبعه إلى بلده، ويبدأ البحث واستعراض الفتيات داخل القاهرة وخارجه ا اصطحبهما بعدها الترجمان الفرنسيين إلى سوق الجواري ، كتب لـ (تيوفيل غوتيي): "لدينا نساء أخريات بالقدر الذي نريد."[3] وقد كرَّس (دو نرفال) بعض الفصول لمشاريع زواج مبهمة؛ إنَّه لا يرضى أن يكون الزوج الثاني أو الثالث كما أنَّه لا يرضى أن يتزوج من فتاة بكر لا يتعدى عمرها اثنتي عشر عاماً ، ويخرج الحل من فم ترجمانه الذي يقترح عليه اقتناء جارية فللهم بالنسبة إلى مشكلته مع الجيران أن يكون في المنزل امرأة، ويقع الاختيار على فتاة ماليزية صفراء البشرة في الثامنة عشر تدعى (زينب) أنفها مثقوب ويديها وقدميها مخضَّبتان بالحناء ترتدي جلبابا (djellab) ملوَّنا: "زينب، امة ذات لون ذهبي بشعر أزرق وصدر موشوم بالشمس..."[4]

---

[1]- نفسه. المجلد 01، ص:113(بتصرف).

[2]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01,pp :179 – 190(بتصرف)

نفسه. المجلد 01، ص ص:179- 190(بتصرف).

[3]- «On a d'autre femme tant qu'on veut.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p :53.

[4]- «Zayneb, l'esclave couleur d'or, aux cheveux bleus, et à poitrine tatouée de soleils...»

بدا الفرنسيين سعيدين فقد قاما بعمل جيدٍّ ليس لهما في إعادة حريتها فيما بعد أو لأنها ستضمن حضورا أنثويا في المنزل بل لأنهما سيوفران أجر خادم كذلك! لكن سرعان ما تبدد وهمهما بسبب رفض (زينب) إدارة شؤون المنزل أو طهو الطعام وكانت تمضي أكثر وقتها في النظر إلى الشارع من المشربية معتبرة نفسها سيّدة لا خادمة ولحُ أن تكون مخدومة مثل امرأة من الحرم. وهكذا أصبح سيِّدها عبدا لها ويقضي أيامه في تلبية طلباتها التي لا تعرف حدا ولا نهاية؛ فهي لا تقبل أن تشرب إلا لبن الماعز وطلبت منه أن يشتري لها حبرة من الحرير الأسود وثوب وحذاء واقتادته إلى شبرا لكي ترى ما كان يُعرض فيها آنذاك... وما كان منه إلا أن ضمَّ طبلخًا و رجل متعدد المهام (Barbarin) ولم يشأ أن يخرج ويتركها وحدها فاستأجر العجوز (منصور) وزوجته وكلفَّهما بحراستها أثناء غيابه ليجد نفسه وقد أصبح على رأس وحدة صغيرة ، وعلاوة على ذلك كان يقوم بإعطائها دروسا في الفرنسية.

كانت الجارية مدللة بتقاليد تعطيها الحق في هذا الدلال والارتفاع فوق مستوى الخدم وإذا أراد الرحيل فعليه بيعها من جديد بدلا من البهدلة أو الانحراف أو الخدمة في بيوت الناس، ويعجب (دو نرفال) من هذا النموذج في العبودية ويقارنه بعبودية الزنوج في أمريكا، وقد سألها عن أشياء كثيرة لكنَّه لم يحظ بجواب فلا هو يجيد تكلم العربية ولا هي تفهم الفرنسية واقتصر ا لتفاهم في أغلب الأحيان على بعض الحركات والإيماءات المعبرةّ. وظن الكاتب أن القدر قد ساقه كي يلعب دورا في حياة هذه الفتاة والتأثير على حظها سلبا أو إيجابا لكنها سرعان ما أصبحت مصدرا للمشاكل بدل أن تكون حلا لها؛ كانت تؤمن بالخرافات وذات صباح دخل (جيرار) غرفتها وألقى من الشباك البصل الذي تضعه دائما فوق الباب قبل أن تنام ولم يكد يفعل حتى غضبت (زينب) ووصفته بالفرعنة ونبَّهته إلى أن البصل يطرد الأرواح الشريرة والأمراض الوبائية.

خيبَّت العاصمة المصرية أمله في بادئ الأمر وخُيلِّ له أنَّه سيمضي أكثر ستة أشهر مملة في حياته؛ كانت الشمس في طريقها إلى الغروب أما هو فكاد يغرق في شبكة الشوارع الضيقة المتربة التي لا يمكن تقدير نهايتها وسط جموع من الناس مهلهلة الثياب وتزاحم الكلاب والجمال والحمير، فتساءل باستغراب: "عشية وصولي إلى القاهرة (...) بعد بضع ساعات من النزهة فوق حمار وبصحبة ترجمان (...) ماذا! أهنا، قلت في نفسي، مدينة ألف ليلة وليلة، عاصمة الخلفاء الفاطميين؟"[1] لكن مهلا، إنَّ بلد الأسرار لا تكشف عن نفسها مرة واحدة شأنها شأن نسائها المحجبات آنذاك ، ويكفي أن يظهر موكب عرس تحفُّه الأضواء والضوضاء في الشوارع المظلمة كي يتبدَّل الحال وتفتح أمامه آفاق جديدة. قدَّم (دو نرفال) لوحة نادرة عن حفل الزفاف ذاك؛ فللعروس ملكة تطوف في موكب بالمدينة يستر وجهها خمار شفاف تلتقط منه

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p :45.

[1]- «Le soir de mon arrivée au Caire (...) en quelque heures de promenade sur un âne et avec la compagne d'un drogman (...) Quoi ! C'est là, me disais je, la ville des milles et une nuit, la capitale des califes fatimides?»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:10.

نظرات الإعجاب ويرفعون فوق رأسها مظلة من المخمل تحميها من عين ا لحسود في ليلة فرحها، يتقدم الموكب رجال يفسحون الطريق برقصات والبعض يسير على عكاز عال يصارع زميلا له في العلاء وأطفال يحملون المشاعل العالية والشموع والرايات وخلف هذا الجمع تأتي العوالم والغوازي بألوان متضاربة صارخة وتزن الطبول و الزغاريد إيقاع الركب، بعدها صفان طويلان من العبيد يحملون الهدايا يليهم المدعوون تتوسطهم المدعوات ومن بعيد تشع هالة عظيمة من المشاعل والأضواء، وحتى تستريح الملكة والمقربون كان الموكب يتوقف بين الحين والآخر لتقديم وصلة سريعة من الرقص والغناء والشراب.[1]

احتلت الاحتفالات والأعياد مكانا هاما في رحلة (دو نرفال) وظلّت ذكراها ماثلة طويلا في ذهنه، وها هو ينتظر طويلا قافلة عودة حجاج مكة، رآها تأتي.. كان مظهرا مثيرا من مظاهر الحياة العربية، سيمفونية ملحمية وأسطورية وشيء أشبه بالجيش الزاحف ذاب لتوه في حشد هائل[2]، كان يحيط بالقافلة بدو بالكاد يرتدون ثيابا مسلحون ومتوّجون يتظاهرون بالعراك، فرق موسيقية، رقص، التواء، صراخ حاد، أطفال، موكب طويل من الرجال والنساء يبنهم جماعة نساء بملابس زرقاء كما لمح ما يشبه شبحا أحمر له تاج مرصّع بأحجار كريمة يتوسط امرأتين مسنتين.[3] سار الموكب من (باب الفتوح) إلى (باب زويلة) وأثناء ذلك كان الحجاج يتوقفون في الجوامع، وحين وصلوا إلى الطريق الطويل الضيق المؤدي إلى القلعة ووسط الطبقة الهائلة التي ينساب فيها النيل عبر الوادي الخصب[4] حُمل جوخ النبي -صلى الله عليه وسلم- الذهبي وإذا بشيء أقرب إلى النشوة الدينية بل الهذيان يجتاح الحشد؛ دراويش يطعنون خدوده م ويبتلعون ثعابين حية وجمر أحمر وآخرين يرمون بأنفسهم تحت حوافر الأحصنة ... وصف (دو نرفال) احتفالا آخر اسمه (الدوسة) وفيه ينام ما يقرب المئتين شخصا على الأرض ويعقدون الأذرع تحت الرأس في انتظار أن يمر عليهم الشيخ كبير الدراويش ممتطيا صهوة جواده يقومون بعدها منشدين مهللين لم يمسسهم ضرر، ويزعم بعض الإفرنجيين أنّ حماس هؤلاء القوم ينمّ ي فيه م قوّ ة عصبية خارقة على المقاومة تمحو من داخلهم الإحساس بالألم. حضر الاحتفال الشعبي بالمولد النبوي الشريف و حمله الإنشاد في حلقات الذكر إلى آفاق بعيدة إلى وطن صوفي تملأه ذكريات حياة عاشها قبل حياته على هذه الأرض وحين سمع: "لا إله إلا الله" استيقظت في نفسه أحاسيس دفينة وامتلأت عيناه بالدموع وتملّكه الحماس ورغم محاولة صاحب الحانوت (جون) تشكيكه في الكلمات التي تردد والتي كانت حسبه كلمات عشق إباحية فقد تصدى له رافضا ترجمته الرديئة[5]، كما و لم يفوّت (دو نرفال) الجلوس إلى حلقات الشعراء وأخرى حول رواة لأ جزاء من رواية (أبو زيد الهلالي). أقام في القاهرة ثلاثة أشهر تقريبا قرّر بعدها أن تكون وجهته المقبلة الشام وحتى يتمكن من حضور عيد الفصح في القدس رأى أن يسافر عن طريق فلسطين (مهد الأديان)، لكن ثمة

---

[1]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, pp:12 – 24(بتصرف).
[2]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié , p:91.
[3]- نفسه. المجلد01، ص ص:58 - 65(بتصرف).
[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:93(بتصرف).
[5]- نفسه. المجلد01، ص:94.

مشكلة، فالمبلغ الذي ادخره ضاع في شراء (زينب)، كيف يتصرف إذا؟ هل يبيعها ويسترد نقوده ويسافر إلى فلسطين؟ فيكون قد سعى لمعرفة الشرق بأنانية الغرب ومنطقه المادي.. إنَّه موقف ميكيافيلي لا يقبله وتكون التضحية بزيارة فلسطين خاصة أن (زينب) وخلافا لما كان يتوقع بكت عندما أخبرها عن وشوك عودته إلى فرنسا وأنها حرَّة في المغادرة معه أو البقاء في القاهرة إذا شاءت . بدا (دو نرفال) حزين عند مغادرته القاهرة وتلك الحافلة التي تحيط بكل ما في مصر العتيقة من روائع تضيق وتهبط ثم تختفي أخيرا في زرقة البحر[1]، لينطلق ومعه الفتاة المسلمة (زينب) من ميناء بولاق على متن مركب بيروت، وتستمر أزمتهما فلا هو واصل إلى قلبها ولا هي واصلة إلى عقله فهل تحويلها إلى مسيحية هو الحل؟ لكنَّها لا تقبل بديلا عن عقيدتها كما أنه يرفض من منطق تحرره الفكري فرض عقيدته عليها، وصادف أن طلب منه صاحب المركب القبطان المسيحي (نقولا) تبادل صبيه الأبيض بجاريته السمراء زينب، إذ أخطأ (جيرار) مرة وقال للصبي كلمة (يا حبيبي) دون أن ينتبه لمعناها ففهم القبطان إمكانية إتمام الصفقة. رفض (دو نرفال) عرضه لكنه اهتدى إلى أن ذلك يمكن أن يكون الحل لمشكلته مع (زينب) خاصة وأنَّه في التاسعة والأربعين والفتاة لم تبلغ بعد الثامنة عشر فدفعه شعور الأبوة إلى تزويجها من الشاب الأرمني، وفعلا فقد عرض عليه الأمر لكن هذا الأخير ومن فرط دهشته عرضه بدوره على زينب التي امتعضت لجرح مشاعرها؛ فكيف يفكر (جيرار) بعد هذه العشرة الطويلة تزويجها من شاب يبيع نفسه كل يوم لأحد السادة الإفرنج أو الأتراك ولا يهمه إن غيَّر عقيدتها؟

توقَّف المركب الذي يسير ببطء في النيل لأنَّ الريح لم تكن مواتية ويبدو أنَّها كانت فرصة (جيرار) حتى يرسم بقلمه لوحته الثانية قبل مغادرة مصر، نزل غير ساخط إلى قرية شبرا حيث التقطت أذناه الخطوط الأولى لحفل لكنه لم يتبين بعد ما هو إذ وفي جميع احتفالات المصريين كان ذلك الخليط من الفرح الشكلي أو الشكوى التي تقطعها فورات الفرح وحين تبيَّن أن الأمر يتعلق بختان قرر حضوره دون تردد لمعرفته بأن الحفلات العائلية لفقراء المصريين هي حفلات عامة.[2] بدأ الحفل البارحة حيث طافت الزفة بحواري القاهرة واليوم تصل إلى قريتهم، وإن أحاطت مظاهر العظمة بلوحة عروس البداية الثرية فإنَّها لا تقل عنها في حفلة عرس النهاية الفقير ؛ أولى حدود اللوحة كانت رقصات مع توزيع القهوة وأطفال مصطفين في صفين استعدادا للزفة ثم النوبيون بعصيهم وعكاكيزهم الطويلة يليهم الموسيقيون ويتقدم كل أولئك كبار الشيوخ، ويهل حصان مزخرف يتهادى فوقه طفل مزهو كأمير اطور بملابس وزينات نسائية و قد رُبط فمه بمنديل وأيد خلف الحصان ترش الملح والعطر ، وتبقى شخصية الحلاق ومساعده بأدوات المهنة تحظيان بالجلال والوقار، أمَّا سيمترية الحد الثاني من اللوحة فهي لنساء يرافقن الختان بالزغاريد كمهنة يمتد أصلها إلى الماضي السحيق[3]. وصل المركب إلى سانت – جون داكر وواصل سيره إلى الرأس العالي (رأس بيروت)

---

[1] -Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:225(بتصرف).

[2]- نفسه. المجلد01، ص:214(بتصرف).

[3]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:102(بتصرف).

ومرَّ بسور وصيدا (سيدون القديمة)[1] قبل أن يصل إلى بيروت في انتقال من قارة إلى أخرى (من افريقيا إلى آسيا). اكترى (دو نرفال) منزلا من أحد الموارنة لا يبعد كثيراً عن المدينة، وكان أن التقى ببيروت الأب (بلاشيه) الذي كرر عليه فكرة تحويل (زينب) إلى المسيحية الكاثوليكية ويجيبه (دو نرفال) عدم استطاعته ذلك لأن الشعور الديني عند تلك المرأة قد نما تلقائيا وأصبح أقرب إلى الشعور الطبيعي.[2] كان لدى (دو نرفال) فضولا لاستكشاف باطن البلد إنَّما: "هل يمكنكم تصوري أدخل قاعة استقبال مع جمال يمكن أن نتهمه بميل إلى أكل لحوم البشر؟ "[3] لبَّى دعوة أحد أمراء الموارنة لزيارة الجبل وليس لديه ميول: "وضع في المدرسة الداخلية عند مدام كارلاس الحارية التي كان جد مترعج منها حتى إنَّه كان يريد إهداءها لنا."[4] أراد (دو نرفال) التخلص أوَّلا من المزاحمة (زينب) فقام بإيداعها مدرسة داخلية في بيروت تديرها فرنسية من مرسيليا تدعى (مدام كارلاس).. بعد أن دفع كي يشتريها يجب أن يدفع كي يتخلص منها!: "وضع في المدرسة الداخلية عند مدام كارلاس الحارية التي كان جد مترعج منها حتى إنَّه كان يريد إهداءها لنا ."[5] ولا يفوت هذه المديرة بدورها محاولة إقناع (زينب) بالتحوُّل إلى مسيحية، وتغمز لها بأن ذلك قد يسهِّل لها الزواج من سيدها ، لكن دون جدوى . استأنف (دو نرفال) رحلته إلى الجبل حيث مترل مضيفه على مسافةقصيرة من عينطورة بالقسروان، وفي الطريق دخل قرية بيت مري التي كان سكانها من الدروز والموارنة لكن الباشا التركي ولتفادي الصراع المستمر بينهما أقام وسط الفريقين معسكراً صغيرا للألبانيين يعيشون فيه على نفقة السكان المتنافسين، وصل (دو نرفال) إلى مترل الأمير الماروني وبعد فترة راحة اصطحبه الأمير في رحلة صيد لكنهما وعند عودتهما علما بخبر تجدُّد القتال بين الموارنة والدروز فيقرر (دو نرفال) أن يشهد مع الموارنة المعركة، وعندما دخلوا قرية الدروز لم يجدوا أحداً غير شيخ ضعيف يكرر على مسامعهم: "لقد خدعوكم، لقد أصغيتم لرجال السوء الأجانب الذين يسرهم أن تقطع رقابنا حتى يأتي إخواننا إلى هنا لينتقموا لنا منكم!" يبيِّن هذين الشعبين في واقع الأمر التقدير لبعضهما البعض أكثر مما نظن ولا يستطيعان نسيان تاريخهما المشترك وما يحدث الآن في لبنان تحت شعار (نشر السلام) هو في الحقيقة تبادل للملكيات؛ فيعطي المسيحيون ما يملكه الدروز في مناطقهم ويعطي الدروز ما يملكه المسيحيون في مناطقهم ولا يفتأ أن يولع صراع سيتسبب في سفور شعبين متمايزين تماما وربما فُرضت على أحدهما الحماية النمساوية وعلى الآخر الحماية الإنجليزية وسوف يكون من العسير حينئذ أن تسترد فرنسا نفوذها الذي بسطه (لويس الرابع عشر) على الدرزي والماروني على السواء.[6] سمحت له إقامته في الجبال اللبنانية بالتعرف على كثير من عادات الدروز والموارنة، واستمع ذات مساء إلى أغنية تقول كلماتها: "لا صباح

---

[1]- Delvan Alfred: Gérard de Nerval - Sa vie et ses œuvres. Bibliothéque nationale de France. Paris, 1865. p:144.
[2]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:12(بتصرف).
[3]- «Me voyez- vous entrer dans un salon, avec une beauté qu'on pourrait suspecter de goût anthropophages?»
نفسه. المجلد 01، ص:102.
[4]- «Ni pour les promenades à cheval, ni pour les couchers sous la tente.»
Delvan Alfred: Gérard de Nerval - Sa vie et ses œuvres, P:144.
[5]- « Mis en pension chez madame Carlés l'esclave, dont il était si embarrassé, qu'il voulait nous en faire cadeau.»
Delvan Alfred: Gérard de Nerval - Sa vie et ses œuvres, P:144.
[6]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:38(بتصرف).

الخير ولا مساء الخير"، فتساءل بمنطقه إن كنَّا سنصل سريعا إلى تلك الساعة الجليلة التي لا هي بالصباح ولا هي بالمساء ولا يستطيع شيء في العالم أن يجعلها غير ذلك وما هو السر في هذه الساعة؟ عدا ذلك فهو مستمر في الحياة على هذا الشاطئ الآسيوي الذي أعاد إليه شبابه[1] هل هو الحب يا ترى.. لكن ليس حب (زينب) التي يشعر نحوها بالأسف؛ التقى (دو نرفال) في مدرسة السيِّدة الفرنسية (مدام كارلاس) الفتاة الدرزية العاقلة (سلمى): "... ووالدها أيضا دون شك، ما يسمونه عاقل، قديس، عالم، وابنته التي علَّمها، لها كذلك نفس اللقب بين خاصتها : ست عاقلة- (امرأة روحية) (...) الطفلة المسكينة، تضيف السيدة كارلاس، فعلتُ ما بوسعي لحملها أن تصبح مسيحية، لكنها قالت أن ديانتها نفس الشيء."[2]

يقرِّر (دو نرفال) الزواج بالفتاة الشقراء الحسناء (سلمى) التي وجد فيها البساطة والعفوية والرزانة والعقل والعلم، وبدا له أنَّ حلَّ مشكلته مع المنطق الشرقي كلِّه: "يرتسم مستقبلي على السطح المشرق لهاته اللوحة: المرأة المثالية التي يلاحقها الواحد منَّا في أحلامه قد تحقق لي : كل الباقي نسيته."[3] لكنَّه عندما أراد مقابلة والدها أخبرته (مدام كارلاس) بأنَّه شيخ من شيوخ الدروز ألقت به السلطات التركية في السجن إما لعدم دفعه الضرائب أو لثورته على نظام الحكم، وهنا يبدي (دو نرفال) عن استعداده للمساعدة: "لن يكون من المستحيل، أن أقدِّم بعض الفائدة لهؤلاء الأشخاص، أعرف أحد موظفي الباشا، زد على ذلك أتنم تعرفون أن أوروبيا معروف قليلا له تأثير على القناصل."[4]

وُفِّق (دو نرفال) في الحصول على إذن لزيارة والدها في سجنه و دار بينهما حديث حكى فيه الشيخ عن الدروز والحاكم بأمر الله الفاطمي (1025 - 1045) مؤسس الديانة الدرزية نحو 1000م الذي هلك في كمين نصبته له أخته (ست الملك) التي تبيَّن لها خبله بعد أن رغب في الزواج منها وادّعى الألوهية أما أتباعه فقد هربوا إلى لبنان وسموا أنفسهم (جماعة الدروز)، لكن الشيخ يؤكد لـ (دي نرفال) أن الحاكم سيعود في نهاية القرن العشرين ليقيم ميزان العدل ويسرد عليه حادثة غريبة عاشها الخليفة الحاكم؛ وفيها أنَّ هذا الأخير رجع في أحد الأيام كعادته إلى قصره بقاربه على ظهر النيل وإذا به يكتشف أن احتفالا فخما يقام في غيابه؛ حدائق القصر مضاءة بمصابيح تشبه الأحجار الكريمة من ياقوت أحمر وسفير وزمرد معلَّقة في أشجار القصر، ألعاب الضوء، أحواض من رخام نبيل تقذف مياها معطَّرة بعطور نفيسة تجري في سواق ومجار، فناء من مرمر الهيصم مزخرف مزيَّن بأنواع الزهور، اقترب أكثر فإذا بأجواء شرقية لا تخرج عن قاعدة (ألف ليلة وليلة)؛ راقصات ترتدين ثيابا مذهلة تتماوجن كالثعابين وسط زرابي فارسية تحفها أضواء

---

[1]- نفسه. المجلد 02، ص:45(بتصرف).

[2]- «... Et son père aussi sans doute, c'est ce qu'ils appellent un akkal, un homme saint, un savant, et sa fille qu'il a instruite, a déjà le même titre parmi les siens : akkale - sit (femme spirituelle) (...) La pauvre enfant, ajouta madame Carles, J'ai fait ce que j'ai pu pour l'amener à devenir chrétienne, mais elle dit que sa religion c'est la même chose.»

نفسه. المجلد 02، ص:52.

[3] «Mon avenir se dessinait sur le fond lumineux de ce tableau : la femme idéale que chacun poursuit dans ses songes s'était réaliser pour moi : tout le reste était oublié.»

نفسه. المجلد03، ص:42.

[4]- «Il ne serait pas impossible, que je fusse de quelque utilité à ces personne, je connais un des employés du Pacha, de plus vous savez qu'un européen un peu connu a de l'influence sur les consuls.»

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:53.

تمنع تفويت أية حركة ووصيفات يحملن الفواكه المجمَّدة والمعاجن في أواني ذهبية ثمينة وأخرى فضية ملأى بالشراب المثلَّج.[1] دهشة الخليفة الكبيرة ترجمتها سلسلة من الأسئلة: من يجرأ على إقامة حفلة أثنا ء غيابي؟ من الضيف المجهول الذي يحتفل بقدومه في هذه الساعة؟ أليس من المفروض أن تكون هذه الحدائق خاوية وصامتة؟ يرفض الخليفة الحاكم تصديق فكرة أن يكون لعبة للهذيان أو الهلوسة فهو لم يتذوق أي مخدِّر كما يرفض أن يكون ضحية حلم أو سراب، لكن سرعان ما تحوَّل ذلك إلى قلق داخلي؛ فلا أحد يعيره أدنى انتباه وإن لمسهم بالكوع أو لمسوه، وأحسَّ أنَّه قد انتقل إلى روح شفافة تلك المرحلة التي يفقد فيها الإنسان حقيقته ويصبح شفافاً في عيون الآخرين فإن لم يكن ميتا فهو ليس حي حقاً، ويرمز الانتقال لروح لا ترى في الأساطير الشرقية إلى موت قريب[2].. وقد سبق للحاكم أن استشار النجوم في مرصده بالمقطم (Mokatam) عن نيته في الزواج من أخته[3] لكن الجواب كان نذير شؤم.[4] لم يقتنع (دو نرفال) بتلك الرواية لكن كل ما يهمه هي (سليمة) لذا أبحر من بيروت إلى سانت- جون داكر لمقابلة حاكم عكا وفعلا كلّلت محاولته بالنجاح وأُطلق سراح والد الفتاة وحدِّد موعد الخطوبة بين (دو نرفال) و(سليمة) لكنَّ مرضه أرغمه على مغادرة بيروت بسرعة والعودة عن طريق البحر إلى (Smyrne) ومن هناك إلى تركيا وهذا دون الجارية (زينب) التي تركها في المدرسة الفرنسية. بقي (دو نرفال) في اسطنبول حوالى الثلاثة أشهر (من 25 جويلية إلى 28 أكتوبر 1843)، وأقام هناك في ملتقى الأجانب: خان الشرق (Khan de l'étoile)[5]، ويؤثر كسابق عهده في القاهرة ارتداء زي البلد م تخذا هذه المرة مظهر الرجل التركي بطربوشه.[6] وسُرِمت إقامته في تركيا باحتفالات شهر رمضان التي اشترك فيها بحماس: "الحفلة التركية حفلة للجميع."[7]

وصف (دو نرفال) سهرات رمضان وكيف كانت تمر في تناول المأكولات والحلقات حول راو للأساطير الشعبية القديمة، وقد استطاع أن يجمع خلال هذا الشهر حكاية (ملكة سبأ وسليمان أمير الجان) التي خصَّها بقسم مهم من الجزء التركي : ليالي رمضان (Les Nuits du Ramazan) إلى جانب فصول عديدة تصويرية استعرض فيها حركة الشوارع في اسطنبول ومسرح الدمى المتحركة ومشاهد من نزهته الأوروبية إلى بيرا وزيارته لقصر الباشا... التقى أثناء نزهته الأوروبية إلى بيرا صديقه الرسام (كامي روجيه) فكان دليله في متاهات اسطنبول القديمة[8]، وبعد مشاركته في احتفال (البيرم) الذي يسم نهاية رمضان في تركيا أُجبر بسبب التعب ونقص المال على وضع حد لم كان في نظره (قلب الشرق) وأرغم على التديُّ من رفيق

---

[1]- أجواء شرقية يبدو أنّها لا تخرج عن قاعدة حكايات ألف ليلة وليلة.

[2]- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval - Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé, p:67.

[3]- لم تكن مثل هذه الزيجات ممن تربطهم قرابة الدم بين أعضاء العائلة الواحدة نادرة زمن الفراعنة المصريين.

[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p:69.

[5]- نفسه. المجلد 03، ص:19.

[6]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:98.

[7]- «Une fête turque est pour tout le monde.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient, T.03, p:87.

[8]- M. Tourneux: Gérard de Nerval prosateur et poète. L'Age du romantisme. 3ème livraison. Paris, 1887.P:10.

الرحلة والمستعد لمشاركته تكاليفها (جوزيف دو فونفريد).[1] يمّم (دو نرفال) عائدا رفقة (كامي روجيه) إلى فرنسا.. إلى الغرب بحراً عبر مالطا وإيطاليا، وكان في استطاعته العودة براً عبر بوخارست وصربيا وبلغراد وجبال الألب وفيينا وألمانيا ومن ثمة فرصة جديدة للاستكشاف لكنَّه سلك الطريق الأسرع والأكثر اقتصادا راضيا بنزهة في المياه الدافئة الآسيوية[2]: "والآن، أعود عبر اليونان وتريستا، أو فيينا وألمانيا؟ إنَّها مسألة وقت وقت ومال، والحال أنني منذ مغادرتي باريس، بدَّدت قليلا من هذا وذاك، برا وبحرا."[3]

يشكو إلى والده في رسالة يعود تاريخها إلى الخامس والعشرين (25) جويلية 1843 ضجره، فقد خضع قبل وصوله إلى اسطنبول لحجرين صحيين (La quarantaine)؛ الأول في لبنان والثاني في (Smyrne) لذا تفادى زيارة (Valachie)[4] خوفاً من قانون رومانيا العضوي الصارم الذي يتوعَّد أحد بنوده كل من يدخل إقليمها دون القيام بحجر صحي التحسُّب لاستخدام ه في الملاحة (أعمال شاقة)[5] بصفة دائمة[6]، لكرهٍ كان يجهل أنَّ حجرا صحيا ثالثا لمدة عشرة أيام كان ينتظره في مالطا.

كان (دو نرفال) رحَّالة من طراز خاص ما أهَّله للقيام بدراسات مميَّزة عن الشرق؛ اختلاطه بالناس، ذهابه للأسواق، جلوسه في المقاهي، نزهاته على ظهر الحمار، السير وراء النساء حتى لو كنَّ محجَّبات... وكأننا به يسير على خطى الأخوين غونكور [(جيل، ت 1870) – (إدمون، ت 1896)] في أنَّ المجتمع السفلي يحافظ أكثر من غيره على طبائع الأشياء والأشخاص واللغة، ويحكم من باشا (دالكر) كرجل رفيع التهذيب يحاول التصرف في القاهرة كما لو كان في لندن![7] لم يُرد (دو نرفال) أن يحذو حذو أولئك السيَّاح السيَّاح وخاصة الإنجليز منهم الذين يريدون رؤية كل شيء لكنَّهم لا يظهرون إلاَّ في الأماكن المناسبة، أراد تكوين فكرة كاملة عن مصر وليس فقط مصر الحضارة الفرعونية؛ مصر القديمة، مصر الأهرامات، مصر المتاحف.. لذا تخلى عن الرحلة التقليدية –التي قد أصبحت تقليدية منذ الحملة الفرنسية على مصر–[8] إلى الصعيد كما لم تحظ حمامات (كليوباترا) وعمود الصواري باهتمامه إيمانا منه بأن عادات المدن الحيَّة جديرة بالملاحظة أكثر من بقايا المدن الميتّة، لكن هوسه الأكبر كان عالم **الأساطير المصرية**، وللكاتب قصة حياة مثيرة ارتبطت ارتباطا وثيقا بها؛ فقدَ (جيرار دو نرفال) أمه وهو في عامه الثاني فظل الطفل البريء في منزل جده يلهو ويلعب بين شقيقات أمه، لكنَّه ومنذ اللحظة التي فهم فيه معنى وفاة أمه لم يكف عن بناء حلمه الهائل الذي ضم كل خطوات مصيره وبقي تحت سيطرة الإنسانة الغالية التي حرم منها إلى الأبد التي لم ير

---

[1]- لم يأت (دو نرفال) على معلومات تخص هذا الأخير لذلك فلا نعلم عنه شيئا.

[2]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:98.

[3]- «Maintenant, rentrai- je par la Grèce et Trieste, ou par Vienne et Allemagne? C'est une question de temps et d'argent, Or depuis mon départ de Paris, j'ai un peu gaspillé de l'un et de l'autre, sur terre et sur mer.»

جيرار دو نرفال: رحلة إلى الشرق(ثلاث أجزاء).القاهرة:المطبعة الوطنية، 1960م. ج 02، ص:936.

[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:134.

[5]- travaux forcés.

C F. IORGA, sur les voyageurs français dans les principautés à l'époque romantique, pp:515 - 610.

[6]- جيرار دو نرفال: رحلة إلى الشرق. ج 01، ص 952 / ج 02، ص:623(بتصرف).

[7]- Pierre Campion: Nerval une crise dans la pensée. Collection interférences, 1998, p:50.

[8]- د.سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دي نرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:60.

صورها قط ومعها كل ما تملكه من حلي وثياب، ضاعت أو سُرقت لا يدري. شعر (دو نرفال) بحرمان رهيب دفعه للبحث عن كل ما يمكن أن يقرِّبه من والدته التي يعلم فقط أنَّها كانت تشبه لوحة من لوحات (بودون) أو (جوانار) أطلق عليها اسم (التواضع)،[1] فكانت الأسطورة وكانت (رحلة إلى الشرق) التي دويت بسطور تذوَّقنا فيها إكسير الأساطير.. تحدَّث عن **عالم الأسرار** وقسمَّه إلى فصلين ؛ الرموز الأسطورية حيث حيوانات كثيرة مثل القط والكلب والصقر والعجل تفصح عن ألهة مصرية مثل أنوبيس واستت وحورس وابيس وغيرهم وإذا بجميع تلك الصور الفرعونية تحيا وتنبض تحت قلم (جيرار دى نرفال)، الغيبيات حيث يهيم في تناسخ الأرواح والسحر والشعوذة وقراءة الكف والكتشينة والأرقام والكواكب والتنجيم وتأثيرها في حياة الإنسان ، ويذكر في سياق ذلك أن الإسكندرية قد عرفت منذ العصور الوسطى أوائل المنجِّمين الذين كان يترجم عنهم وأن أهرامات الجيزة تحتوي على سراديب وعلى كل من يرغب في الوصول إلى معرفة أصل الوجود عليه أن يسير فيها إلى النهاية! اشتمل **تجارب العالم الآخر** على فصلين؛ تكلَّم في الأول عن الأديان وشغلت فكرة الانهيار إلى أعماق جهنم فصله الثاني، وتكوَّن **مذاهب خالدة** من ثلاثةفصول؛ عزف في الأول سيمفونية المكان والزمان وغزا في الثاني آفاق الأنوثة الخالدة وردَّد في الثالث ألوان الموت والخلود. اهتمامات نابعة من ضمير الكاتب وعقله الواعي وعقله الباطن منذ أن كان طفلا يتصفحَّ في مكتبة عم والدته[2] كتب الغيبيات المكدَّسة فوق الرفوف وتلك المتناثرة في مكتبات القرى البعيدة[3] ومنذ أن سيطر جو الغموض على عقله الباطن إذ كلما أراد معرفة معنى الله سبحانه وتعالى يصرِّح في كتابه (باندورا) كانت الإجابة: "الله هو الشمس!" ومنذ أن فقد حبيبته بسبب الخطيئة وقبلها أمه لكنه سيسعى إلى استرجاعه ما عبر سلسلة من التجارب الأليمة المليئة رعبا ويأسا عابر نهر المسارات ونهر الجحيم باتجاه اكتمال التجربة الصوفية مستسلما في النهاية لهذيان صوفي جاعلا من دأبه هذا دينا وليس حبا كما (نوفاليس)، دينا يتجاوب مع متطلبات عاطفته ويؤوِّله اللقاء بالعروس الروحية المثلى، وقد حدث أن اتهمه أحد الأصدقاء بعدم اعتناقه أي دين وإيمانه بالعدمية فنظر إليه (دو نرفال) بتعجب إذ كيف لا يعترق أي دين وله أكثر من سبعة عشر دينا؟![4] ونجده في (رحلة إلى الشرق) يوحِّد بين مذهب (علي بن أبي طالب) وبين الكاثوليكية تارة وبين أتباع (عمر بن الخطاب) وبين البروتستانت تارة أخرى ووصف القرآن الكريم في قصة (ملكة سبأ وسليمان أمير الجا ن) بـــ: "مرآة الحكمة ومنبع الحق"[5] وأنَّه لا يتعارض مع ما جاء به الإنجيل ويتنبأ بأن الفوارق بين الأديان سوف تذوب في يوم من الأيام، وإذا به يكتشف على جبال لبنان دينا يمزج بين الأديان والفلسفات لكنه قائم على قانون خاص لا يسمح لأي دخيل أن يعتنقه فللدرزي لابد أن يكون من أب درزي وأم درزية ومؤسس هذا الدين هو الخليفة (الحاكم

---

[1]- نفيسة عبد الفتاح شاش، جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص: 195 [823](بتصرف).
[2]- نفيسة عبد الفتاح شاش، جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص: 203 [831].
[3]- نفسه. ص: 196 [824](بتصرف).
[4]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص198 [826](بتصرف).
[5]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:271.

بأمر الله ابن العزيز بالله ابن المعز لدين الله الفاطمي) [1024- 1045] من الذين شيَّدوا مدينة القاهرة ويرجع أصله إلى السيِّدة (فاطمة) بنت الرسول-صلى الله عليه وسلم- عُرف بشذوذه وعدم تقبُّله للواقع[1] وتناوله يوميا لكميات كبيرة من القهوة مع الحشيش على ضفة النيل بعيداً عن نظر الناس[2]، ويعود بنا الكاتب إلى أزمنة بعيدة فيؤكِّد أن هذا الشخص كان يعيش في عهد آدم -عليه السلام- وكان يُعرف باسم (شاطنيب) وهو نفسه (شعيب) و(فيثاغورس) و(داوود) و(آلي عازر) و(سليمان الفارسي) وسوف يظهر في يوم من الأيام وللمرة الأخيرة باسم (المهدي البار).[3] يثق (دو نرفال) تماما في وجود عالم أخر لا ندركه وجاء في قصة (المرصة) على حوار دار بينه وبين ضابط ألماني عند سفح الهرم الأكبر فكان أن ألبس (موسى) عليه السلام ثوب فرعوني وشبَّه تجاربه بتلك القدماء الكهنة المصريين الذين كان عليهم المرور بصعاب كثيرة حتى يتخلَّصوا من الذنوب، ويسعى بطل قصة (الفارس) وهي أشهر قصص الكاتب الفرنسي (كازوت) إلى هذا المستوى من التطهُّر لكن ذلك لن يتم له إلاَّ بمشاهدة الآلهة (ايزيس) فيضطر لمواجهة الكثير من المخاطر حتى يصل إلى القصر الخالد لأمير الجان (الملك سليمان) فوق جبل قاف، وقد قسَّم (دو نرفال) مجموعة الجان تبعا للعناصر الموجودة في الكون إلى أربعة أنواع فمنهم من يسكن الجو (SYLPHES) ومنهم من يعيش في النار (SALAMANDRES) ومنهم من يحيا في الماء (ONDINS) ومنهم من يسكن الأرض (GNOME)،[4] ونستطيع أن نرى داخل الهرم الأكبر امرأة حسناء ضاحكة لكنَّها تذهب بعقل كل من يلتقي بها ويسكن الهرم المتوسط رجل عجوز أسمر اللون من أصل نوبي يحمل سلة فوق رأسه ويمسك بمبخرة في يده ويقف داخل الهرم الصغير شاب دون لحية عاريا تماما، وتتلقى هذه الجوان الثلاث الأوامر من الآلهة المهيمنة على الأرواح، ونجد مثل هذه المعاني عند الفراعنة الذين يؤكدون أن الإنسان مكوَّن من (الكا) و (البا) وطوال فتره حياته يظل سيِّدا لـــ (الكا) ولا تفترق عنه إلا بعد وفاته و (الكا) شبيهة بالشخص نفسه ولا يراها أحد أما (البا) فتتخذ لحظة موت الإنسان شكل حيوان أليف أو مفترس تبعاً لأعماله وهي التي كان قدماء المصريين يرسمونها على جدران معابدهم، ويروي (جيرار دو نرفال) في كتاب (أورليا) ما شاهده في بيت مهجور يعود لعم أمه المتوفى منذ زمن بعيد[5] وهناك استقبله عصفور ذكر له كل من عاشوا في هذا المكان وطواهم الموت ويعتقد الكاتب أن روح جدِّه هي التي كانت تحدِّثه وأنَّ كل الموتى يتقمصون صور حيوانات حتى يتمكنوا من زيارة الأرض دون أن يشعر بهم أحد ويزعم أن هذه الأرواح جاءت لتمضي فترة عقاب لابد لها أن تؤدِّيها في انتظار الصفح الذي سيسمح لها بالدخول من جديد في عالم الأحياء، أمَّا الموتى الذين لا تؤدَّى لهم المناسك اللازمة فتبقى روحهم قلقة وقد يغادرون قبورهم ليضروا بالبشر وتتضمَّن الكتابات الهيروغليفية على القبور والتوابيت والأحجار وأوراق البردي

---

[1]- الأستاذ الدكتور. حسان سعدي، من محاضرة لطلبة الماجستير. شعبة: أدب الرحلات (دورة أكتوبر 2003). مقياس: أدب الرحلة الغربي.
[2]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:202 [830](بتصرف).
[3]- نفيسة عبد الفتاح شاش، جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:202 [830](بتصرف).
[4]- نفسه. ص:203 [831](بتصرف).
[5]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:204 [832](بتصرف).

تعاويذ سحرية من شأنها أن تريح الروح في لحدها، وقد ألبس المهندس (آدونيرام) في قصة (ملكة سبأ وسليمان أمير الجان)[1] من ملامحه الشخصية وكان لهذا الإنسان المهاب والمهندس العملاق والخادم الأمين لسليمان الحكيم (1100 قبل المسيح)[2] القدرة على الاتصال بعالم الجن أثناء النوم وقد حدث أن تقابل مرة مع رجل مُسن يدعى

(طوبال قابيل) قال أنَّ جد البشرية ويعرف سر الحياة وخبايا العالم كله وقد أخبره أن الجان هي سلالة الفتى الشرير (قابيل) الذي قتل أخاه ووضع أول بذور الشر في الكون ولم يكن (قابيل) في الحقيقة ابن (آدم) ولكنه ابن (حواء) وحدها من أب آخر إذ زلَّت قدمها وارتكبت المعصية واقترنت بالشيطان وأنجبت منه هذا الفتى الشرير لذلك فـ (قابيل) هو ابن (إبليس) ومؤسس مملكة الجان. اقتنع (دو نرفال) بتلك الفكرة فالعالم في النهاية ليس إلاَّ حلقة مفرغة ويدور في دائرة خالدة يعود بعدها دائما إلى نفس نقطة البداية حتى عدد البشر الموجود على الأرض كما جاء على لسان شيخ الجبل في قصة (الخليفة الحاكم) لا يتغير على الإطلاق وعندما يموت الواحد يولد الآخر وهكذا تنتقل الروح من جسد إلى جسد آخر بطريقة تلقائية، واهتم بالأرقام اهتماما خاصا وكان دائم البحث عن قوانينها وأسرارها ومعانيها، وذكر في (أوريليا) أن لرقم (07) قوة خارقة وكذلك كل أضعافه وهو رقم الخلود عند قدماء المصريين ويحتوي على أسرار كونية رهيبة ومصر الفرعونية كان لها سبعة آلهة والسبب في عودة الحياة مرة ثانية إلى (أوزيريس) أن شقيقه الإله (ست) مزَّق جسده جهلا إلى سبعة (07) أجزاء ثم كل جزء إلى سبعة أخرى ويظل (جيرار دو نرفال) قريبا من هذه المعاني فـ (الخليفة الحاكم) لم يمت تحت تأثير ضربات الخنجر بل تبخر جسده من ملابسه ذلك لأنه كان يرتدي سبعة ثياب متطابقة وُجدت مقفلة تماماً في مكان وقوع الحادث ثم يشير إلى السموات والأراضي السبع في القرآن الكريم وحديث الصوفية عن الأسس الكونية السبعة: النجوم والشمس والقمر والغزو العد ني والنباتي والحيواني والإنساني وكيف أن المهندس (آدونيرام) في قصة (بحر النحاس) رأى الشمس تدور سبع مرات حول ا لأرض وعند الدورة السابعة انتهى من مهمته الشاقة[3]، أما الرقم (13) فيرمز حسب قانون الأرقام للدورة الزمنية فالعجلة دائرة دون توقف والحياة تنادي الموت والموت يتجه نحو الحياة وكل شيء يدور في خلود بديع ونجده في قصيدة آرتيميس (Artemis) من كتاب أماني وهمية (Les chimères) فكرة الفناء لأن الموت هو مجرد مرحلة يعود بعدها الإنسان إلى دنيا اللقاء والنور والسعادة ولحظتها سيدرك الإنسان مدى خطئ تمسُّكه بالحياة، وإذا بالوردة البنفسجية تطل من بين يدي القديسة النابوليتانية وإذا بصورة أمه تقترن بصورة القديسة (أرتيميس):

الثالثة عشرة قادمة.. إنَّها أيضا أول ساعة من ساعات اليوم

إنها دائما الأولى والأخيرة.. وهي أيضا اللحظة الوحيدة في لحظات النهار

---

[1]- نفسه. ص:204 [832](بتصرف).

[2]- الأستاذ الدكتور. حسان سعدي، محاضرة لطلبة الماجستير. شعبة: أدب الرحلات(دورة أكتوبر 2003). مقياس: أدب الرحلة الغربية.

[3]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:199 [827](بتصرف).

وأنت أيتها الآلهة هل تكونين الأولى أم الأخيرة؟
وأنت أيها الإله هل تكون العاشق الأول أم الأخير؟
أحبوا من أحبكم من المهد إلى اللحد
فالواحدة التي أحببتها لا تزال تحبني بصدق
إنها النومة الأبدية أو المرأة المتوفية.. يا للسعادة ويا للعبودية
فالوردة التي تحملها هي الوردة البنفسجية
هي رمز للقديسة النابوليتانية ذات الأيادي المشتعلة
هي الوردة البنفسجية ذات القلب المتفتح للقدسية
ولكن هل عثرت على الصليب الضال وسط السماوات الخاوية؟
اهبطي أيتها الزهور البيضاء! اهبطي! فأنت تسبين الآلهة،
اهبطي أيتها الأشباح البيضاء من وسط سماواتك المحرقة!
إنّ قديسة الهوة قد بدت أمام عيني أكثر قدسيّة![1]

يغلّف (دو نرفال) الموت في تركيا بحو احتفالي "الحقل الكبير للأموات."[2]؛ أصبحت فيه المقبرة مكانا للترهة تأتي إليه عائلات بأكملها لتناول الطعام في الهواء الطلق[3]، ولا شيء حزين ولا جنائزي بل هي حديقة مزينة بغطاء طبيعي وصناعي ينزع عنها كل صفة مأساوية والأطفال يصرخون صرخ السعادة حتى الكلاب يشتركون في الاحتفال وكأن الجميع يعبّر عن فرحته بانتقال أولئك الأموات إلى الجنة![4]، لكنّه يضيف: "عادة قديمة تعود إلى العصور القديمة."[5] وكان يرى أيضاً أنّ الموت في الشرق نوعين؛ فتحوُّل الشرق إلى أوروبي هو موت بلا علاج في حين يحفظ الشرق الذي طُمر تحت الرمل إشراقات الماضي سليمة على مر العصور: "ما يغلفه الرمل مؤمَّن بحياة أبدية. إجمالا إنّ الموت هو الذي يضمن ديمومة الماضي."[6]

إذاً، هل استعاد عقل (دو نرفال) المريض انسجامه مع العالم؟ هل استرد على هذه الأرض الرءوم ثقته بنفسه وبالحياة؟ هل عرفت أرض أبي الهول والأهرام وحورس وأوزيريس وأم تمثال إيزيس المحجَّب[7] كيف تخاطبه؟ سبقت أحلام (دو نرفال) التجربة الحقيقية لكن الواقع خذله؛ كتب إلى (تيوفيل غوتييه) في طريق العودة (1843) أنّه وفيما يخصه قد فقد أجمل نصف في الكون مملكة وإقليما وفي القريب العاجل لن يجد أين يخبئ أحلامه ولكنه لا يأسف إلا على مصر التي طردها من مخيّلته ليقيمها بطريقة كئيبة في ذكرياته

---

[1]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص ص:207 - 208 [835 - 836](بتصرف).
[2]- «Le grand champ des morts.»
نفسه. المجلد 03، ص:342.
3- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:197 [825](بتصرف).
[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:271.
[5]- «Une vieille coutume qui remonte à l'antiquité.»
نفسه. ص:284.
[6]- «Ce que le sable recouvrer est assuré d'une survie éternelle. En somme c'est la mort qui assure la permanence du passé.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p:294.
[7]- د.سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دي نيرفال في (رحلة إلى الشرق).مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات).بيروت :يونيو 1975م.ص:47.

أمَّا أنت فما زلت تؤمن بأبي منجل وزهرة اللوتس الشديدة الاحمرار وبالنيل الأصفر وشجرة النخيل ذات اللون الرمادي وبتين الهند وربما بالجمل ، واحسرتاه! لقد أصبح أبو منجل طائرا وحشيا وزهرة اللوتس بصلا سوقيا وأصبحت مياه النيل صهباء تلمع لمعان اللوح وصارت شجرة النخيل تشبه منفضة ريش نحيفة بينما لم يعد تين الهند إلا صبّارا ، أما الجمل فلا يو جد إلا على هيأة جمل وحيد السنام والعوالم أصبحن رجالا أما النساء الحقيقيات فيبدو أن الناس أصبحوا سعداء بعدم رؤيتهن ،[1] وكذا مدينة القاهرة، مسرح ألف ليلة وليلة[2]:

«Qu'espérer de ce labyrinthe confus, grand peut-être comme Paris ou Rome, de ces palais et de ces mosquées que l'on compte par Milliers? Tout cela a été splendide et merveilleux sans doute, mais trente générations y'ont passé; partout la pierre croule; et le bois pourrit. Il semble que l'on voyage en rêve dans une cité du passé, habitée seulement par des fantômes qui la peuplent sans l'animer.»[3]

كانت الإسكندرية قد خيَّبت أمله قبل ذلك بأبنيتها الأوروبية، فكتب يشكو إلى صديقه (جون جانين) يأسه[4]:

«L'orient n'approche pas de ce rêve éveillé que j'en avait fait il y a deux ans, ou bien c'est que cette orient là est encore plus loin ou plus haut, j'en ai assez de courir après la poésie; je crois qu'elle est à votre porte, et peut - être dans votre lit (…) Ô mon ami ! Ce n'est pas la fortune que je poursuis, c'est l'idéal, la couleur, la poésie, l'amour peut - être, et tout cela t'arrive à toi qui reste, en m'échappant à moi qui cours.»[5]

إنَّه يتلهف:

«Oh! Que je suis curieux d'aller voir à Paris le Caire de Philastre et Cambon[6].»[7]

يحاول التهدئة من روعه:

«Cette rêverie était tellement intense, que la réalisation n'y eut rien ajouté.»[8]

---

[1]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03. Chap.04. Fragment de correspondance, p:375(بتصرف).

[2]- د.أحمد عبد الرحيم مصطفى: عاشق الشرق بيير لوتي. مجلة عالم الفكر. الكويت: وزارة الإعلام. م 15، ع 01. ابريل - مايو - يونيو 1984م. ص:247.

3- "ماذا تأمل من هذه المتاهة الغامضة، كبيرة ربما مثل باريس أو روما، بقصورها ومساجدها التي تعدُّ بالآلاف؟ كل ذلك كان مشرقا ومثيرا للإعجاب دو ن شك، غير أن ثلاثون جيلا تعاقبوا عليها، تتداعى الحجارة في كل مكان؛ والخشب يتعفنّ. يبدو أننا نسافر بالحلم في حاضرة من الماضي، يسكنها فقط أشباح يعمرونها دون أن يحيوها."

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:356.

[4]-"لم يقترب الشرق من حلمي اليقظ منذ سنتين، أو لعل هذا الشرق ما زال أبعد أو أرفع، لقد تعبت من الجري وراء الشعرية؛ أعتقد أنَّها على عتبة بابك، وربما هي في سريرك."

Bernard Corteggiani: L'encyclopédie culturelle, p:127.

[5]- "آه، يا صديقي! ليست الثروة ما ألاحقه، إنَّه المثالي، اللون، الشعر، الحب ربما، وكل هذا يأتيك أنت الذي تبقى، ويفوتني أنا الذي أجري."

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:342.

[6]- ينتمي هذين الرسامين المزخرفين (فيلاستر) و(كومبون) إلى فرقة مسرحية نابهة الذكر وكلاهما كان تلميذا لـ (Ciccri).

نفسه. المجلد 03، ص:342.

[7]- "آه! كم أتطلع أن أرى في باريس قاهرة فيلاستر وكامبون."

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T0.3, p:343.

[8]- "كان هذا الحلم من الشدَّة لم يضف معه التحقيق شيئا."

نفسه. المجلد 03، ص:401.

كما أنّه يضيف:

«Je suis habitué à ne m'étonner de rien»[1]

يعود الكاتب المتوتر ليعترف في كتابه المتشدد: "غير أنني أعترف، لم يعد الشرق أرض المعجزات، ولا يظهر الموتى إلاّ نادرا ، منذ أن فقد الشمال جنياته ورشيقاته الغامضات."[2]

امتنع (دو نرفال) عن المجازفة في رحلة ثانية إلى سوريا وظن أنّ عليه رد المال الذي استلمه من الوزارة وهي: "المهمة التي لم يشعر أبدا بإمكانية إنجازه لها"[3] فصحته الذهنية السيِّئة جدا والتي كان على وعي بها لم تسعفه تسعفه لذلك، لكن ورغم عدم دفعه ثمن الباخرة في رحلته الأولى كذلك فقد نزع عنه كثير من النقاد صفة المهمة الرسمية: "لم يكن (دو نرفال) رحَّالة ثريا أو في مهمة رسمية ولكن كاتب اختلط بالجماهير وعرف كيف يعيد الواقع بسيطا."[4]

يقرر (دونرفال) وضع نهاية لكل متاعبه وأحزانه ووساوسه مرددا أنشودة لاسيداليز (Les sydalises):

أين أحباءنا إنهنَّ في السماء

إنهنَّ في أسعد حال في حياة بها الهناء

تراءى لـ (دو نرفال) على فترات متباعدة شبح أخذ يهرب منه بعد أن أدرك أنهَّ يضعه على حافة الهاوية، وإذا به يتشبه في أماني وهمي (Les chimères) بإبليس وقد أصابته اللعنة التي لا رجعة فيها، كان ذلك شبح الجنون الكئيب يترقبه ويقترب منه و لم يخطئ الإدراك فذات ليلة لم يعد إلى منزله ورد على صديق سأله: "أحدهم، يدعى بول، أراد مرافقتي إلى منزلي؛ لكنني قلت له أنني لن أعود. إلى أين تهم؟ إلى الشرق!"[5] أخذ يسير وراء نجمة مختارة وهو يغني ويخلع ملابسه ويبعثرها من حوله إلى أن أمسكت به إحدى الدوريات وقادته إلى مصحة الدكتور (بلانش) العقلية، أمضى هناك ثمانية أشهر وصفها بالتجربة الشعرية[6] أراد بعدها أن يتجرد شمس الشرق المشرقة التي حلم بها في شبابه ومقاومة رتابة الحياة وما يفرضه المجتمع من عادات وواجبات وأن يواجه -وهذا أهم ما في الموضوع- الجنون ويخوض معه معركة حاسمة على أرض الشرق ويثبت لنفسه وللآخرين أنهَّ لم يكن سوى ضحية حادث عابر وأنَّه في مصحة للعقلاء والناس في الخارج كلهم مجانين! ومن الصدف التاريخية والجغرافية الطريفة أنَّنا حين نطالع خريطة الإدريسي التي وضعها سنة 560م نلاحظ أنه كان يتأمل فيها العالم من مقعد يستقر في أوروبا ويبدو أنَّ (جيرار دو نرفال) ينتمي إلى

---

1 -"اعتدت على أن لا ندهش لشيء."

Gérard de Nerval: Promenades et souvenirs - le Chareau de saint- Germain, p:58.

2- «Pourtant, j'en conviens, l'orient n'est plus la terre des prodiges, et les péris n'apparaissent guère, depuis que le nord a perdues fées et ses sylphides brumeuse.»

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:349.

3- Delvan Alfred: Gérard de Nerval - Sa vie et ses œuvres, p:114.

4- «Nerval, qui n'était pas un voyageur opulent ou officiel, mais un écrivain mêlé à la foule, a su en restituer la réalité toute simple."

http://www.L'Egypte hallucinée de Gérard de Nerval - Afrik.com : l'actualité ...

5- «L'un d'eux, nommé Paul, voulut me reconduire chez moi; mais je luis dis que je ne rentrais pas. Où ramperas-tu? Vers l'orient !»

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:23.

6- Gérard de Nerval: Aurélia, p:91.

مدرسة الإدريسي لكنَّه وإن قام بتعديل مقعده اتجاه الشرق يلتمس العزاء فإن شمس الصباح لم تحن عليه بوعدها وحماستها وصلابة حضورها:"لم يعد الشرق بالنسبة لي سوى حلما من أحلام الصباح التي تتبعها

سريعا متاعب النهار."[1]

اضطر أن يعيد مقعده نحو الغرب ليعتليه في النهاية بعد رحلته بأوبع سنوات: "لا تنتظروني هذا المساء، لأن الليلة ستكون سوداء وبيضاء."[2]

اختار المكان فكان مفترق إحدى الطرق الباريسية على شكل صولجان ربما كان صولجان (ايزيس) بجوار شباك عتيق طالما تردد عليه طائر كان يذكِّره دائما بهدهد (ملكة سبأ) أو بطائر (العنقاء) الذي يموت ليحيى بعد فترة من الزمن في كامل شبابه وجماله، ويصف (بودلير) ذلك المكان فيقول: "شارع الفانوس القديم، في الزاوية الأكثر قذارة التي أمكنه إيجادها، أين سيأخذ بتواضع عطلة على حافة حبل لعله يكون نطاق ملكة سبأ."[3] يختار الزمان فيكون ليلة السادس والعشرين (26) جانفي أي 13 × 2 !

لكرهِّ انتبه إلى أنَّه ضلَّ طريق رحلة حياته: "كان بالفعل هو، هذا الأخ السري، الذي يبتعد شيئا فشيئا عن روحي ويحذرني بلا جدوى! هذا القرين المفضَّل، ملك المجد هذا، هو من يقاضيني ويحكم علي."[4] إنَّ النور الذي كان يسعى إليه لم يكن سوى نور الإيمان الصادق ونور الأرض الأكثر ارتفاعا وسموا لا يساوي شيئا بجوار نور الله:

ٹ ٹ

بسم الله الرحمن الرحيم

چ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح چ[5]

صدق الله العظيم

كان الدكتور (عبد الله بن أحمد الغامدي) قد خلص في ورقته (رحلة إلى الشرق لجيرار دو نرفال - المرأة المصرية نموذجاً) ضمن فعاليات منتدى نادي جدة الأدبي الأسبوعي ، إلى أنَّ رحلة هذا الأخير الاستشراقية المشوِّقة تنتهي عند الرحلة التقليدية المثقلة بالرؤية الغربية المكرَّسة عن الشرق وأسلوبها الذي

---

[1]- «Et déjà l'orient n'est plus pour moi qu'un de ces rêve du matin aux quels viennent bientôt succéder les ennuis du jour.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:363.

[2]- «Ne m'attend pas ce soir, car la nuit sera noir et blanche.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:173.

[3]- «Rue la vieille lanterne dans le coin le plus sordide qu'il ait pu trouver, ou il va modestement prendre congé au bord d'un corde qui est peut - être la ceinture de la reine de Saba.»
http://books.google.fr/books

[4]- «C'était bien lui, ce frère mystique, qui s'éloignait de plus en plus de mon âme et qui m'avertissait en vain! Cet époux préféré, ce roi de gloire, c'est lui qui me juge et me condamne.»
Gérard de Nerval: Aurélia, p:229.

[5]- سورة النور، آية[35].

يسهدي بأدبيات ألف ليلة وليلة [1]، أمَّا (ثليجة ياسرى) فترى أن (دو نرفال) لعب دور الرائد المجدِّد وولج منطقة محايدة بين الميل إلى الغربة عند الرومانسيين والفترات الأدبية التالية؛ فتحدث في رحلته عن العالم اللا مرئي قبل (رامبوه)، وسبق (شارل ديديه) في الحديث عن ليالي القاهرة ، واهتم قبل (موريس باديس) بالأسرار الخافية.[2]

افتتح (دو نرفال) سفره سنة 1840، أي قبل رحلته الشرقية، ليتمَّه سنة 1851 والله ى في تجربة **(Vita nuova)** عند مفهوم الشرق الرمز: "هذا القطب بداخلنا نحن أنفسنا هو الشرق الرمز"[3] وكان اللحاق بعالم ما بين إثنين ، والذي كانت (أوريليا) الوصف الأمين له . يذكر أنَّ الآلهة (ايزيس) التي أطلق عليها الفراعنة اسم (الآلهة الأم)[4]، قد تجسدَّت له في الحلم وأخبرت أنها (مريم) وهي كذلك والدته وكل امرأة عشقها ولم يلمس هذا الطيف الجميل خشية فقدانه . ولعل ذلك أقرب إلى حب أفلاطوني: "الشرق نحو إيزيس"[5] أو ربما اشتياق أوديبي فرويدي للشرق الأم! لكن عندما تصبح الإزعاجات غير محتملة لا يبقى للشاعر سوى تجاوز الشرق الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة) والبحث عن معرفة باطنية قائمة على استنارة داخلية عبر التأمل الحق وهو ما يمكن أن يفهم تحدياً للسرياليين، والكلمة في نهاية الأمر سراب ذهني متجدِّد كما يقول أحد المفكرين المعاصرين [6]؛ تمزج بين اللفظ المنطوق والمعنى الدفين ومداه الغيبي وعلاقته بالعالم الخفي، وكان (دو نرفال) قد أخذ معه آلة تصوير (داغيريوتيب) لكنَّه نادرا ما استعملها لتفسخ المواد الكيماوية من الحرارة[7] ومع ذلك استثمرت تلك التجربة في الأدب واعتُبِر لذلك رائدا في عالم صور الهواة.

2. المستوى الفني:

أسلوب الرحلة:

صاغ (دو نرفال) رحلته صياغة فنية ميَّزتها عن تلك لـــ شاتوبريان ولامارتين وفلوبير مع حفظ الألقاب، عرضها (دو نرفال) في مستويين كالتالي:

مستوى سلبي ، يكتفي (دو نرفال) بوصف حيادي للتفاصيل الشرقية التي كان يعدِّدها بلطف لمغنيين ومصارعين ولاعبي خفة وبالعي سيوف ومروِّضي قرود ومطوِّعي ثعابين واستعراضات الدمى المتحركة والراقصات في المقاهي[8] وأصوات وضجيج وتصفير وعواء وأجراس صغيرة وعطور وأشباح...[9] مستخدما إيقاع وصف سريع بجعلنا نحس أنَّنا نحضر فلما وثائقيا، فيجوز مثلا في الجزء المصري النشاط والحيوية الدائمتان اللتان تميِّزان حي الموسكي و الحركة التي تحيي كل الأشياء في العالم بما فيها تلك التي

---

1 - http://www.paldf.net/forum/showthread.php

[2]- ثليجة ياسري: رحلة في الشرق لجيرار دو نرفال - تأليف وتراجم عن الشرق. دبلوم الدراسات المعمّقة، جامعة الجزائر، جوان 1980م. ص:66(بتصرف).

[3]- «Et ce pole au - dedans de nous- même qui est l'orient symbolique.»
Gérard de Nerval, Aurélia, p:173.

[4]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:195 [823](بتصرف).

[5]- «L'orient vers Isis»
Aristide Marie: Gérard de Nerval - Le poète et l'homme, p:124.

[6]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص200 [828](بتصرف).

[7]- Léon Cellier: Gérard de Nerval l'homme et l'œuvre, p:95.

[8]- رجال متنكرون في زى امرأة.

[9]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, pp:53 - 70(بتصرف).

تبدو في الظاهر جامدة وبلا حياة عن طريق جمل قصيرة واقتراحات عرض كثيرة ومميزة وأفعال في الحاضر البياني (الدلالي) وأسماء كثيرة توحي بكثرة الجماهير واختيار أفعال موجزة معبرة نحو: rugir, lutter... يختصر (تيوفيل غوتييه) عمله بـــ: "الكتاب الخلاَّب الذي يملأه الحب واللازورد والنور."[1]

مستوى أكثر ذاتية ، فنجد **(دو نرفال) الراوي، و(دو نرفال) الشاعر، و(دو نرفال) الحزين، و(دو نرفال) الفضولي، و(دو نرفال) المكتشف**، ويعرف هذا الكاتب كيف يغيب عناصر السرد بحيث يصعب التمييز بين ما قرأه وما رآه ، أما وسيلته المفضَّلة إلى ذلك فكانت الحديث على لسان إحدى الشخصيات كأن يترك قارئه يعتقد مثلا أن الشيخ (أبو خالد) أو (الشيخ الدرزي) هما الراويان الحقيقيان، وإذا به يفاجئنا بقصص شبيهة بتلك التي نقرأها في القصص البوليسية: " تبرز أسطورة الخليفة الحاكم وقصة بلقيس وسليمان إلى أي مدى تشبَّع (جيرار دو نرفال) من الروح الخفيَّة والعميقة لهذه الروايات الغريبة حيث كل كلمة هي رمز."[2]

لم يعتمد (دو نرفال) على الذكريات وحدها فقد كانت له قراءات قبل الرحلة وبعد العودة إلى فرنسا وحتى تاريخ نشر العمل وإن رجع إلى الكتب تقول الدكتورة (سامية أحمد سعيد) فلكي يختار منها[3]؛ نجده يقتبس تفاصيل من كتاب القنصل الإنجليزي (وليام لين): (وصف طبائع المصريين المحدثين وعاداتهم) في نسيج وصفه، فعل ذلك مثلا في فصل: (عرس على ضوء المشاعل) والآخر المسمى: (قافلة مكة)[4]، وزوَّده كتاب (Herbelot): (Bibliothèque Oriental ou dictionnaire universel) بكثير من المعلومات عن الشرق وشعوبه بصفة عامة[5]، الجزء الثاني من (فاوست) للأديب الألماني (غوتييه)[6]، إضافة إلى قرائته (Les memorablia) لـــ (Swedenborg)، وبعض صفحات جذَّابة من مذكرات البندقي (كارلو كوزي)، ورسائل (أوبيسيني) ومعلوماته المفيدة، ديوان الشرقيات (Les orientales) لـــ (فكتور هيغو)، صفحات من كتب المستشرق (فاتييه)، (رحلة إلى اليونان) لـ (ديمو ستيفانور)[7]، ويضع (دو نرفال) نفسه باختياره في موقف أولئك الأبطال الفعَّالين الطامحين الذين يريدون بأي ثمن أن يخلقوا حولهم الإثارة أي بكلمة واحدة الفعل.. (دو نرفال) الفاعل: "لا أطلب من الله تغيير الأحداث، ولكن تغييري بالنسبة للأشياء؛ أن يدع لي القدرة على خلق عالم من حولي يخصني، أن أوجِّه حلمي السرمدي بدلا من مكابدته، حينئذ صحيح سأكون إلها."[8]

---

[1]- J.M Carre: Voyageur et écrivain français en Egypte. [02vols].Imprimerie de I.F.A.O. vol O2, p:93.

[2]- «La légende du calife Hakem, l'histoire de Balkis et de Salomon montre à quel point Gérard de Nerval s'était pénétré de l'esprit mystérieux et profond de ces récits étranges ou chaque mot est un symbole.»
http://L'encyclopédie de L'agora.qc.ca/

[3]- د.سامية أحمد سعيد: مع الشاعر جيرار دي نيرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:61.

[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03. Chap.04. Fragment de correspondance.

5- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:14.

[6]- Raymond Jean: Nerval par luis même, p:184.

[7]- Castellan: Lettres sur la Morée, Herbert de molain ville, bibliothèque orientale, p:100.

[8]- «Je ne demande pas à dieu de changer aux évènements, mais de me changer relativement aux choses; de me laisse le pouvoir de créer autour de moi un univers qui m'appartienne, de diriger mon rêve éternel au lieu de le subir, alors il est vrai, je serais dieu.»
http://www.hku.hk/french/dcmScreen/lang3035/lang3035_nerval.htm

جعل رحلته تبدو مثل قصة حياة، حياته هو؛ فكان يحس أنَّه عاش قبل الآن في هذه الزخرفة محتفظا بخدعة الحلم التي تقترب من المسرح وإن كانت تتفوَّق عليه أحيانا لأن الخشبة ليست هنا لتجعلنا دائمي اليقظة: حذار نحن في المسرح وليست الحقيقة أبدا! يجنح عن الصرامة تارة ليعود إليها تارة أخرى وكأنَّما به يسير مختالا بحذاء قواعد هذا الفن لا على دربه[1]، يترك ذهن قارئه يتجوَّل في ساحات القصور الغنّاء البرَّاقة بأنوار الشمع وضياء المصابيح ونبض قلبه حين يرتفع الستار عن أعماق الكرة الأرضية حيث مملكة الجان[2]، ليستمر في عرض تجاربه السريالية عبر (أوريليا) حيث الحدود غير الأكيدة بين الحلم والحقيقة
(Épanchement du songe dans la vie réelle):

"هل يلام نرفال على قيامه بعمل فنِّي في الرحلة، كما في أوريليا؟ تبدو الإجابة بديهية كفاية ..."[3] حاول (دو نرفال) أن يجمع بين الواقع والخيال والخير والشر والمقدَّس والمدنَّس والسماوي والدنيوي والفردوس والجحيم والحياة والموت لذا قرَّر أن يقتحم عالم الأساطير.. أليست الأسطورة في حد ذاتها التحطيم الأسمى للواقع؟[4] وتشبه يقول (مشيل تورنيه): "الطوابق المهرَّبة تحت كنف وإدارة مشاعر النفس البشرية"[5]، وكأنَّنا وكأنَّنا به يريد خلق ما يشبه القناعة الخرافية في نفس قارئه[6] من خلال ارتياد شعري ميتافيزقي! لكن بعض النقاد راحوا يشككون في قيامه بتلك الرحلة ويرون أنَّه عندما أصيب بخيبة أمل وذكرياته المبهمة تعده بشرق أكثر سحرا ابتكر شرقا يزعم فيه أنه السيِّد أو الملك.[7] لقد وصل (دو نرفال) إلى الشرق في ثوب الصحافي[8] وبعد عودته خلق عملاً فنياً استغرق منه سبع سنوات؛ من جريدة وصفية إلى إبداع واقع معدَّل، لكننا نحار في أيِّ خانة نصنِّف عمله وفي أيِّ باب ندخله حيث كان عدم الترتيب ميزته، ولعل إحباطه جعله يبحث عن إلهام جديد لعبقريته الأدبية، يشعر أحيانا بحاجته إلى تعريف أولي لعمله فيقول في خاتمة تمزج بين إخلاص الشاعر الداخلي الغير منازع فيه ونصف الحقيقة[9]: "ماذا أقول لك أيضا، يا صديقي؟ ما الفائدة التي يمكن أن تجدها في هذه الرسائل المصدومة، المبعثرة، ضُمَّت إلى مقاطع من دفاتر سفر ، وتأملات بالصدفة. هذه الفوضى نفسها هي ضمان إخلاصي؛ ما كتبته، رأيته، أحسست به، وأرجعت هكذا ببساطة ألف حادثة دقيقة، يستخف بها عادة في الرحلات العلمية."[10]

---

[1]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. ص:85.
[2]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:195[823].
[3]- «Reprochera- t- on à Nerval d'avoir fait une œuvre d'art dans le voyage, comme dans Aurélia? La repense semble assez évidente... »
Jean Richer: Nerval - expérience et création. Thèse de doctorat, Saba. Erythrea. Chap.05, p:98.
[4]- Michel Décaudin: Deux aspects du mythe au vingtième siècle. Paris, 1970, p:226.
[5]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:195[823].
[6]- تقترب تلك الطريقة يقول الهكتور (حسام الخطيب) في كتاب (جوانب من الأدب والنقد في الغرب). ط 7. ص:66 من تلك لـ (فكتور هيغو).
[7]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:08.
[8]- Raymonde Jean: Nerval par lui - même, p:185.
[9]- Aristide Marie: Gérard de Nerval - Le poète et l'homme, p:83.
[10]- «Que te dirai- je encore, mon ami ? Quel intérêt auras- tu trouvé dans ces lettres heurtées, diffuses, mêlées à des fragments de journal de voyage, et à des recueillies au hasard. Ce désordre même est le garant de ma sincérité; ce que j'ai écrit, je l'ai vu, je l'ai senti, et-je eu tout rapporté ainsi naïvement mille incidents minutieux, dédaignés d'ordinaire dans les voyages scientifiques. »
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:371.

لم يخلو أسلوبه من الفكاهة، وهيمن على سرده التكرار و لم تمنعه المقارنات التاريخية والأدبية الشائقة من الكتابة بأسلوب رفيع سواء من الناحية العلمية أو الأدبية، في صوت سردي هو (أنا)[1]، وكلمات محكمة تخفي ما بداخل نفسه الشقيّ[2] من أسرار دفينة وصراعات مؤلمة[3] دارت تفاصيلها داخل غوامض النفس[4] لمن يحل رسائل حلم كبير: "أقطع هنا خط سيري، أقصد هذا العرض يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة، لانطباعات محلية، والتي ليس لها سوى فضل الحقيقة الدقيقة."[5]

مسار الزمان والمكان:

وجد (دو نرفال) في مصر بغموضها المكان المناسب لتمثّل رمزي فانجذب نحو حرية شاملة للمكان والزمان، ولعل فهمه للزمن يقترب من بعض مفاهيم (بروست) الخيالية، ففي لوحته الكبيرة عن مصر مثلا بدأها بمغامرة لحضور حفل زفاف في القاهرة (الليلة الأولى) وأنهاها بحضور حفل ختان (الليلة الأخيرة)، وقد لا تكون الأحداث بهذا الترتيب وإنما أراد البدء بلوحة بداية تفتح النفس على الشرق ويختم بلوحة نهاية بما يشجيه لترك القاهرة وهما تؤكد الدكتورة (سامية أحمد أسعد): "لوحتان نادرتان لم ولن نعد نراهما بعد ذلك"[6]، وظل (دو نرفال) ذلك الشاعر الذي يصبغ ما يراه بلون حالته النفسية حيث المناظر الطبيعية حالة نفسية والشرق خيط شعري ؛ فإن كان سعيدا رأى في كل شيء الجمال والروعة وإن تخبّ ط في أحلامه القلقة انتابه الحزن وأكثر ما انعكس ذلك في وصفه للطبيعة؛ وصف ذات يوم شروق الشمس على القاهرة وصفا حزينا فصوت التركي الذي يعلو من المئذنة المجاورة والجمل بهرولته الثقيلة يحرّك الجرس الصغير والفجر العجول يرسم بضوئه على السقف آلاف الشقوق من بصيص النوافذ المتقاطعة والصفير المبهم الذي يجري في الهواء والخشب والجدران ونسيم محمَّل بشذى مفعم يرفع ستار الباب فيلمح فوق سور الفناء رؤوس النخيل المتموِّجة، كل ذلك يأخذه يسحره يطربه أو يشجيه حسب الأيام[7] وكأنَّا به يقول إنَّ صيفا خالدا لا يصنع حياة سعيدة إلى الأبد لأن شمس الحزن السوداء تطلع أيضا على سهول وادي النيل المضيء كما كانت تفعل على ضفاف نهر الراين في منظر ألماني بارد لكن تعود مصر: "سيِّدة الحقائق التي يلتقي عندها سيِّد البحار بسيِّد الأنهار"[8] لتكون كذلك بعد نزهة في حدائق الروضة و شبرا وتناول وجبة سريعة من أعلى هرم (شيوبس) وصعوده إلى القلعة حيث المدينة العربية القديمة تمتد تحت ناظريه في منظر من أجمل المناظر التي رآها في العالم ؛ سيمفونية رائعة من الأشكال والألوان، مصر كلها ماثلة فيها بجوامعها ونخيلها ونيلها وآثارها العربية والفرعونية وشمسها وصحرائها...

---

[1]- د.سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دى نرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:66.

[2]- نفسه. ص ص:85- 86.

[3]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصرية. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص:195 [823].

[4]- د. دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14. ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:86.

[5]- «J'interrompe ici mon itinéraire, je veux dire ce relevé jour par jour; heure par heure, d'impression locale, qui n'ont de mérite qu'une minutieuse réalité.»

Gérard de Nerval: Voyage en orient. Fragment de correspondance. T.03. Chap.04, p:492.

[6]- د.سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دي نرفال في رحلة إلى الشرق. مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:59.

[7]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p :69(بتصرف).

[8]- سحر سامي: المحطة الأخيرة - مكان في القلب. جريدة الأهرام العربي، ع 387. السبت 05 رجب 1424هـ الموافق لـ 21 أغسطس 2004م.

الفصل الثالث

دراسة موازنة

شاتوبريان

1. صور توبوغرافية

القدس

2. صور بشرية

لامارتين

1. صور توبوغرافية

القدس

2. صور بشرية

جيرار دو نرفال

1. صور توبوغرافية

القاهرة

لبنان

2. صور بشرية

غوستاف فلوبير

1. صور توبوغرافية

النيل

الصحراء

لبنان

2. صور بشرية

نحاول الموازنة بين تلك الرحلات كنص وكاتب وبلد وعصر[1] عبر مستويين هما:

صور توبوغرافية (من أحياء ومعالم دينية ومناظر طبيعة).

صور بشرية (عن الشرقي والمرأة الشرقية).

شاتوبريان:

تكلَّم (شاتوبريان) في دربه عن المسيحية والحب والشغف والرغبة والطبيعة والأطلال والغريب والحلم والكآبة والوحدة والحزن وغيرها...

1. صور توبوغرافية:

القدس:

احتلت القدس الجزئين الرابع والخامس من درب (شاتوبريان)، لمحها فهتف : "إنَّها هي ! كانت تتراوح بين الأصفر الغامق والباهت، على مدى زرقة السماء، وسواد جبل الزيتون."[2]

لم يبق من أورشليم التي ذاقت طعم الحديد والنار سبع عشرة مرة (17) إلاَّ بقيَّة من معالم مسيحية : "يشبه هذا الخيال السابع عشر للقدس الأولى قدس الأتراك، سنقوم الآن بتفحُّص ذلك ."[3] مساكنها وبيوتها ذات أحجام ثقيلة لا مداخن لها ولا نوافذ تنتهي بسقف مسطَّح أو قباب، يشبهِّها بالسجون أو الأضرحة لولا أجراس الكنائس، ولا نسمع في صحراء القدس سوى: "عدو فرسان الصحراء: إنَّه الإنكشاري الذي يحمل رأس البدوي، أو سينهب الفلاح."[4]

خلع (شاتوبريان) عن القدس مظاهر السعادة والرخاء ووضع عليها ثوبا حزينا يبعث على الشفقة؛ هي القدس سيِّدة الأمم «la Reine des rites»[5] صارت أرملة، ملكة كانت في علاها صارت وضيعة في ثراها، والمسلمون هم السبب، لقد دمَّروها وخرَّبوها وحرقوها وذبحوا رجالها ورهبانها وشرَّدوا أطفالها وتركوها ذبيحة تبكي أمجادها، جاء على لسان أحدهم:

"ابكي يا قدس، ابكي؛ مدينة غادرة.

رُسلا سماويين ومجازر تعيسة."[6]

تستنجد القدس اليوم بالفرنسيين-طبعا- ولا عجب فهم أسياد المدينة: "الفرنسيون هم أسياد القدس."[7]

---

[1]- د. الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوّره ومناهجه. ص:52.

[2]- «C'était elle! Elle se détachait en jaune sombre et mat, sur le fond bleu du firmament, et sur le fond noir du mont des oliviers.»

François- Auguste. René de Chateaubriand. Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris. T.04, p:12.

[3]- «Comme Jérusalem des Turcs, cette dix- septième ombre de Jérusalem primitive, nous allons maintenant examiner.»

نفسه. المجلد 04، ص:307.

[4]- «Le Galope de la cavale du désert: c'est le Janissaire qui apporte la tête du Bédouine, ou qui va piller le Fellah.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[5]- نفسه.

[6] «Pleur Jérusalem, pleur; cité perfide.

Des prophètes divins malheureux homicides.»

نفسه.

[7]- «Les Français sont les maîtres de Jérusalem.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

يبقى رغم هذا الخراب وهاته المآسي جماعة من رجال الدين المسيحيين لا المعاملة ولا التهديد ولا الجوع ولا العري يبعدهم عن ضريح المسيح، أناشيدهم عند مقامه ليل نهار، ثغورهم باسمة، يستقبلون الغرباء بفرح، ويجد عندهم الأتراك والعرب والإغريق على اختلاف أديانهم الحماية، وتحافظ طبيعة القدس بشواطئ ذات رمال ذهبية لازوردية وجبال وسهول وبحيرات وغابات، وعاد به (نهر الأردن) إلى: "مسرح معجزات ديانتي."[1]

يأتي (شاتوبريان) في مقدِّمة حجَّاج الصحراء العربية، ويقارن بعينه الأمريكية الدائمة الحضور : "متوارية في أقاصي الغرب، في ناحية محايدة من الكون، يسكن الكندي وديانا مظللة بغابات خالدة، ومروية من وديان كبيرة؛ العربي، كي نقول بعد ذلك، ملقى على درب العالم الكبير، بين أفريقيا وآسيا، تائه في أقاليم الفجر المشرقة، على أرض بلا أشجار ولا ماء." [2]كانت قدسا موحشة (Jérusalem désolée): "الله نفسه تكلَّم على حوافها، السيول الناشفة، الصخور المتشققة، القبور المواربة تشهد على المعجزة؛ لا تزال الصحراء تبدو صامتة من الهلع، ويقال إنَّها لا تتجرأ على قطع الصمت منذ أن سمعت الصوت السرمدي."[3] ويروي: "وفقا "وفقا للوصية القديمة، بعد تدمير سدوم، لجأ الناجون الثلاث، لوط وابنتيه إلى الجبل . لضمان خلف، جعلته الفتاتان يثمل، وعند غيابه عن وعيه اجتمعتا به. أنجبتا البكر معاب، الأب الأصلي للمعابيين، والأصغر بن آمي، سلف بني آمون، أو الآمونيين ."[4] ويسترسل مؤكدا: "مثل هذه الأماكن الشهيرة بمباركات أو لعنات السماء (...) من جانب الجزيرة العربية، إنَّها على العكس صخور رأسية سوداء، التي تنشر من بعيد ظلالها على مياه البحر الميت، الطير الأكثر صغرا لا يجد في هذه الصخور قشة عشب كي يتغذى؛ كل شيء ينبئ عن زوال شعب مغضوب عليه، كل شيء يبدو أنَّه تنفَّس الرعب وارتكاب المحارم حيث خرج آمون ومعاب."[5]

---

[1]- «Le théâtre des miracles de ma religion»

نفسه.

[2]- «Caché aux extrémités de l'occident, dans un canton détourné de l'univers, le canadien habite des vallées ombragées par des forets éternelles, et arrosées par des fleuves immenses; l'Arabe, pour ainsi dire, jeté sur le grand chemin du monde, entre l'Afrique et l'Asie, erré dans les brillantes régions de l'aurore, sur un sol sans arbres et sans eau.»

نفسه.

[3]- «Dieu même a parlé sur ces bords, les torrents desséchés, Les rochers fendus, les tombeaux entrouverts attestent le prodige; le désert paraît encore meut de terreur, et l'on dirait qu'il n'a osé rompre le silence depuis qu'il a entendu la voix de l'éternel.»

نفسه.

[4]- «Selon l'ancien testament, après la destruction de Sodome, les trois survivant, Loth et ses deux filles se réfugièrent dans la montagne. Pour s'assurer une descendance, les deux filles le firent boire, et à son insu s'unirent à lui. Elles enfantèrent l'aîné Moab, père éponyme de Moabites, la cadette Ben- Ammi, ancêtre des Béni Ammon, ou Ammonites.»

نفسه.

[5]- «Tels sont ces lieux fameux par les bénédictions et par les malédictions du ciel (...) Du coté de l'Arabie, ce sont au contraire de noirs rochers à pic, qui répandent au loin leur ombre sur les eaux de la mer morte. Le plus petit oiseau du ciel ne trouverait pas dans ces rochers un brin d'herbe pour se nourrir; tout y annonce la partie d'un peuple réprouvé, tout semble y respirer l'horreur et l'inceste d'où sortirent Ammon et Moab.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

2. صور بشرية:

انطبعت صور رحلته الأمريكية في ذاكرته و لم يستطع محوها؛ رأى أنَّ القدس بلد يسكنه أقوام حالهم كحال الهنود: "بكلمة واحدة، كل شيء ينبئ عند الأمريكي إلى المتوحش الذي لم يصل بعد إلى حالة التوحش، كل شيء يشير عند العربي إلى الإنسان المتحضر الذي وقع في حالة التوحش."[1]

القدس اليوم معزولة عن الدنيا بعيدة عن الباب العالي في يد حاكم طاغية يطبِّق عدالة الإسلام على من يتمرد عليه: "ندفع عشرة، عشرون، ثلاثون بورس، نعطيه خمسمائة ضربة بعصا، نقطع رأسه ."[2] تتقاتل القرى المجاورة للقدس من عرب ورحل قتالا عنيفا ويحرقون زرع بعضهم البعض وقد تجد مقابر كتب عليها مكان وجود قرية من قبل: "قطعت أحيانا ستون ميلا[3] في الريف دون أن أقابل بيتا واحدا."[4] وحلَّ سخط (شاتوبريان) على ابن (محمد علي) الجلاَّد المستقبلي لليونان (إبراهيم باشا) ذي الأربع أو الخمس عشر سنة: "هذا إذن الرجل الذي قُدر له ربما إبادة العرق اليوناني، واستبداله في الأرض الأصلية للفنون الجميلة والحرية، بعرق من الرق الزنوج!"[5] يحكم على الإسلام في مرحلة أولى بالنقيصة: "لا يوجد في كتاب محمد أي مبدأ للحضارة أو مفهوم يمكن أن يسمو بالشخصية ."[6] يتهمه لاحقا بافتقاره إلى الدقة وتحديد الهدف: "هذا الكتاب لا يرسِّخ لكره الطغيان ولا لحب الحرية."[7] ويرى (شاتوبريان) أنَّ الفتح الإسلامي كان غزوا؛ غزوا؛ فقد دفع الفقر المسلمون الجهلة إلى مهاجمة غيرهم وسلبهم ممتلكاتهم غير مراعين حرمة الأماكن المقدَّسة ولا غرو لأن عقيدتهم لا تمنعهم من ذلك، وقد زحف (صلاح الدين الأيوبي) حين استقل بحكم مصر إلى الشام وجاهد من كان ب ثغورها وغلبهم على بيت المقدس وقام بهدم الكنيسة التي بنوها على الصخرة المقدسة[8] وأتم بناء المسجد ثم وسَّع فيه (سعد ابن عبد الملك) وعمل (الوليد ابن عبد الملك) على جعله واحدا من أهم العمائر الإسلامية حتى يقضي على إعجاب بعض المسلمين بما سواه وانتهى على النحو الذي هو عليه الآن.[9]

---

[1]- «En un mot, tout annonce chez l'Américain le sauvage qui n'est point encore parvenu à l'état sauvage, tout indique chez l'Arabe l'hommes civilisé retombé dans l'état sauvage.»

نقسه.

[2]- «En paiera dix, vingt, trente bourses, on lui donnera cinq cent coup de bâton, on lui coupera la tête.»

نقسه.

[3]- أربع كيلومترات تقريباً.

[4]- «J'ai fait souvent quinze lieues[4] dans la compagne sans rencontrer un seul habitation.»

نقسه.

[5]- «Voilà l'homme peut - être destiné à exterminer la race Grecque, et la remplacer dans la terre natale des beaux - art et de la liberté, par une race d'esclavages négre!»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[6]- «Il n'y a dans le livre de Mahomet ni principe de civilisation, ni percept qui puisse élever le caractère.»

Chateaubriand. François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[7]- «Ce livre ne perche ni la haine de la tyrannie, ni l'amour de la liberté.»

Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[8] - ابن خلدون: المقدمة. ج 02. ص ص: 429 - 430.

[9] - د.أحمد شلبي: جريدة الجزائر اليوم. ع 331.

كان يعتبر فترة وجود الأتراك في اليونان: "بلد المجد والذكريات هذا"[1] من أظلم فترات تاريخها منذ (هوميروس) إلى يومنا هذا، وهو هائم في أنحائها أحسَّ نفسه في صحاري أمريكا؛ لا نبات بين الأطلال ولا عصفور يبكي هذه الأطلال ولا حتى حشرة تبعث فيها الحياة وآلت الأنهار إلى نفس مصير الشعوب، وتبتعد المراكب الإغريقية عن الشواطئ اليونانية يعلوها الدخان وعلى متنها كؤوس الألم وتماثيل الحرية والفنون وربَّات الشعر التسعة، لقد صيَّر الأتراك الشعب اليوناني السيِّد شعبا بربريا أميًّا [2]: "ربما ينظرون إليّ، أنا البربري المتحضر، موضوع فضول ليوناني أصبح بربريا ."[3] لذا: "لا ترى أبداً سيِّدي اليونان إلاَّ من خلال هوميروس، ذلك أكثر أمان ."[4] والإسلام كمذهب تعبُّدي معادي للمسيحية [5] هو العدو الأخطر عليها في قلب أوروبا نفسها، ورغم الأناقة التي تبدو على طبائع المغار بة خلافا للشعوب الهمجية لأخرى فإنَّه يوجد في ديانته التي تقبِّل تعدُّد الزوجات والعبودية وفي مزاجه الاستبدادي والغيور عائقا يصعب اجتيازه يحجب النور عن البشرية ويحول دون سعادتها : "يكفي أن تقرأ خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمون [1095] حتى تقتنع أن قادة هذه المؤسسات الحربية لم يكن عندهم ا لآراء الصغيرة التي نفرضها عليهم وأنَّهم كانوا يفكرون في إنقاذ العالم من اجتياح البرابرة ."[6] ولم تكن الحروب الصليبية جائرة لا في مبادئها ولا في نتائجها؛ فقد طارد الفرسان الكفَّار شعوبا كانت البادئة بالهجوم على شعوب مسيحية، وتقدير أنَّها مجرد تحرير لضريح مقدَّس رأي محدود جدا للتاريخ فالصراع دائر حول من الأجدر به: "الذين يستحسنون كثيرا اليوم إنجازات المعارف هل كانوا سيريدون إذاً أن تسود بين نا ديانة أحرقت مكتبة الإسكندرية التي قدَّرت الرجال فداستهم بالأرجل واحتقرت بسلطان مطلق الحكماء والفنون."[7] يتقزَّز من منظر الجزَّار المسلم وهو يذبح بعضا من الحيوانات كان قد ربطها من أرجلها إلى حائط خرب والدماء تعتقد من ذراعيه كأنَّه انتهى من قتل قتيله[8]، ويصوِّر العربي (قاطع طريق): "وسط الوادي – الواقع الواقع بين هاتين السلسلتين الجبليتين؛ جبل يهوذا (ضريح موريس سابقا) (...) يمر نهر أكمد اللون، إنَّه ينجذب بأسف نحو البحيرة الموبو ءة التي ابتلعته، لا نميِّز مجراه بين الرمل الصلصالي سوى بالصفصاف

---

[1]- «Ce pays de la gloire et des souvenirs.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[2] - Maurice Regard: Chateaubriand - l'œuvre romanesques et voyage, p:682.

[3]- «Peut - être en me voyant, mois Barbare civilisé, l'objet de la curiosité d'un grec devenu Barbare.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[4]- «Ne voyez, jamais Monsieur, la Grèce, que dans Homère, c'est plus sure.»

نفسه.

[5]- إدوارد سعيد: الاستشراق/ الإنشاء ـ المعرفة ـ السلطة. تر وتعريب: كمال أبو ديب. ط01. ص:187.

[6]- «Il suffit de lire le discours du pape Urbain2 au concile de Clermont [1095] , pour se convaincre que les chefs de ces entreprises guerrières n'avaient pas les petites idées qu'on leur suppose, et qu'ils pensaient à sauvaient le monde d'une inondation de barbares.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[7]- «Ceux qui s'applaudissent tant aujourd'hui du progrès des lumières, auraient- il donc voulu voir régner parmi nous une religion qui à brûlé la bibliothèque d'Alexandrie, qui se fait un mérite de fouler aux pieds les hommes et de mépriser souverainement les mètres et les arts?»

نفسه.

[8]- نفسه(بتصرف).

والقصب الذي يحيط به، يختبئ العربي في هذا القصب لمهاجمة الرحَّالة وسرقة الحاج."[1] ولا يعرف المسلمون عن الحرية شيئا ومن الاحتشام ليس لديهم شيء؛ القوة هي ربهم وحين تمر بهم فترات طويلة دون فاتحين يطبِّقون عدالة السماء فإنَّهم يبدون مثل جنود دون قائد مثل مواطنين دون مشرِّعين مثل عائلة دون أب .[2] أكل تلك المشقة للقاء عربي الصحراء عديم الذوق الذي قام ببناء كوخه البئيس عند سفح أطلال تدمر؟[3] وتقييم العبقرية الشرقية وهي تحاول تسييج عزلتها بحيازة بعض القامات من الظل تحت خيمة مصنوعة من جلد الغنم وسط الرمال المحرقة؟ [4] وتقلل حالة البؤس والوسخ والألم من جمال شكل المرأة العربية الطاهر وتحجب انسجام قسماتهن سحنة نحاسية لهذا : "يجب تأمُّلهن أبعد قليلا، نرضى بالمجموع وعدم الدخول في التفاصيل."[5] أما كيفية وضع حجابها فذكَّرته قليلا بـــ: "تماثيل الكاهنات وربَّات الفن."[6]

لامارتين:

تناول (لامارتين) مثلما يدل عنوان الرحلة (ذكريات انطباعات أفكار ومناظر طبيعية خلال رحلة إلى الشرق) مواضيع عديدة: الله، الدين، الطوائف، الحضارة، الأعراف، الطبيعة، الغريب، العواطف، الزمن، وغيرها: "أمَّا الرحلة، أي وصف لك امل وأمين للبلدان التي اجتزناها ؛ لحوادث شخصية وقعت للرحَّالة، ومجموع الانطباعات عن الأماكن، الرجال والعادات، عنهم، لم أحلم إلاَّ قليلا."[7]

1.صور توبوغرافية:

القدس:

شغلت المسألة الدينية تفكير (لامارتين) وترك في اندفاعاته الرومانسية جدا صفحات عن القدس بدت أحيانا كصدى عن رحلة (شاتوبريان) إلى الأراضي المقدسة[8]، وذكَّرنا حديثه عن مشاهد الخواء بنص (شاتوبريان): (la Jérusalem féerique) "خارج أبواب اليبوسيين، لم نقابل نفسا حية، لم نسمع أي صوت بشري."[9]

---

[1]- «Au milieu de la vallée - comprise entre ces deux chaînes de montagne; montagne de Judée (l'ancien tombe Maurice) (...) passe un fleuve décoloré; il se traîne à regret vers le lac empesté qui l'englouti, on ne distingue son cours au milieu de l'arène, que par les saules et les roseaux qui le bordent, l'arabe se cache dans ce roseaux pour attaquer le voyageur, et dépouiller le pèlerin."
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris. T.02, p:345.

[2]- نفسه. المجلد 02، ص:242(بتصرف).

[5]- نفسه. المجلد 02، ص:244(بتصرف).

[4] -Chateaubriand. François-René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallica.bnf.fr

[5]- «Il faut les contempler d'un peu loin, se contenter de l'ensemble, et ne pas entrer dans les détails.»
Chateaubriand.François- René de,itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.http://gallicA.bnf.fr

[6]- «Les statues des prêtresses et de Muses.»

نفسه.

[7]- «Quant un voyage, c'est - à - dire une description complète et fidèle des pays qu'on a parcourus, des événements personnels qui sont arrivés au voyageur, et l'ensemble des impression des lieux, des hommes et des mœurs, sur eux, j'ai encor moins songé.»
Alphonse de Lamartine: Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en orient (1832 – 1833), ou

[8]- Le voyage comme objet du texte, p:76.

[9]- «A l'extérieur des porte de jébuséen, nous avons pas rencontré âme qui vive, nous n'avons entendu aucun voix humaine.»
Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

لبنان:

يعود كثير من الرحَّل إلى بلاد الأرز بصور وانطباعات وذكريات تركوها على صفحات خالدة [1]، ولم يتردد (ألفونس دو لامارتين) في الهتاف أنَّه لم يلمح مشهدا عندما لمح بيروت وإنَّما فردوسا، ولم يتمالك نفسه على قمة مار متر فصرخ لم يعط الله الإنسان أن يحلم بكل الجمال الذي صنعه ! وأنَّه كان يحلم بمشاهدة جنَّة عدن ويمكنه القول أنَّه شاهدها ولو أن (هيغو) هنا لظن أنَّه أقرب إلى الله منه إلى الإنسانية.[2] بيروت من المدن السورية الآهلة بالسكان عرفت عند الأقدمين با سم (بيريت) وأصبحت في عهد (أغسطس) مستعمرة رومانية وميَّزها الفاتح الروماني باسم (جوليا فيلكس السعيدة) لخصب ضواحيها وفخامة موقعها وجمال جوِّها العديم المثال والمدينة قائمة اليوم على رابية جميلة تنحدر شيئا فشيئا إلى البحر ورفعت على صخورها الحصون التركية، أما ميناؤها فهو كناية عن لسان أرضي يمتد في البحر ويقي البواخر من الرياح الشرقية، وترى أغراس التوت قائمة على مدرجات من الأرض وشجر التين والبرتقال والرمان وأشجار الزيتون ذات الورق الرمادي تزيد في جمال المنظر الأخضر البديع، وتنتصب على مسافة ميل من المدينة سلسلة ج بال لبنان التي يضيع فيها البصر ومجاري المياه التي تنحدر إلى صور وصيدا واللاذقية.[3] لم يمل (لامارتين) قط من الصباحات المنعشة ولا من النوم في أحضان الشمس وأبهرته غابة (الأمير فخر الدين) المنبسطة في أعلى نقطة من سهل بيروت :"إنَّه أجمل مكان أعرفه في العالم، أشجار صنوبر عملاقة، حيث الجذوع القوية مائلة برشاقة تحت ريح البحر."[4] ويشهد ميناء بيروت حركة ونشاطا ونشاطا تشبهان المرافئ المتوسطية الأوروبية، وهو آهل بم جموعة من العرب أضفت عليهم ثيابهم الز اهية وأسلحتهم مسحة من العظمة.[5]

2. صور بشرية:

كان (لامارتين) يرى في الأرض العربية أرضا لخوارق : "كل إنسان ساذج أو متعصِّب يمكنه أن يصبح نبيا بدوره؛ ليدي ستانهوب دليل آخر. هذه النزعة إلى العجيب لها بسببين؛ لشعور ديني متقدم جدا، وعيب في التوازن بين الخيال والعقل. لا تظهر الأشباح إلاَّ في الليل؛ كل أرض جاهلة إعجازية."[6]

صوَّر الخيال الأوروبي الحمامات كأبنية رائعة مليئة بالغانيات والحوريات [7]، وقد اتفق أن دُعيت زوجة (لامارتين) لحضور حفلة تحميم عروس في بيروت، فنقل على لسانها تلك الأجواء . تم الاحتفال في عهد

---

[1]- Jamil Faris: Le Liban dans la littérature française de dix- neuvième siècle. Thèse. Paris 4, p: 212.

[2]- Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

[3]- Alphonse de Lamartine: Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833), ou note d'un voyageur. T.03, p.109 (بتصرف).

[4]- «C'est le plus beau lieu que je connaisse au monde, des pins gigantesque, dont les troncs vigoureux, légèrement inclinés sous le vent de mer.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

[5]- نفسه.

[6]- «Tout homme crédule ou fanatique peut y'devenir prophète à son tour; Lady Stanhope en sera une preuve de plus. Cette disposition au merveilleux tient à deux causes; A un sentiment religieux très - développé, et à un défaut d'équilibre entre l'imagination et la raison. Les fantômes ne paraissent qua la nuit; toute terre ignorante est miraculeuse.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[7]- د. سامية أحمد أسعد: مع الشاعر جيرار دو نرفال في (رحلة إلى الشرق). مجلة الهلال. عدد خاص بأدب الرحلات. بيروت: يونيو 1975م. ص:62.

(الأمير بشير الشهابي) وخصِّص الحمام في ذلك النهار لعروس أميرة حضره زهاء ما ئتي سيدة من نبيلات المدينة وضواحيها كان بينهن بعض الأوروبيات، وقد صلت هؤلاء الأميرات والنبيلات مصحوبات بإماء سود أو جوار بيض حرات وكنَّ يرتدين ثوبا واسعا يستر ثيابهن الفخمة، وكلما وصل موكب اجتمعت نساؤه وجلسن على حصر ومساند معدَّة في الرواق، فتأتي جواريهن و يترعن عنهن الملاء ليبرزن في ملابسهن، ولَّما اجتمعت جميع المدعوات عُزفت الموسيقى وغنَّت نساء ترتدين ثيابا مصنوعة من أنسجة شفافة حمراء بأصوات حادَّة محزنة نشرت في ذلك الجو البهيج ضجيجا صادعا، ثم برزت العروس تصحبها أمها وأترابها تلبس ثوبا فخما ويتوارى شعرها و ساعداها وعنقها وصدرها تحت عناقيد من النقود الذهبية واللآلئ، وتواصت المحمِّمات بها فترعن عنها ما عليها من الحلي قطعة قطعة، وبدأت مراسيم الاستحمام المختلفة والمزامير تعزف اللحن نفسه والصياح يتراسل من غرفة إلى غرفة، فاستحممن بالبخار الحار أولا ثم صببن عليهن ماءً معطَّراً ليأتي دور اللعب والدعابات واللهو، وخرجن بعدها من غرفة الاستحمام إلى غرف التبرُّد والراحة فجدلت كل جارية شعر سيِّدتها الرطب وعقدت لها عقودها وألبستها أساورها وحليها وثيابها الحريرية المخملية، ثم بسطت مساند على حصر الردهة فقعدن، وفتحت سلال وصرر حريرية مليئة بالزاد الذي جلبنه معهن فأكلن وشربن شراب الليمون المثلَّج وأحضرت المسِّنات الغلايين والنارجيلات (الأركيلة) وجيء بالقهوة في فناجين صغيرة موضوعة في أقحاف من الذهب والفضة مخرَّمة فظلَّت تدار عليهن وتدور الأحاديث بينهن والراقصات يرقصن على الموسيقى عينها الرقص المصري، وانقضى النهار كله وهنَّ على هذه الحال ولَّما أرخى الظلام سدوله عاد الموكب النسائي بالعروس إلى بيت أمها.

كان (لامارتين) يُطلق على البلدان الواقعة حول البحر المتوسط اسم (البحيرة الإنسانية) ويعُدها موطن المدنيات والثقافات، كما أشاد بحياة البدو والفروسية والبطولة والشاعرية والكرم وحب الحرية التي تكلَّم عنها (عنترة) في أشعاره التي يصفها بـــ :[1] "الشعر القومي للعربي الصعلوك، إنَّها الكتب المقدَّسة لخياله."[2] أمَّا وقت القيلولة (Kief) فيبدو أنه وقت مقدَّس:

«300 druzes s'emparèrent un jour Damas en heur de sieste!»[3]

ومثَّلت العشائر اللبنانية (Peuplade du Liban) والمذاهب موضوع فضول اثنوغرافي لـــ (لامارتين): "هناك صد وبغض لا يمكن إصلاحه بين مختلف الطوائف المسيحية، أكثر بكثير ما بين الأتراك والمسيحيين (...) فيما يخص المحمديين، فهم لا يصدقون أننا لا نهتد أبدا ."[4] عاش شهرًا بين الموارنة لكنَّه لم يتمكن من رؤية بعلبك حيث الطريق مشغولة دائما بصراعات الدروز والشيعة الذين يشكِّلون حوالي ثلث سكان جنوب لبنان: "مثل الفرس؛ لا يشربون ولا يأكلون مع أتباع ديانة آخرى غير ديانتهم، ويكسرون الكأس أو

---

[1]- Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

[2]- «La poésie nationale de l'arabe errant; ce sont les livres saints de son imagination.»

نفسه

[3]- نفسه. المجلد 01، ص ص:17-21(بتصرف).

[4]- «Il y'a repoussement et haine irréconciliable entre les diverse communions chrétiennes, bien plus qu'entre les turcs et les chrétien (...) Quant aux mahométans, il est inouï qu'on ait jamais converti.»

نفسه

الصحن التي استعملها الأجنبي، يعتبرون أنفسهم نجسين إذا لمست ثيابهم ملابسنا، في حين، بما أنَّهم محتقرون في سوريا، فهم يتأقلمون مع الوقت ."[1] ولم ينجح اليسوعيون في مهمتهم والسبب بسيط: "لا وجود للسياسة على الإطلاق في ديانة رجال الشرق المفصولة تماما عن السلطة المدنية، لا تؤثر ولا تسهم في الدولة."[2] كما عرِّج إلى جوانب روحية في الإسلام باعتباره ديانة تتسِّق مع الفطرة وتتسِّم بالأخلاق والصبر والإحسان ومن طبيعتها التسامح، ويحب هذا الشعب لأنَّه شعب صلاة والواجب تنوير هذا الدين الذي دخل دون مجهود ولا عناد في نظام ديني وطني يتميز بالحرية واستطاع وأن يشكِّل أحد عناصر تكتُّل كبير بآسيا بدل إبادته، ومن الواضح أن القرآن في حرفه وروحه هو الثمرة التي أينعت في الصحراء بعد بذرة الإنجيل: "ديانتهم هي عبادة ممارسة، حيث المبادئ في الأصل هي نفس مبادئ المسيحية."[3]

لم يرتد (لامارتين) عباءة الإسلام ولكنَّ ذلك لم يمنعه من الاعتراف بعظمة شخص الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- وقد نشرت صحيفة (الشرق الأوسط) قصيدته في مدح النبي العربي عليه الصلاة والسلام .[4] كان يهوى لديانة (محمد) فنًّا جاهزا يطابق نور فكرته ومنها إقامته معابد بسيطة معتدلة جميلة دون ظلال تخفي ألغازا[5] وصوت المؤذِّن الذي ينطلق من أعلى المقصورة: "صوت حيوي، نشيط، يعرف ماذا يقول وماذا ينشد، متفوِّق برأيي عن الصوت من دون ضمير لناقوس كاتدرائياتنا، إن كان بإمكاننا سماعه عن بعد هكذا."[6] يخالف السائد الغربي تارة أخرى فيقرر أنَّ مبدأ القدرية [7] جعل من العرب الشعب الأكثر شجاعة في العالم خاصة وأنَّ القرآن يعدهم بحياة أكثر إغراء من تلك التي وهبوا من أجلها الروح .[8] هل أحب (لامارتين) إذاً الشرق والشرقيين فعلا أم أنَّ ذلك كان مجرد إعجاب؟ يستدل الأستاذ (راشد رستم) على حب (لامارتين) للشرق باطمئنان الشاعر إلى هذا الروح السائدة فيه حتى : "يبدع له وصفا ويطنب فيه مدحا ولم يضعف هذا عنده قدرا أن فقد فيه بنتا فقد أسكنها في قمة الأرز بلبنان لحدا ."[9] لقد أقطعه السلطان (عبد المجيد) أرضا في الأناضول وعاش زمنا في سوريا وكان يحب الخيل والفروسية وهي : "أبرز

---

[1]- «Comme les persans; Ils ne boivent ni ne mangent avec les sectateurs d'une autre religion que la leur, et brisent le verre ou le plat qui a servi à l'étranger, ils se considèrent comme souillé, si leur vêtements touchent les nôtres, cependant, comme ils sont méprisés dans la Syrie, ils s'accommodent au temps.»

Alphonse de Lamartine: Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833), ou note d'un voyageur. T.03, p.150.

[2]- «Il n'y a point de politique dans la religion des hommes de l'orient; complètement séparée de la puissance civile, elle ne donne ni influence, ni action dans l'état.»

نفسه. المجلد 03، ص:191.

[3]- «Leur religion est un déisme pratique, dont la moral est la même en principe que celle du christianisme.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

[4]- صحيفة الشرق الأوسط. يوم 06 أفريل 2006.

[5]- Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage enOrient.http://books.google.fr

[6]- «Voix vivante, animée, qui sait ce qu'elle dit et ce qu'elle chante, supérieure à mon avis à la voix sans conscience de la cloche de nos cathédral, si l'on pouvait l'entendre d'aussi loin.»

Alphonse de Lamartine: Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833), ou note d'un voyageur. T.04, p49.

[7]- يشير على الأرجح إلى الآية رقم [51] من سورة التوبة: ٹ ٹ
ڃ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ

صدق الله العظيم

[8]- Alphonse de Lamartine :Souvenirs impressions pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833), ou note d'un voyageur. T.04, p.49(بتصرف).

[9]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12، الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص ص: 31 - 32(بتصرف).

مزايا هذا الدم الذي يحرص لامارتين على أن ينتمي إليه .. دم العرب السامي "[1] يضيف (راشد رستم) ويجب على الشرق يقول (محمد قرانيا) أن: "يقدِّس ذكراه وعلى الشرقيين أن يحفروا اسمه على صفحات الأذهان والصور "[2]، في مقابل ذلك تعرَّض كثير من النقاد إلى دين (لامارتين) فجعلوه من المسلمين [3] ويبرهنون على كلامهم باستمرار تعلُّقه بالشرق الإسلامي في كتابه (تاريخ تركيا) اثنين وعشرون (22) سنة بعد (رحلة إلى الشرق) الذي كرَّس المجلد الأول منه (حياة محمد) لسيرة نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم– والصحابة وكان قد افتتحه بترجمة اسم عائلته الأصلي أي (اللامارتين) إلى الخاضعين لأمر الله أو خدَّام الله، لكن لم يتقبَّل آخرين تقديمه للنبي – صلى الله عليه وسلم– كإنسان تملأه روح الله [4] ورأوا في كلامه تعريض بالفكرة الرئيسية في الديانة النصرانية القاطعة بألوهية النبي عيسى– عليه السلام– وراحوا يشكِّكون في استعماله المتكرر لكلمة (محمدية) التي تقترب من كلمة (نصرانية) ويتوَّجسون من بعض فلسفته وأخلاطه: "لدي عدد كبير من الأتراك والعرب المتدينين بعمق، الذين لا يقبلون من ديانتهم سوى ما هو منطقي وإنساني، إنَّها عبادة عملية وتأملية . نادرا ما نهد رجال مثلهم؛ من السهل أكثر النزول من عقيدة عجائبية إلى عقيدة عادية، على الارتقاء من عقيدة عادية إلى عقيدة عجائبية."[5]

اتُّهم بالاستعلاء والضمير العدواني والتعصُّب العرقي والمذهبي الفج والروح المستبدة والأنانية النافية للآخر وتبنيه لقيم بالغة التدني إذا ما قيست بمقاييس الحق والعدل والسلم والحرية والإخاء والمساواة، وذلك عقب انتقاله السريع من موقف الإشادة والتعاطف الكلي مع الشرق إلى الترويج لأفكار الإيديولوجيا الثورية في مجموعة مقالات كتبها اعتبارا من الثامن والعشرين (28) أغسطس 1840 وألحقها بكتابه (رحلة إلى الشرق)، نادى فيها فرنسا التي تخوض تجربة الاستعمار الاستيطاني بالجزائر [6] حماية إمبراطوريتهم الأ ولى المشرفة على الانهيار: "إمبراطوريتنا الأولى."[7]

جيرار دو نرفال:

استغرقت رحلة (دو نرفال) أكثر من سنة واقتصرت على مصر والشام، ويبدو أنَّه أنجزها ضمن التقاليد الرومانسية فنحد مواضيعه تتنوَّع بين الدين والتاريخ والميثولوجيا بإيحاءاتها والتسامح والحب والحضارة والإعجاب والفن والألوان والرغبة والغريب والمرأة والاحتفالات والأع راس والجنون والقتل والأنانية أو النجدة والأطلال والغموض والواقع والحلم والمقدَّس والرمز والتقاليد ... وقد تملَّك (دو نرفال)

---

[1]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص: 32(بتصرف).

[2]- محمد قرانيا: الشاعر لامارتين عاشقا. جريدة الأسبوع الأدبي. دمشق، ع 926. 02 أكتوبر 2004م. ص:37.

[3]- راشد رستم: لامارتين - الشاعر الفرنسي، عربي.. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 12. الثلاثاء 30 محرم سنة 1358 هـ الموافق لـ 21 مارس سنة 1939م. ص:81.

[4]- Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[5]- «J'ai un grand nombre du turcs et d'arabes profondément religieux, qui n'admettaient de leur religion que ce quelle à de raisonnable et d'humain, c'est un théisme pratique et contemplatif. On ne converti guère de pareils hommes; il est plus facile de descendre du dogme merveilleux au dogme simple, que de remonter du dogme simple au dogme merveilleux.»

نفسه.

[6]- مصطفى الحفناوي: قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة. ص:98.

[7]- «Notre premier empire.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

شعور خفي بأنَّه عاش قبل هذا في الشرق وأنَّه يعرف الأماكن وبإمكانه أن يستعيد وصف قاهرته، وإذا بعالم ساحر يهيم به في عالم الأساطير المصرية حيث أنصت إلى همسات دقيقة هزَّت مشاعره وأجابت على تساؤلات وترجمت دقات قلب ممزَّق وحزين.[1]

1. صور توبوغرافية:

القاهرة:

يصوِّر (دو نرفال) القاهرة أرضا للأسطورة والأسرار والأحلام وأحلامنا حياة ثانية كما يعتقد، هي مسرح (ألف ليلة وليلة): "القاهرة، مدينة ألف ليلة وليلة."[2] ذكَّرته منازل (شبرا) بالقصور التي يسكنها الأمراء في جنوة وفينيسيا؛ كان لها أفنية تحيط بها أعمدة وقاعات رائعة الزخرفة أرضيتها من المرمر ونافورات كثيرة وحدائق وتضللها أشجار ثمينة، لكن للأسف فالكثير منها مهدَّد بالانهيار، وشأنها شأن مجموع سكان القاهرة فالفرق شاسع بين المنزل المتواضع الذي يسكنه الخادم (منصور) والقصر الذي يسكنه (إبراهيم باشا).[3] ويحيط بأحياء القاهرة أسوار : "لا تزال تحتفظ هذه السور كما في العصور الوسطى بالسحنة التي كانت عليها دون شك في عهد السلاطين."[4] لكن التقدم الحديث يزحف على المدينة القديمة: "أشهر أخرى معدودة وشوارع أوروبية سوف تقطع مباشرة المدينة القديمة الغبراء والصامتة."[5]

لبنان:

يتمتع (دو نرفال) بعين رسام؛ نجده يستلهم من نجمة وتستيقظ عواطفه من عرض[6]، وقد كان سعيد بهذا البلد الجميل والشهير [7] وبالعناصر المتآلفة والمتكاملة لطبيعته ، وبدا له أنَّ بيروت ذات : "ملامح مدينة عربية من عهد الحروب الصليبية."[8]

2. صور بشرية:

كرّس هذا المحب لمنزله وقتا طويلا نسبيا لرحلته إلى مصر والشام، وكان يذيع الأحداث ويصف الأشخاص والإطار الذي يحتويها وتثلج العجائب صدره . حاول الغوص في قلب الشرق راثيا هؤلاء الوجهاء المقيَّدي الحركة لابسي القفازات الدين يفوِّتون على أنفسهم مشاهدة الكثير من الأمور الصغيرة

---

[1]- نفيسة عبد الفتاح شاش: جيرار دى نرفال وعالم الأساطير المصريّة. مجلة عالم الفكر. م 11، ع 03. ص ص :193 - 194 [221] - [222].

[2]- «Le Caire, la ville des milles et une nuit»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:86.

[3]- نفسه. المجلد 01، ص:210(بتصرف).

[4]- «Ces murs comme au moyen âge conserve encore la physionomie qu'il avait sans doute à l'époque de saladin.»
نفسه. المجلد 02، ص:89.

[5]- «Encore quelque mois et des rues européennes auront coupé à angles droits la vieille ville poudreuse et muette.»
نفسه. CF. رسالة 100، ص:878.

[6]- P. - G. Castex et P. Surer: Manuel des études littéraires française de dix- neuvième siècle. p:231(بتصرف).

[7]- «Ce beau et célèbre pays»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p:97.

[8]- «La physionomie d'une ville arabe de l'époque des croisades.»
نفسه. المجلد 01، ص:90.

الطريفة[1]، بدأً بالإنجليزي إلى الأوروبي الذي يقطن آنذاك حي الأزبكية الأرستقراطي، وما علينا سوى تخيُّل سيِّد على ظهر حمار تكاد ساقاه الطويلتان تبلغان الأرض من فرط طولهما وقد اكتست قبعته المستديرة كسوة كثيفة من القطن الأبيض تمتص حرارة الشمس ويغطي الوجيه منهم عينيه بشيء يشبه قشر الجوز ثم هو يضع فوق هذا كله وشاحا أخضر مما تستعمله النساء ليحميه من الأتربة ويحيط معطفه المصنوع من المطاط غطاء خارجي من القماش المشمَّع ليحميه من الطاعون ومن الاحتكاك المباغت بالمارة وتمسك يداه من داخل قفازيهما بعصا طويلة تبعد عنه كل عربي موضع ريبة وعلى كلٍ فسرعان ما يقذف تابعه بهؤلاء العرب يمنة ويسارا[2]، أما لقاء الأوروبيين فيتم في صيدلية (كاستاثيول) وهي عالم آخر خارج القاهرة تتردد فيه الفرنسية والذكريات الباريسية وهناك نجد بكوات أجانب وشرقيون مشكوك في شرقيتهم بعضهم يلبس العمامة ولكن تحتها رأس من الضفة الأخرى للبحر الأبيض فتلك كانت مجرد عدَّة للشغل تتطلبها مقتضيات الصنعة[3]، وقد كان له حديث ساخن مع القنصل الفرنسي الذي شكَّك في عقيدة كبار موظفي الباشا وأنَّهم وأنَّهم لم يكونوا ليصلوا تلك المرتبة أو يلزموا المسلمين بطاعتهم لولا هذه الطريقة.[4] لمس (دو نرفال) تسامحا تسامحا متبادلا بين مختلف الديانات حيث يضع كل واحد نفسه في المرتبة العليا من التدرج الروحي لكنَّه يقبل أن يلعب الآخرين دور الكرسي إذا اقتضى الأمر ذلك[5]، ولا يمانع المسلمون مشاركة إخوانهم الأقباط أذكارهم ويقوم الأقباط بدورهم بإحياء ذكرى شيخ من الدراويش على نفقتهم لوقوع مقامه عندهم .[6] جاور (دو نرفال) بقرب كاف حياة ا لإسلام الذي يشبهه بـالأفلاطونية القديمة، و يلتفت إلى البحَّ ارة المصريين وه م يجتمعون عند سماع الأذان يدوِّي في أنحاء الكون لكل صباح عند بزوغ الشمس من البحر وكل مساء في اللحظة التي تبتلعها المياه وهي تذوب برقة في السماء الزرقاء تاركة وراءها خط الأفق تشوبه حمرة، ويتصوَّر الكاتب الفرنسي أن المصريين قد شيَّدوا مسجدهم الجميل هذا إكراما لـــ (يونس) -عليه السلام- الذي ابتلعه الحوت، ويبدى في خاتمة أخلاقية عن إعجابه بمختلف الديانات :"هل يجب أن أدافع عن نفسي أمامك، عن إعجابي المتتالي بشتى أديان الدول التي اجتزتها؟ نعم لقد شعرت وثني في اليونان، مسلم في مصر، قائل بوحدة الوجود بين الدروز، وناسك على بحار اله نجوم الكلدانيين، لكنني فهمت في اسطنبول عظمة هذا التسامح الشامل الذي يمارسه الأتراك اليوم."[7]

تكلَّم (دو نرفال) في كل صفحة تقريبا من كتابه المتشدِّد عن الميثولوجيا والتاريخ، وكان يرى الحل في ربط الشرق والغرب ببقايا رومانسية. التقى في أحد المطاعم البيروتية قس انجليكاني كان يبشِّر بمسيحيته

---

[1]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p.200(بتصرف).

[2]- نفسه. المجلد 02، ص:159(بتصرف).

[3]- نفسه. المجلد 01، ص:259(بتصرف).

[4]- نفسه. المجلد 01، ص:335(بتصرف).

[5]- نفسه. المجلد 02، ص:29(بتصرف).

[6]- نفسه. المجلد 01، ص:91(بتصرف).

[7]- «Dois- je me défendre auprès de toi, de mon admiration successive pour les religions diverses des pays que j'ai traversés? Oui je me suis sent païen en Grèce, musulman en Egypte, panthéiste au milieu des Druses, et dévot sur les Mers aux astres - dieu de la Chaldée, mais à Constantinople j'ai compris les grandeurs de cette tolérance universelle que exercent aujourd'hui les turc.»

Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.03, p:.210(بتصرف).

بين الدروز أخبره أنَّ صاحبة الجلالة والرقيقة ملكته ملكة انجلترا هي من يرعى الجمعية الانجيليكية [1]، وأنَّه تمكَّن من التبشير بين كثير من هؤلاء القوم الشجعان، وهو يتلقى مقابلا ماديا عن كل مرة يفلح فيها في مهمته كما يقدِّم بدوره هداياه ومنحه لمن يعتنق مذهبه، وهنا فهم (دو نرفال) كيف أن ثراء عملاء الإنجليز كان يعطيهم الأسبقية على عملاء الأمم الأخرى وفهم أيضا اللعبة الدولية التي تدور في بيروت؛ فبينما يساند الفرنسيون والنمساويون الموارنة المسيحيين يحاول الانجليز شق طريقهم بالتبشير وسط الدروز تحت شعار حماية الأضعف.[2]

نقرأ في (أوريليا أو الحلم والحياة):"احتفظتُ في علبة حلى صغيرة تملكها برسالتها الأخيرة. هل أجرؤ على الاعتراف أنني جعلت من هذه العلبة نوعا من صندوق ذخائر يذكرني بأسفار طويلة لاحقتني فيها ذكراها."[3] ألهم حب (دو نرفال) الميئوس منه لـــ (جيني كولون) أشكال نساء منيعة لازمته وسبَّبت له هاجساً استحوذ على أفكاره بشكل متسلط قسري ربطها بصور الملكات دائمات الأنوثة [4] نحو (ملكة سبأ)، وقد دخلت المرأة بقوة إلى (رحلة إلى الشرق) واضطر أن يفعل في أفريقيا ما تجنَّب فعله في أوروبا، وكلنا بات يعرف قصته مع الجارية (زينب) بطلة أحداث الجزء المصري من الكتاب (نساء القاهرة)، ومع أنَّه لم يكثر من الوصف في كتابه لكنَّه كتب صفحات عن الزي النسائي المصري عامة وعن سحره الغامض أبدا، وأبهره برقعها الطويل الذي يحتاج إلى الصبر الطويل لمعرفة ما يخفي تحته من جمال ويفلت أحيانا من الأكمام الفضفاضة المرفوعة إلى الكتف ذراعا مرمريا شاحبا أو يدا تزيِّنها الخواتم والأساور الفضية أو قدما عارية حولها خلخال وتبتعد أحيانا ثنايا الحجاب فترى عينان جميلتان ملتهبتان مسلَّحتان بكافة أنواع الإغراء التي يمكن أن يمدهما به الفن وشعرا ملفوفا وأذنا صغيرة صلبة تهبط منها على الخد والجيد عناقيد من القطع الذهبية أو الفضية، وقد حدث أن اقتفى أثر سيِّدتين محجَّبتين في أحد الأسواق حتى دخلتا محلا فتمنى لو كان واحداً من أولئك الباعة الذين يبسطون أقمشتهم أمام المرأتين ك ما فعل البائع مع بنت الأمير أمام متجر (بدر الدين) أو كان الذهبية فهكذا يكون قد نقد أكثر مما يستحق![5] ويعرف النصف الأهم من السكان كيف يسدل حجابه حين يفتقر إلى الجمال.. حقا إنَّه بلد الأوهام والأحلام، ويدل زي المرأة على الطبقة التي تنتمي إليها : "تحجب سيِّدات المجتمع أجسامهن تحت حبر من قماش التفتا الخفيف، فيما تتدثر النساء الشعبيات بلطف في جلباب أزرق بسيط من الصوف أو القطن (خميس)، مثل تماثيل قديمة."[6]

---

[1] -Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:.167(بتصرف).

[2]- نفسه. المجلد 01، ص:167(بتصرف).

[3]- «Dans un petit coffret qui lui appartenu, je conservais sa dernière lettre. Oserai- je avouer que j'avais fait de ce coffret une sorte de reliquaire que me rappelait de longs voyage, ou sa pensée m'avait suivit.»
Gérard de Nerval: Aurélia, pp: 22 - 23.

[4]- «Eternellement féminin»
Gérard de Nerval: Promenades et souvenirs - Le Chareau de saint- Germain, p:42.

[5]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p:52.

[6]- «Les grande dames voilent leur taille sous le habbarah de taffetas léger, tandis que les femmes du peuple se drapent gracieusement dans une simple tunique bleue de laine ou de coton (khamiss), comme des statues antiques.»
نفسه. المجلد 02، ص:71.

فلوبير:

1. صور توبوغرافية:

النيل:

نهر عظيم ومغرور يغلب عليه طابع المحيط أكثر من طابع أي شيء مائي آخر، تمتد على ضفتيه سهول من الرمال يفقد البصر مداها كأنَّها خليج، وأبعاد ذلك هائلة فلا تعرف إلى أي طرف يجري التيَّار وكثيرا ما تظن نفسك حبيس بحيرة كبرى، و لم يجد (فلوبير) تشبيها أوقع وأدق وفي نفس الوقت أشمل من تشبيه صديقه (لويس بوييه) له:

لم يكن آباؤنا يعرفون العطر المخدر الذي يحمله النيل المتسكع على شطآنه[1]

الصحراء:

كتب إلى والدته من الإسكندرية عن صدفة اللقاء مع سهول رملية لا تنتهي مغطَّاة هنا وهناك بأشجار النخيل، ومن حين إلى آخر تبدو لك برك مياه وعند الحد الأقصى الذي يظهر ملامسا للسماء يمر سريعا بخار رمادي مثل قطار سكة حديد، إنَّه السراب والكل يبتلى به عرب وأوروبيون أولئك الذين اعتادوا الصحراء وأولئك الذين يرونها لأول مرة.[2]

لبنان:

يحكم (فلوبير) على طبيعة لبنان في هذه العبارة:" لكن لبنان ليس بهذا الهاء؛ إنَّه بجمال البيرينيه لكن تحت سماء الشرق."[3]

2. صور بشرية:

تسلَّم (إبراهيم باشا) الحكم بعد وفاة والده (محمد علي) أشهر قليلة قبل وصول (فلوبير) إلى مصر، لكن يبدو أنَّ الفساد السياسي الكامل والهمجية السياسية التي لا مخرج منها [4] كانت تعم تلك البلاد: "اليوم الموالي من وصولنا إلى القاهرة، الفاتح من نوفمبر 1806، صعدنا إلى القصر حتى نتفحَّص بئر يوسف، المسجد، الخ... كان ابن الباشا يسكن إذن هذا القصر. قدَّمنا احتراماتنا لمعاليه، الذي من الممكن أن يكون في الرابع عشرة أو الخمس عشرة سنة. وجدناه جالسا على بساط في غرفة مستقلة مهدَّمة ومحاط بدزينة من المجاملين الذين يتسارعون في الامتثال لترواته. لم أر أبداً مشهدا أكثر بشاعة. وها هو السيِّد الذي انتظره

---

[1]- Gustave Flaubert: Correspondance. T.01, p:601(بتصرف).

[2]- نفسه. المجلد 01، ص:530(بتصرف).

[3]- «Mais le Liban n'est pas assez vanté; c'est aussi beau que les Pyrénées mais sous un ciel d'orient.»
Gustave Flaubert: Notes de voyage, p:610.

[4]- Philipe Antoine (I.U.F.M.d'Amiens): l'homme civilisé retombé dans l'état sauvage - politique sexualité et Religion dans l'Itinéraire de Paris à Jérusalem de Chateaubriand. Epoque: dix- neuvième Siècle.Localisation: Moyen orient. Conférence de séminaire du professeur François Moreau, Second semestre 06 Avril 2004. Centre de recherche sur la littérature des voyages, p:14.

المصريون بعد كم من الشقاء!"[1]

اهتم (فلوبير) بحقيقة كل يوم كمن يسعى إلى الشفاء من رومانتيكيته[2]، لكنَّه لم ير غير الكسل وعدم الاستعداد للتقدم: "الشرقي يعيش في سبات وسُكون وذلك تبعا لدرجة حرارة الجو"[3]، يخبر والدته من مصر أنَّ البقشيش وضربة العصا هي الحقيقة العميقة للإنسان العربي[4] وأنَّه يتعذَّب عند كتابة صفحات عن هؤلاء العرب الأبالسة المساكين[5]، والسلطة بعيدة كل البعد عن الشعب لذا فهذا الأخير ينعم على مستوى الكلام بحرية لا حدود لها وأكبر حرية للصحافة لا يمكن أن تكون إلاَّ فكرة ضعيفة عن الدعايات المسموح بها في الأماكن العمومية[6]، ويرميه بعدها في (إغواءات القديس أنطوان) سنة 1874 بالشعوذة؛ فالعربي يأكل قلب العفريت ويمكن له فهم لغة الحيوانات ذات الأقدام الظلفية وقد تعلَّم من العرب لغة النسور وأبي منجل وقرَّ الكهوف وكيف يخيف الكركدن وينوِّم التماسيح .[7] لكن يبقى من الصعوبة فهم (فلوبير) لقوة تفكيره ورهافة سخريته: "هوى فلوبير أن يلد دائما أشياء أكثر ضخامة من غيره."[8]

اليوم الأخير .. وداعا .. إنَّ حزن الفراق جعله يدرك مدى نشوة الوصول؛ فلا النسوة اللائي يجلبن الماء ولا الفلاحين ولا الطفل الذي يستحم في بركة الساقية الصغيرة... لن يراهم كلُّهم بعد.[9]

كان (فلوبير) في السابعة والعشرين من (27) عمره خريف 1849، وكان لافتا لنظر الأصحاب والأغراب على السواء بقامته ووسامته وعضلاته المفتولة وكأنَّه أحد غزاة الشمال الشقر (الفايكنج)، له عينان سوداوان وفم دقيق لم تنقطع نساء مصر عن لومه لإخفاءه تحت الشارب[10]، لكنَّه ومن بين نساء مصر فقط واحدة تركت بصمتها .. بدأت المغامرة عندما أراد الصديقين التقاط مجموعة من الصور عن الآثار جنوب مصر، فصعدا النيل وعبرا (إسنا)، وهناك في (إسنا) كان مسرح لقائهما بالعالمة المخلَّدة (**كوشيوك هانم**) **(Kuchiuk – Hanem)**: "إسنا، هناك، في أعالي مصر، حيث توجد الراقصات (مومسات مصريات) اللاتي جعلنه يحلم كثيرا – يتشوَّق كثيراً."[11]

---

[1]- «Le lendemain de notre arrivée au Caire, 1er novembre 1806, nous montâmes au château, afin d'examiner le puits de Josef, la mosquée, etc... Le fils de Pacha habitait alors ce château. Nous présentâmes nos hommages à son excellence, qui pouvait avoir quatorze ou quinze ans. Nous la trouvâmes assise sur un tapis dans un cabinet délabré, et entourée d'une douzaine de complaisons, qui s'empresseraient d'obéir à ses caprices. Je n'ai jamais vu un spectacle plus hideux. Et voilà le maître que les Egyptiens attendaient après tant de malheurs! »

Gustave Flaubert: Notes de voyage, p:09.

[2]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:91.

[3]- Gustave Flaubert, correspondances. T.01, p:311(بتصرف).

[4]- نفسه. المجلد 01، ص:74(بتصرف).

[5]- نفسه. المجلد 01، ص:72(بتصرف).

[6]- نفسه. المجلد 01، ص:80(بتصرف).

[7]- Gustave Flaubert: La tentation de saint Antoine. T.3, p:52(بتصرف).

[8]- «La toquade de Flaubert d'avoir toujours fait engendrer des chose plus énormes que les autres.»

Charle Dantzig: Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus, choix, notice et préface. (Gustave Flaubert par Edmond et Jules de Goncourt. Mercredi 17 décembre 1873, extrait du journal. Première édition 1887-1896. Édition d'après les manuscrits), p:54.

[9]- Gustave Flaubert, correspondances. T.01, p:587(بتصرف).

[10]- ضحى محمد شيحه: أدب المراسلات في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. مجلة عالم الفكر. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص ص:77 - 78.

[11]- «Esnèh, la- bas, en haute Egypte, ou sont existées les danseuses (prostituée égyptienne) qui l'on fait tant rêver - tant désirer.»

Patrick Wald Lasowski: Te rappelles- tu Kuchuk - Hanem? Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, p:45.

وصف ليلته معها [ليلة السادس (06) مارس 1850] في رسالة أولى إلى (لويس بوييهت) تعود إلى الثالث عشر (13) مارس 1850: "كوشيوك هانم عاهر ذائعة الصيت . عندما وصلنا عندها، (كانت الثانية ظهرا)، وجدناها في انتظارنا، كانت وصيفتها قد جاءت من الصباح إلى القارب، بصحبتها خروف مستأنس، لُطخ في مجموعه بالحنة الصفراء، على أنفه كمامة من القطيفة السوداء ويتبعها مثل كلب، كان ذلك مضحكا للغاية. كانت قد خرجت لتوِّها من الحمام، وقد غطَّت أعلى رأسها بطربوش كبير، انتشر زره على كتفيها العريضتين، وعلى قمته شارة ذهبية مرصَّعة بحجر كريم أخضر، وكان شعرها يتزل من تحت الطربوش عبر جبهتها في ضفائر رفيعة تلتقي على أسفل رقبتها من الخلف؛ بينما اختفى أسفل جسمها تحت سروال ضخم وردي، والصدر عار كله تحت شاش بنفسجي، كانت واقفة على رأس سلمها، والشمس وراءها، فاكتمل منظرها، تحد إطاره السماء الزرقاء . إنَّها مخلوقة إمبراطورية، ذات ثديين ولحم، وفتحتا أنفها ضيقتان، وعيناها متسعتان، الركبتان رائعتان، وبطنها يكسوها طبقة فوق طبقة شحم يتفاخر حين ترقص. بدأت بأن عطَّرت أيدينا بماء الورد . كانت تنبعث من حلقها رائحة التربنين المحلى بينما يحوطه عقد مثلَّث من الذهب."[1] أُمر بالموسيقيين فأحضروا وبدأ الرقص : "تمَّ إحضار الموسيقيين ورقصنا . رقصتها لا تقدر، تقترب كثيراً من تلك للشهير حسن الذي حدَّثتك عنه . لكنَّها كانت مع ذلك لطيفة جدا بنسبة ما، وبأسلوب مزهو بنسبة أخرى."[2] غادر (فلوبير) ورجع بعد ذلك في المساء: "عدنا في المساء عند كوشيوك هانم. كان هنالك أربع نساء راقصات ومغنيات معلمات (كلمة معلمة تعني عالمة)، بأسفل أزرق، كأنَّها تفول عاهر لتثبت ذلك، سيِّدي، في كل البلدان هناك نساء الأدب!"[3]

كانت (كوشيوك هانم) امرأة فارعة الطول، لطيفة القسمات، كلَّما مالت يمنة أو يسرة بدت منها ثنيات جسدها تتموَّج تموُّج التلال البرونزية : "استمرت الحفلة مذ السادسة إلى العاشرة والنصف (...) عندما همّت كوشيوك بترع ثيابها من أجل الرقص، أسد لوا على عينيها ثنيا من عمرها، حتى لا ترى شيئا . هذا الحياء ترك فينا تأثيراً مرعباً . أجنبك كل وصف عن الرقصة؛ فسأخفق . عليَّ أن أعرضه بحركات، كي

---

[1]- «Kuchiuk - Hanem est une courtisane fort célèbre. Quand nous arrivâmes chez elles (il était 2 heures de l'après – midi), elle nous attendait, sa confidente était venue le matin à la cange, escortés d'un mouton familier tout tacheté de henné jaune, avec une muselière de velours noir sur le nez et qui la suivait comme un chien. C'était très farce. Elle sortait du bain. Un grand tarbouche, dont le gland éparpillé lui retombait sur ses larges épaules, et qui avait sur son sommet une plaque d'or avec une pierre verte, couvrait le haut de sa tête, dont les cheveux sur le front étaient tressés en tresses minces allant se rattacher à la nuque; le bas du corps caché par se immense pantalon roses, le torse tout nu couvent d'une gaze violette, elle se tenait debout au haut de son escalier, ayant le soleil derrière elle et apparaissant ainsi en plein dans le fond bleu du ciel qui l'entourait. C'est une impériale bougresse, tâtonneuse, viandé, avec des narines fendues, des yeux démesurés, des genoux magnifiques, et qui avait en dansant de crânes plis de chair sur son ventre. Elle a commencé par nous parfumer les mains avec de l'eau de rose. Sa gorge sentait une odeur de térébenthine sucrée. Un triple collier d'or était dessus.»

Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:607.

[2]- «On a fait venir les musiciens et l'on a dansé. Sa danse ne vaut pas, à beaucoup prés, celle du fameux Hassan dont je t'ai parlé. Mais c'était pourtant bien agréable sous un rapport, et d'un fier style sous l'autre.»

Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:607.

[3]- «Le soir, nous sommes revenus chez Kuchiuk - Hanem. Il y'avait 4 femmes danseuses et chanteuses almées (le mot almée veut dire savante), bas bleu, comme qui dirait putain ce qui prouver, Monsieur, que dans tout les pays les femmes de lettres!»

Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:607.

تفهم، وأكثر ! أشك."[1] قضى (فلوبير) الليل في بيتها : "عندما حانت المغادرة، لم أغادر، لم تكترث كوشيوك كثيراً بشأن إبقائنا عندها الليل، خوفا من اللصوص الذين يمكنهم المجيء حين يعلمون بوجود أجانب في بيتها . بقي مكسيم بمفرده على أريكة ، وأنا نزلت إلى الطابق السفلي في غرفة كوشيوك . في حجرة مجاورة، كان الخفر يتحدثون ب صوت خفيض مع الخادمة، زنجية من الحبشة، تحمل على كلتا الذراعين آثار الطاعون . قضيت الليلة في أحلام شديدة مطلقة . من أجل هذا بقيت . أتأمل هذا المخلوق الجميل ينام وهو يشخر، ورأسه متكأ على ذراعي ."[2] من التأمُّل إلى اللذة والمتعة كل شيء قد أنجز وتم [3]، لكن الرغبة في م قابلتها مرة ثانية ظلَّت تشغل (فلوبير)، وقد كان له ذلك فعلا، وبئسا إن كانت الجارية (بونبيه) تعاني أكثر فأكثر من ألم في عينها أو كان الخروف قد مات أو كانت (كوشيوك هانم) مريضة، يصف تلك الزيارة في رسالة ثانية إلى (لويس بوييهت) تعود إلى الثاني (02) جوان 1850 :"عاودت رؤية كوشيوك هانم، في إسنا . كان ذلك محزنا . وجدتها قد تغيَّرت . كانت مريضة. ألقيت نظرة فقط (...) تطلعت إليها مطوَّ لاً، حتى أحفظ صورتها جيِّدا في رأسي (...) فيما عدا ذلك تذوَّقت جيِّداً مرارة كل ذلك؛ هذا هو الأساس، حصل ذلك في أحشائي."[4]

لقد جعلت تلك المرأة حبر (فلوبير) ينسكب وأوحت إلى (لويس بوييهت) بكتابة قصيدة (كوشيوك هانم) **(Kuchiuk – Hanem)** يصف فيها تلك الليلة وصفا مثيراً للغرام والحنين بناها على حكي صديقه وحده[5]، ويبدو أنَّ شذا تلك المخلوقة المشرقة المترفة سيبقى يلاحقه بل سيكون أحد أسباب وفاته؛ إذ أصيب بمرض معد هو (الزهري): "كي تبقى الذكرى السوداوية لتلك المرأة أفضل."[6] وهو من كان يعتقد بازدواجية مواقف الحياة وتناقضها: "أريد أن تكون المرارة في كل شيء، صافرة سرمدية غذ انتصاراتنا، وأن يلثو

---

[1]- «La fête a duré depuis 6 heures jusqu'à 10 heures ½ (...) Quand Kuchiuk s'est déshabillée pour danser, on leur a descendu sur les yeux un pli de leur turban afin qu'ils ne vissent rien. Cette pudeur nous a fait un effet effrayant. Je t'épargne toute description de danse; ce serait raté. Il faut vous l'exposer par des gestes, pour vous le faire comprendre, et encore! J'en doute.»

نفسه. المجلد 01. ص:607.

[2] «Quand il a fallut partir, je ne suis pas parti, Kuchiuk ne se souciait guère de nous garder la nuit chez elle, de peur de voleurs qui auraient pu venir, sachant qu'il y'avait des étrangers dans sa maison. Maxime est resté tout seul sur un divan, et moi je suis descendu au rez - de - chaussée dans la chambre de Kuchiuk. Dans une pièce voisine, les gardes causaient à voix basse avec la servante, négresse d'Abyssinie qui portait sur les deux bras des traces de peste. J'ai passé la nuit dans Des intensités rêveuses infinies. C'est pour cela que j'étais resté. En contemplent dormir cette belle créature qui ronflait, la tête appuyer sur mon bras.»

Gustave Flaubert: Correspondences. T.01, p:631.

[3]- Patrick Wald Lasowski: Te rappelles- tu Kuchuc - Hanem? Magazine littéraire - Flaubert. N° 250, février 1988, pp: 45 - 46(بتصرف).

[4]- «A Esnèh, j'ai revu Kuchiuk - Hanem. Ça été triste. Je lai trouvée changée. Elle avait été malade. J'ai tiré un coup seulement (...) JE l'ai regardée long temps, afin de bien garder son image dans ma tête (...) Du reste j'ai bien savouré l'amertume de tout cela; c'est le principal; ça m'a été aux entrailles.»

Gustave Flaubert: Correspondance. T.01, p:691.

[5]- Louis Bouilhet: Kuchiuk - Hanem vue par Flaubert (poéme dédié à Gustave Flaubert). Magazine Festons et Astragales, 1859.

[6]- «Pour que la mélancolie de ce souvenir d'une femme me reste mieux.»

Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:455.

القنوط نفسه في الحماسة. ذلك يذكرني يافا، حيث، استنشقت ع ند دخولنا رائحة الليمون والجثث في آن."[1]

أراد (فاروق سعد) تلك المرأة مجهولة لأن وجودها إهانة للثقافة العربية، فلبس وضعية المدَّعي العام في كتابه (فتح ملف كوتشوك هانم) ولم يترك ذريعة إلاَّ واستخدمها، ولن يكف عن متابعة أدق التفاصيل في حياة (فلوبير) كي يقنعنا أن كل ذلك كان محض خيال واختلاق؛ فيرى أنَّ (فلوبير) ولإسكات غيرة عشيقته الشاعرة (لويز كوليت) جعلها أي المرأة الشرقية من غير عاطفة لا تفرِّق بين الرجل وغيره من الرجال وكأنَّها مجرد آله[2]، أمَّا (رقصة النحلة) الشهيرة التي يفترض فيها أنَّ الراقصة قد تعرَّضت لقرصة نحلة وعبر بحثها عنها تقوم بوصلة (ستربتيز) فهي على ما يبدو نوع من رقصنا التراثي ويمكننا القول أننا نحن الذين أورثناه للغرب[3]، ونجدها فكرة مفارقة وجذابة أن تكون الغاية من (فتح ملف كوتشوك هانم) هو (غلق ملف كوتشوك هانم)! لكنَّ (منى فياض) فضَّلت ترك الباب مواربا قليلا حتى نعتقد بوجود هذه المرأة إذا ما أحببنا ذلك فنحن نقرأ في الكتاب الكريم: **چۋ و و ۋ ۇي چ**[4] أو لنعدَّها إحدى حكايات حكايات (شهرزاد)، فالتَّكرار في قصِّ (فلوبير) يوحي بالحكي الشفهي.[5]

---

[1]- «Je veux qu'il y'ai une amertume à tout, un éternel coup de sifflet au milieu de nos triomphes; et que la désolation même soit dans l'enthousiasme. Cela me rappelle Jaffa où, en entrant, je humais à la fois l'odeur des citronniers et celles des cadavres.»

نفسه. المجلد 02، ص:283.

[2]- سعد فاروق: فتح ملف كوتشوك هانم. ص:89.

[3]- نفسه. ص:87.

[4]- سورة فاطر. آية[18].

[5]- منى فياض: الغائية لا تلطخ شرف ثقافتنا (عرض كتاب: فتح ملف كوتشوك هانم لفاروق سعد). ص ص:76 - 81(بتصرف).

خلاصة عامة:

إذا اكتفينا بهذا القدر من تجوال الرحَّالة في تلك البلدان وتدوين الحالة العامة أمكننا تلخيص ذلك من خلال ما يلي:

1- **النظرة البرَّانية**: وصف للمدن الشرقية ومبانيها وطبيعتها ومناظرها.

2- **النظرة الجوَّانية**: الحياة الشرقية ونظمها.

اتفقت أو اختلفت تلك الرحلات في نقاط عديدة ولعل الاختلاف يكمن في طريقة تناول الصور: صلة الرحَّالة بالمحيط والناس واجتهاد كل واحد منهم في دراسة أخلاقهم وطبائعهم والتحقيق في دياناتهم ونظم حكمهم.[1]

جاءت انطباعاتهم جمالية في المقام الأول تلتها الانطباعات السياسية والاجتماعية [2]، ولم يعد التركيز على وصف الآثار والمتاحف والمؤسسات والكنائس بل على الرجال والنساء وعلاقتهم بمحيطهم .[3] جاء على لسان (فلوبير):"الأهرام، غير نافع."[4]

اهتمامهم بالتفاصيل بدلاً من تعمي مات الأدب الكلاسيكي، وكأنَّهم يريدون إرضاء نهم القرَّاء إلى الشرق العجيب.

اندفع الجيل الرومانسي إلى طريق الشرق متنكرا أو كاشفا عن هويته وخضع لأسراره وآلهته وعبقه الأسطوري ومدنه العالية الألوان وشعوبه المتحمِّسة وحمقه أحيانا [5]: "سحر شرق بربري، وبخيال قوي تستطيع أن تحققه الكتابة."[6]

إشباع رغبة خيالية اختمرت في ذهنهم [7] يمكن اختزالها بالفجوة بين الواقع والخيال [8]، عملت الظروف التاريخية على زيادة نشاطها وفاعليتها [9]، وأدَّت إلى تعميق المجال المغناطيسي [10] وتغذية الأحلام؛ [11] بحار صحاري، أصالة التراث والحياة، رجال يلبسون الجلابيب ويعتمرون العمامات، نساؤهم تسدلن خمرهن، مآذن، سجاجيد مزركشة، نحاسيات، سيوف برَّاقة، خناجر مزخرفة، ملاعبي الثعابين، الحريم، الجِمال، الأسواق، توابل، الشاي بالنعناع الذي يُصب من ارتفاع شاهق في أكواب صغير ة موضوعة على صينية منقوشة من معدن لمَّاع... كلُّ ذلك كان غريبا عنهم وربما تاقوا إلى رؤيته في بلدانهم، هذا ويمكن أن تضفي

---

[1]- د.عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. دت. ص:61.

[2]- مجدي وهبه: الأدب المقارن ومطالعات أخرى. ط01. ص:21(بتصرف).

[3]- د. إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي. مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات). بيروت: يونيو 1975م. ص:55(بتصرف).

[4]- «Pyramide. Ouvrage inutile.»
Gustave Flaubert: Le dictionnaire des idées reçues. Œuvres complètes. Seuil. Paris quatrième, 1964. T.02, p:305.

[5]- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle – Mallarmé, p:28(بتصرف).

[6]- «La fascination d'un Orient barbare, au fantasme de toute puissance que l'écriture pourrait réaliser.»
Catherine Sauvat: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire. Flaubert, N° 250, février 1988, p:39.

[7]- سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية. ص:233.

[8]- محمد هريدي: البوفارية في الرواية المصرية والتركية - دراسة مقارنة. مجلة فصول. ج 02. م 03، ع 03. ابريل - مايو - يونيه 1983. ص:140.

[9]- عبد المنعم محمد شحاته: صورة مصر بين الأسطورة والواقع في الرواية الفرنسية في الربع الأول من القرن العشرين. مجلة فصول. القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب. ج 01. المجلد 03، ع 03. ابريل - مايو - يونيه 1983. ص:186.

[10]- M.L Duf: L'orient romanesque. Montréal, 1946, p:483.

[11]- د.سعيد علوش: مكوّنات الأدب المُقارن في العالم العربي. ص:483.

اللغة الأدبية ظلاً من الغرائبية على وقائع هي عادية كما قد تجنح بالواقعة إلى مستوى فوق واقعي [1]، واللغة كما يرى (رولان بارت) ليست زهدا بقدر ما هي أفق.[2]

جعلتهم هذه النواحي البعيدة يغوصون في: "حمام فتوة حقيقي"[3]؛ فأخذ (لامارتين) يبحث عن ذكريات شبابه وأحس (دو نرفال) أنَّه استعاد شبابه في القاهرة.[4]

توقهم إلى الماضي؛ يعيد (دو نرفال) عند قمة هرم (شيوبس) جملة (نابوليون): "يتأمَّلُك من أعلى هذه الأهرامات أربعون قرنا ."[5] ونقرأ لـــ (غوستاف فلوبير) في باب (Festin des soldats) (وليمة الجنود): "تقريب التفاصيل المختارة جيدًا يعطي انطباع الحياة ورؤية للماضي معا."[6]

استقبال ضوء الشرق وترك غيوم أوروبا الرمادية إلى حين: "تملك طعم ولون المشرق."[7]

جاءت الصحراء في اللغة اللاتينية بمعنى المكان غير المأهول من قبل البشر [8]، ويبدو أنَّها بقيت مرتبطة بالتيه وطريق القوافل المهجور عند من عاشوا تجربتها واقعا أو الخيال.

يريد الرحَّالة الأديب تأكيد معالم ذاته وحضارته؛ فيحاول (شاتوبريان) إثبات عبقريته الدينية وتفوُّقه العرقي وينقِّب (لامارتين) في جنبات الشرق وآثار الله المنقوشة عن إمبراطوريته الماضية.

التراوح بين الموضوعية وعدم الدقة في المعلومات وتفسير الأمور حسب تصوُّر مسبق [9]، وترى (كريستينا) أنَّ الاقتباس هو نوع من استحضار النصوص الغائبة[10]، أمَّا تقريب فكرة مسبقة وفرضها بالقوة ضمن نضام بلاغي فذلك هو (خطاب الرحلة)؛ وقد حكم (شاتوبريان) على اسطنبول من قبل أن تطأها قدمه أنَّها عاصمة الشعوب المتوحشة [11]، وقبل أن يصل إلى الإسكندرية حكم على مصر أنَّها بلد الجهل والبربرية[12] ثم جاءت مشاهداته لتطابق الأحكام وقد كان على الحكوما ت المسيحية أن تعرف: "شعب يبني نظامه الاجتماعي على الرق وتعدد الزوجات يجب إرساله إلى فيافي المغول ."[13] وستسهر والدة (لامارتين) التي تحبُّه كثيرا عليهم أثناء هذه الرحلة : "ستحل مثل عناية إلهية بيننا وبين الزوبعة، بيننا وبين عربي

---

[1]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:71.

[2]- د.محسن الرملي: هكذا تكلم فلوبير .. في حق وجرأة. مجلة أفق. الطبعة الاكترونية:
http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=1840

[3]- «Bain de jouvence.»
Hacéne Saadi: La construction de l'identité de l'autre à travers des textes littéraires français; de Chateaubriand à camus. HERMES 30. Cognition - Communication - Politique. Stéréotypes dans les relations Nord - Sud, p:57.

[4]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.02, p:87(بتصرف).

[5]- «Du haut de ces pyramides quarante siècle vous contemplent.»
Gérard de Nerval: Voyage en orient. T.01, p:82.

[6]- «La juxtaposition des détails bien choisis, donne à la foi l'impression de la vie et la vision du passé.»
Gustave Flaubert: Salammbô, p:217.

[7]- «Tenait le goût de l'orient et de la couleur»
Emile Abry, Charle Audic et Pauc Rouzet: Histoire illustré de la littérature Française - Précise méthodique. Toulouse: Privat, Paris: Didier, 1942, p:40.

[8]- د.أحمد عبد الرحيم مصطفى: عاشق الشرق بيير لوتي. مجلة عالم الفكر. ص:245.

[9]- محمد فجه: صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام مجلة التراث العربي. دمشق: إتحاد الكتاب العرب. السنة الرابعة والعشرون، ع 97. آذار 2005م الموافق لـ 1425 هـ. ص:273.

[10]- من محاضرة الأستاذ.الدكتور. الأخضر عيكوس لطلبة الماجستير. شعبة: أدب الرحلات (دورة أكتوبر 2003). مقياس: أدب الرحلة.

[11]- Chateaubriand: Itinéraire. T.01, p:78(بتصرف).

[12]- Chateaubriand: Itinéraire. T.05, p:274(بتصرف).

[13]- «Un peuple dont l'ordre social est fondé sur l'esclavage et la polygamie qu'il faut renvoyer aux steppes des Mongols.»
François- René de Chateaubriand: Mémoires d'outre- tombe. T.02, p:XXIX.

الصحراء!"[1] وتوقّع (دو نرفال) ما سيراه في جولاته بالقاهرة، وفعلا كان يجده مهدَّما ولكنَّه حقيقة واقعة، [2] واقعة،[2] كآخر ما خلّف الفن العربي. كما حلّت الواقعة محل التوقع بالنسبة لـــ (فلوبير).[3]

ظل إعجابهم سلبيا كإعجاب الناظر المتفرج واقتصروا على تلك المتعة الوديعة الهادئة التي لم تنقلب إلى: "امتزاج قوي بين روح وروح وبين دم ودم لتنفذ روح الشرق إلى أعماقهم وتتفاعل تفاعلا قويا بل وتتحد بكل عنصر من العناصر "[4]، وتتضايق الدكتورة (دولت صالح العرب) عندما تقرأ رسائل (فلوبير): "نعم الشرق تحت الملاحظة وبعناية ومع هذا فإن الأمر لا يتجاوز ذلك"[5] إذ كان مثل: "أغلبية الأوروبيين الذين رأوه بعين عابرة وكأنَّ الركن الشرقي في متحف الشمع وقد عاد إلى الحياة"[6]، ولم يلتزم (فلوبير) قط يقول (سارتر) وعيَّ بفكره عمَّا يحيط جسمه.[7]

الاحتفاء بالجسد الشرقي، وكأن الكاتب الفرنسي يريد أن يضفي على مغامراته النسائي ة العابرة صورة تبادل ثقافي وولوج إلى سحر الشرق كما لو أنَّ الثقافة أصبحت شأنا جسديا أي بكلمة واحدة : الفعل أو أنَّ الحب أصبح خطوة أولى في مشروع تغيير ثقافي سرعان ما تتخلى عنها الأكثرية راجعين إلى ثقافة الأصل حتى تقدِّم لهم حبا بلا أسئلة وبلا جهد . يجزم (إدوارد سعيد) أن العلاقة بين الشرق والغرب كانت دائما علاقة ذات بعد جنسي يوضع بموجبها الشرق في مقام الأنثى العذراء المتمنِّعة والغرب هو الفحل يمارس سطوته وقوته الذكورية [8]، ويقوم الغرب بتفعيل عملية استعمار الشرق يقول (إرك مير) في (الاستشراف الرومانسي في عين الآخر) ضمن اقتصاد قصصي مستنبط من إعادة ترتيب الثنائيات الجنسية تخدم التمييز الرئيس بين الشرق والغرب يخترق فيها الأنا المذكر الأوروبي فضاء الشرق المؤنث المتحجِّب [9]، ويصنَّف المحلل النفسي الفرنسي (جورج روماي) في معجمه الضخم (معجم الرمزية) الصادر بباريس عن دار (ألبان ميشال) سنة 1995 ملفوضات أحلام اليقظة لدى أكثر من ثلاثمائ ة شخص وما يحيطها به الخيال الجمعي الفرنسي والغربي عموما من دلالات مثل أعضاء جسد الإنسان أو الألوان أو المعادن أو الحيوانات أو الأعشاب أو الكواكب أو الأشكال، وينتهي الدكتور (محمد لطفي اليوسفي) إلى أنَّ الغرب لم يتحرر من عقدة النظرة الاستعلائية وأنّه من هنا المشروعية التي منحها لنفسه حتى يهيمن على شعوب الشرق المصنَّفة في خانة الضعف والجهل والتخلف : "صورة الشرق باعتباره عالما حسِّيا شهوانيا ضاربة بجذورها عميقا في صميم المتخيَّل الغربي وما ابتناه من رموز وتشخيصات في رحلة تعرُّفه إلى الآخر الشرقي المختلف

---

[1]- «Elle se place comme une seconde providence entre nous et les tempêtes, entre nous et L'Arabe du désert!» Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[2]- Alain Couprie: Voyage et exotisme au dix- neuvième siècle; Chateaubriand - Hugo - Nerval -Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé. P43(بتصرف).

[3]- Gustave Flaubert: Correspondances. T.01, p:214.

[4]- عيد الرحمن بدوي: جيته والشرق. مجلة الثقافة. السنة الأولى، ع 25. الثلاثاء 02 جمادى الأولى سنة 1358 هـ الموافق لـ 20 يونيه سنة 1939م. ص:15(بتصرف).

[5]- د. دَولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:98(بتصرف).

[6]- نفسه. ص:87.

[7]- Sartre: Les mots, p:58(بتصرف).

[8]- Edward W.Said: L'orientalisme- l'orient crée par l'occident, Traduction: Mona Cholet. Seuil, 1980, p:101(بتصرف).

[9]- Eric Mayar: Romantic oriental in the eye of the other, p:65(بتصرف).

وهي تمتلك سلطة الأنماط العليا وتعمل عملها."[1]

أضفى الرحَّالة من رومانسيتهم المتدفّقة الكثير [2]، وكان التذمر والانطباع المتكرر برتابة الظواهر والإحساس بالغربة بعض من مشاعر الرومانسية الفرنسية التي تسرف في العاطفة وتعتقد البكاء والندب والنظر إلى الأمور نظرة ثبوتية مستسلمة [3] بدل المنحى التفاؤلي التنويري المؤمن بتحرير الإنسان الذي تتبناه المدرسة البريطانية[4]، وهذا (لامارتين) مثلا يعتقد أنّ الشعر ما أظهر الإنسان بالدرجة الأولى [5] وأبدع الأغاني الأغاني ما تسربل بالأسى وما من شيء يجعلنا عظماء كألم عظيم.[6]

يبدو أنّ أجواء الحروب الصليبية والواقع الاستعماري والتحدي الحضاري لم يفارقوا العالمين الغربي والإسلامي على طول الخط تقريبا، وقد شهد الوعي الغربي ثورة شرقية نابعة من روحية العصر وعرف عن كثير من كتاب وشعراء المدرسة الرومانسية اهتماماتهم السياسية.[7]

صدمة الرحَّالة بواقع يتنافر مع أحلامهم وهكذا صدمة كانت تتركهم مستاءين ساخطين، ولعلّ إخفاقهم في فهم الحياة الشرقية يعود بنسبة كبيرة إلى تركيزهم على عالم السراي والجواري [8]،أمَّا لفظ (الحريم) فقد استعارته أدبيات الاستشراق ووسَّعت في توظيفه إلى حد نسف معناه الأصلي.[9]

ويبقى لكل رحلة من تلك الرحلات قضايا ومقاصد، ويبقى لمستوي التجربة دور في جعلها عمل يحمل انطباعات ورؤى وتصوّرات ومشاعر وأبعاد ومواقف أيضا . وهي فرصة لمشاركة الرحَّالة تفكيره، وسواء كانت تقصِّياً أركيولوجيا أو رحلات اثنوغرافية أو غيرها فهي في نهاية المطاف أقرب إلى بحث عن شرق مفقود .. فردوس مفقود، غير أنَّه لا بدَّ من مراعاة الفترة التي تفصل بين تلك الرحلات؛ فبين رحلة (فلوبير) مثلا منتصف القرن التاسع عشر ورحلة (شاتوبريان) في بدايته حوالي نصف قرن من الزمن، وقد كانت فترة كفيلة كي يشهد المشرق العربي تحديثا جوهريا في بنا ه. كما شهد زمن (لامارتين) في الربع الأول من القرن التاسع عشر ميلاد طرائق عيش مختلفة ومشاعر مغايرة . ولعل ذلك هو ما جعل (إدوارد سعيد) لا يقنع بالقراءة فقط بل يتعدَّاها إلى مناقشة كتابات الرحَّالة مناقشات عميقة.[10]

---

[1]- د.محمد لطفي اليوسفي: قضية حيوية - صورة العربي في المتخيل الغربي. مجلة الثقافة النفسية المتخصصة. الرياض: مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية. م 13، ع 05. نيسان - ابريل 2002. ص: 08.

[2]- محمد فجه: صور من العلاقات المتبادلة بين أوروبا وشمال بلاد الشام. مجلة التراث العربي. السنة الرابعة والعشرون، ع 97 . آذار 2005م الموافق لـ 1425 هـ. ص:273.

[3]- د. حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:161.

[4]- نفسه. ص:161(بتصرف).

[5]- زبير دراقي: محاضرات في الأدب الأجنبي. ص:43.

[6]- حسام الخطيب: الأدب الأوروبي تطوّره ونشأة مذاهبه. دمشق:1972م. ص:151.

7- ليلى عنان: الرومانسية الفرنسية بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي. مجلة فصول. م 03، ع 04. ص:115.

[8]- Ernest Bernecke: Femme barbare, p:57(بتصرف).

[9]- H.R.P Dickson: The Arab of the desert. George Allen & unwinltd. London,1959, p:632(بتصرف).

[10]- د.عمر بن قينه: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا، وأنواعا، وقضايا، وأعلاما). ص:19.

الخاتمة

كنت أظن أنني أستطيع المرور مرَّ السحاب على موضوع انتشار أدب الرحلات في المشرق العربي عن طريق أقلام فرنسية، لكن تبيَّن أن تلك التجربة تتطلب تقييماً للموضوع بكل تعقيداته وسعته، والشرق كإكيان جغرافي متنوِّع وعجيج بشري وديانات مختلفة أشبه بالغوص في محيط واسع إضافة إلى أن دراسة صورة مجتمع ما تطرح على الباحث مشكل منهجي يتعلق بنوع خاص من الأدب المقارن هو (علم الصورة)؛ فلا منهج علمي مستقر وإنما مجرَّد جملعات من الباحثين تعمل باستمرار على تحسين وسائلها في البحث ذلك أن انعكاس الصورة لا يتم أبداً كالصورة الفوتوغرافية[1] وإنَّما كرؤية للعالم موجهة بإيديولوجية بإيديولوجية الكاتب وذاتيته[2]، فلا وجود لصورة محايدة وإنما مكوِّنات نظرية تتعامل مع كتب الرحلات التي التي يختلف حجمها من كاتب إلى آخر كما تختلف مستويات التعبير وطرائقه بينهم، ولننطلق من افتراض أن ولادة الصورلوجية تكون مصاحبة لانبتاق الوعي الوطني الذي يأخذ في تأويل معنى الآخر الأجنبي بطريقة مُغرقة في الميثية (ميثات وطنية) وأن مفهوم الصورة الأكثر إبهاما يستدعي تقليدا عمليا صاغه (دانيال هنري باجو) كالآتي:"كل صورة إلاَّ وترتبط بوعي كيفما كان حجمها بـــ (الأنا) في علاقتها بـــ (الآخر) وبالـــ (هنا) في علاقته بالـــ (هناك) وتصبح الصورة من ثمة نتيجة لبعد دال بين واقعين ثقافيين."[3] كيف صُنعت إذاً صورة العرب؟ هل هي أسطورة ثقافية أم لعبة مصالح لم يعلن عنها أصحاب تلك الرحلات؟ ما وراء دوافعهم المباشرة من حالات هروب إلى أماكن أكثر نقاء وبراءة وولوج الشرق عبر (إيزيس) والأساطير وعالم الأحلام وبحث عن الشمس خارج العالم الرمادي؟ لقد كانوا ملهمين، واهتدوا بالنجمة.. فهل استطاع هؤلاء الرحَّالة من أدباء أوروبا العظام الذين بهرتهم حكايات الشرق فحجُّوا إليه أن يجتازوا المسافة الملتبسة بين الواقع والخيال أم أنهم سقطوا في الفخ ذاته الذي سقط فيه المستشرقون المحترفون؟ هل استطاعوا أن يفهموا الشرق حقا أم ما زال الشرق الذي يحيا في مخيِّلاتهم؟ هل استطاعوا التعرُّف على الآخر والتعريف به وبثقافته أم اكتفوا باستلهام مبادئ المذهب الرومانسي من حريق وتمرد وعودة إلى التاريخ والماضي وروح مسيحية؟[4] هل تغيَّرت نظرتهم إلى الشرق عمَّا كانت قبل القرن التاسع عشر وما هي عليه بعده؟

الإشكاليات ومعايير التغير بين التاريخ والسياسة:

يبسط الاستشراق أمام القارئ مادة وفيرة وفي مستويات قابلة للتعريف والتعرُّف كالتالي:-

المعرفة الدينية: التعرف على الشرق الإسلامي هو تقليص لخطورته على المسيحية.

المعرفة الموسوعية: محاولة اختزال الشرق في مجرد خزانة للأرشيف تضم روح تفوُّق الحكمة.

---

[1]- Pierre Macherey: Pour une théorie de la production littéraire. Maspéro.Paris,1980, pp:123 - 181.

[2]- الأخضر الزاوي: دراسات في الأدب المقارن - صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو {دراسة فنية مقارنة}. مجلة جامعة باتنة.1998م. ص:55.

[3]- د.سعيد علوش: مكوِّنات الأدب المقارن في العالم العربي. ص:480.

[4]- Phan.Van Tieghem: Le romantisme; histoire de la doctrine. Les documents France sous la direction du Guy Michaud, p:196(بتصرف).

المعرفة الأركيولوجية: التأكيد على ماضي الشرق والعودة إلى آثاره على حساب نهضة الوطنيات وحضارة العصر الحية المتطوِّرة.

المعرفة الرومانسية: استجابتهم لذوق غرائبي وافتتان روحي غطّى على الازدهار المادي.

المعرفة الشبه علمية: هيمنة الوصف الاثرولوجي والجغرافي والسروسيولوجي على الوصف الميثي.

لم تكن كتابات المستشرقين مجرد سطور في بطون الكتب لكنها كانت ذات: "أثر ملموس في وجدان الرجل العادي من الغرب."[1] وللاستشراق مركز من السيادة لم يعد في وسع الإنسان الغربي معه أن يفكِّر في الشرق أو يكتب عنه أو يمارس فعلا متعلقا به دون أن يأخذ في عين الاعتبار الحدود المعوِّقة التي فرضها على الفكر والفعل إيمانا منه بأنَّ: "ما نفعله (نحن) ويعجزون (هم) عن فعله أو فهمه كما نفعله (نحن)"[2]، وكأنَّ الغرب دخل واهياً مهنة إسمها (الاستشراق) بناء على قرار اتخذه مفاده أن الشرق هو الشرق وكفى، وعند ذلك أسطورة الطبائع الثابتة والمتمايزة بين الشرق والغرب فإذا بها أسطورة اختلقها الغرب حتى يمنح لنفسه مشروعية الهيمنة على شعوب الشرق المصنَّفة في خانة الضعف والجهل والتخلف[3] ليأخذ الشعور بالفوقية في التنامي حين وجد الغرب المسيحيِّ المتسلِّط في التطوُّر التقني مبررا قويا لاستعمار افريقيا وآسيا حتى أعماق البحار البعيدة ، وكأنَّ ليس من حق هذه الشعوب التمتع بالحرية والإخاء والمساواة التي نادى بها الثوار، ما يدل على سياسة الكيل بميزانين و تأصُّل آفة التعصُّب الجنسي والديني في تلك المنظومة الاستعمارية والامبريالية[4]، ولا يمكن تأثير المؤسسات العلمية بصفة عامة وكتابات العلماء الطبيعيين

(Les avatars de lascience de QI) عن مصر وتلك الرحلات العلمية البيولوجية الأنثروبولوجية في الربع الأول من القرن التاسع عشر[5] التي أقوَّت في الأخير بشرعية عدم المساواة بين الأجناس، وتدخل رحلة (البيجيل) سنة 1839[6] والتحديدات البيولوجية لـ (داروين) ضمن تلك الدراسات: "الداروينية بمعلوماتها وبتطبيقاتها الإيديولوجية والاجتماعية إرث العلماء الطبيعيين وتصنيف الأجناس."[7] ولعل شهرة رحلة (تشارلز داروين) داروين) في تاريخ العلوم يعود إلى جانب جمالها وقدرتها على اجتذاب القرَّاء لجمعها كمية ضخمة من العيِّنات البيولوجية التي استخدمها كأساس لنظريته عن النشوء والارتقاء؛ من تحديد بيولوجي إلى مشروعية اللا مساواة وعدم الاعتراف بالآخر.[8]

---

[1]- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01. ص:80.

[2]- نفسه. ص:09.

[3]- نفسه. ص:78.

[4]- عمر كوش: عرض كتاب جان جبور (النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي). الرياض: مؤسسة البيان للطباعة والنشر، دار النهار للنشر 2001م. ص:212.

[5]- Hacéne Saadi: La construction de l'identité de l'autre à travers des textes littéraires français de Chateaubriand à Camus. HERMES 30; Cognition, Communication, Politique. Stéréotypes dans les relations Nord - Sud. Ce numéro est publié avec le concours de Centre national du livre CNRS. Editions Paris, 2001, p:145.

[6]- د.إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي. مجلة الهلال. (عدد خاص بأدب الرحلات). يوليو 1975. ص:54.

[7]- «Darwinisme, avec ses informations, ses implications idéologipues et sociales, hérésie du QI, et la classifIcation des races.»

Jaques Ruffié: De la biologie à la culture [02vols]. Flammarion,1883, vol 02. Chap.O6, pp:167 - 189.

عن: Le racisme et antisémitisme، يمكن العودة إلى واحد من كنوز العصر قبل الماضي في فرنسا:

Joseph Arthur: comte de Gobineau et Vachex de la Pouge.

[8]- د.إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي. مجلة الهلال. (عدد خاص بأدب الرحلات). يوليو 1975. ص:54(بتصرف).

الشرق المؤنث:

تفتُّح المجتمع الفرنسي البرجوازي في القرن التاسع عشر وسط أجواء الليبرالية العملية حيث العلاقات الجنسية أمر طبيعي قابل المبدعون بفضاء مفتوح على كل الأحلام المذمومة وعلى كل الإغراءات الشهوانية الممنوعة وهنا تطفوا معا دلة: [الشرق/المرأة] في لا وعي العقل الباطني الرجل الأبيض قبل الموعد ، يقول الأستاذ الراحل (ادوارد سعيد): "ميل تحجيمي يتجسدَّ في تمسُّكه بعدد من الأفكار المتكررة وتشخيص الإسلام على نحو لا محدود يتوسل كليشهات معدودة وتعميمية على نحو لا مبال وأنماط إيحائية كالحريم ، وهي منتشرة بشكل يُكسب هذه الكلمة المستعارة والمضخَّمة قيمة مفهومية وفوق نصية تختلط فيها الحقيقة بالخيال وتستثير انطباعا سلبيا في العقل الغربي مستحضرة قائمة طويلة من الممارسات من نوع تعدد الزيجات واتخاذ المحضيات والطلاق وضرب الزوجات والحجر على النسوة فيما يسمى بـ (سراي الحريم) الخاص بالسلطان والمتنفذِّين وغيرهما، وتستقطب هذه الكلمة دلالات إضافية توحي بانطباع منمَّط غير واقعي عن عالم شرقي لا زمني يطفو هائما بلا هدف فوق محيط متلاطم بالحسيِّة ويعج بالطغاة والخليلات والمخنَّثين والغلمان وشخصيات شاذة أخرى دأبت على مداعبة الخيال الغربي منذ ترجمة ألف ليلة وليلة (الليالي العربية كما يفضلون تسميتها)، وإذ تتقمع دلالات الكلمة لتغدو فكرة مثقلة ومفتاحية وجاهزة أمام الكتاب والشعراء الرومانسيين ومن تلاهم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وحتى اللحظة."[1]

الشرق الإسلامي والغرب الفرنسي:

تفجَّر الصراع مع الدين الجديد بأشكال شتى منذ انبثاق الدعوة الإسلامية ، وكان قيمةً ومصدراً وقبلةً أجبرت (شاتوبريان) على النقاش و(لامارتين) على التفكير في المصالحة و(دو نرفال) على التفسير والدفاع، لكن يبدو أن ملامح الصورة التي رسمها الرحَّالة الفرنسي عن الإسلام وأهله لم تخرج غالبا عن تلك في أدب الرحلة الغربية إلى بلاد الإسلام بل عملت على تعميقها في الوعي الثقافي، وأيت مراجعة بغض النظر عن عجالتها للتأريخ الأوروبي الإسلامي[2] بوصفه دينا جديدا نسبيا مقارنة باليهودية والمسيحية لن تخفق في إماطة اللثام عن الكيفية التي تم بها دمج الحريم فكرة ومفهوما في كل نشاط ذهني أو إبداعي للمحمديين [3] مثلما تعمَّدت أدبيات الاستشراق تسميتهم ، ولعله عداء يعود إلى تبرِّي قضايا الاستشراق الساقط؛ أي هي جريمة المؤسسة الاستشراقية فيما أطلق عليه (إدوارد سعيد): "الشرق المشرقن" أو: "الشرق الذي يشرقنه"[4] التي: "وضعت الإسلام لدى الإنسان الغربي في سجن التصور الاستشراقي وكان من ضحاياه الأ دباء في

---

[1]- Edward W.Said: Covering Islam - How the Media and the experts determine, how we see the rest of he world? PXI (N.Y) Pantheons Books.1981, p:11(بتصرف).

[2]- لتكوين فكرة متكاملة حول تاريخ التأريخ الأوروبي للإسلام، يمكن الرجوع إلى كتاب:
Muhammad.A.Alda'mi: Arabian mirrors and western sooths a years nine tenth- century; approches to arab - Islamic History. N:Y:peterlang. Publishing, 2002, pp:25 - 40.

3- على غرار اليسوعيين.

[4]- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01. ص:80.

أوروبا القديمة والجديدة"[1]، وانتهى (إدوارد سعيد) إلى أن جو العداء الثقافي للإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر تجذُّرا من الحريتي العلمية التي توفرها تلك البيئة ولعل صدور قرار يم نع مثل تلك الدراسات مستقبلا نشرت قناة الجزيرة تقريرا عنه في نشرات أخبارها يوم الخامس عشر (15) ديسمبر 2003 يثبت صحة دراسته.

البحث عن الذات:

تُقابل عادة كلمة (الغير) أو (الآخر) بكلمة (الذات)[2]، ولا يتردد (Henisch Thierry) في مقدمة كتابه المتميِّز (الشرق المتخيَّل) على التأكيد أن م عرفق الغرب بالشرق هو في النهاية معرفة بذاته وماهيته: "هذا الكتاب لا يتكلم عن الشرق إنَّه يتكلم عنَّا نحن، الشرق لا يمكن تحديده إنَّه في كل مكان؛ في الكتب، في الرسومات، في الشاشات، في الشارع... قريبا جدا وبطبيعة الحال بعيدا هناك..

مكان لكل الكليشهات، مرادف لكل الغرائبيات،

محرِّك كل التناقضات والمغالاة،

أكثر حكمة، وأكثر جنوناً

أكثر عدوانية وأكثر دهاء ... عريق في القدم لا تعيه الذاكرة.

أصل مجرى وليل التاريخ الطويل، لا حدود له.

إنَّ الشرق موجود في رؤوسنا."[3]

ويبقى الشرق بكل ملامحه وصوره تقول (منال تميم): "أيقونة يبحث فيها الغرب عن معالمه وذاته بين ثنايا سحره وفي أعماق غرائبيته "[4]، ويرى (خيري منصور) أنَّ تصوُّر الغرب للشرق هو تصوُّر: "يُنتج فيه الغرب ذاته لهذا سيكون له حصَّته من النفي لذاته"[5] ويختار له (إدوارد سعيد) وكثير من المهتمين بالشرق عبارة: "نفي الآخر"[6] ليعلن بعدها الفيلسوف الأكمل في ظواهرية الروح أن الآخر ضروري لمعرفة الذات وأن تلك الذات يضيف (هيغل) يحكمها قانون النفي والصراع مع الآخر (جدلية السيِّد والعبد) والرحلات باعتبارها واحدة من وسائل الفعل الدفاعي يقول الدكتور (صلاح فضل) لا يمكن أبداً استبعاد انحيازها وما الإستشراق إلاَّ تجلٍّ لنظرية (المعرفة المعلَّقة) في الفلسفة الهيغلية[7]، وبعد ما حدث من عظيم الأمور إثر ثورة 1789 التي أطاحت بطبقة النبلاء وبملكية كانت المسيطرة على البلاد واستبدالها بنظام إقطاعي وإطاحة (نابوليون) بالمفكرين لما أن نتصوَّر ما صاحب ه ذا الزلزال من اهتزاز في كيان المجتمع الفرنسي و تفكك اجتماعي وتحطيم للقيم القديمة يعد أن أسقطت الهزيمة بإله الحرب، و لم يبق للجيل الجديد إلاَّ العودة إلى الماضي بحثا عن أنفسهم وعن معالم وجودهم فكان التعلق بالقيمة الوحيدة التي تعلو بقوتها كل قيمة دنيوية

---

[1]- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01. ص: 75.

[2]- د.حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور الثوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. ع 138. شوال 1409هـ الموافق لـ يونيو - حزيران 1989م. ص:195.

[3]- Thierry Henisch: L'Orient imaginaire, p:57.

[4]- منال تميم: الشرق عند رحالة الغرب - أرض السحر أم أرض التوراة؟ ص:07.

[5]- خيري منصور: الإستشراق - الوعي السالب. ط 02. غلاف الصفحة الأخيرة من الكتاب.

[6]- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01.

[7]- د.صلاح فضل: تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية. مصر:1980م. ص ص:56 - 59.

وهي دين الآباء (المسيحية)[1]، وإذا بأرض الشمس وقوافل الإبل والطبيعة الخلاّ بة تتسم أمامهم كمهد للتوراة والنور والسحر فحجُّوا إليها يبحثون عن حضارتهم وأصولهم الدينيّة في رمال صحراء الشرق الذهبية وعن إمبراطوريتهم تحت ظلال شمس الشرق الحارقة وعن أضواء حضارتهم بين نجوم ليل الشرق الساحر (L'orient biblique et social..) وإن اختلفت مقاربات هؤلاء الرحّالة فإن خط سير الرحّالة الرومانسي يمدنا بفكرة دقيقة مفادها أنّهم كانوا يبحثون عن أصالة مفقودة في أماكن أسطورية وكذا في استمرارية العادات الشرقية، لكن يبدو أنّهم كلما حفروا في تربة الآخر ازدادوا غموضا، فهل حقاً ترتمي الرحلة إلى المعرفة بالذات وهل هي حقاً جزء أصيل من الحياة الإنسانية على هذا الكوكب ووسيلة لسبر أغوارها؟

النظرة الفوقية/الدونية:

قسّمت الميتافيزيقا العالم إلى أنوات وفق أقطاب متقابلة ومتعارضة فرّقت بين مختلف شعوب الأرض؛ فوُضعت الذات في قمة الهرم بوصفها قطبه الموجِّ ه والمحدِّد بينما أخذ الآخر في التواري والغياب ملعونا وهامشيا، ونشأت تاريخياً المفاهيم الدّاعمة لتمركزاتها ومختلف إفرازاتها وبرز على خلفية المتخيّل والميتافيزيقي ثنائيات تضليلية تعكس صوراً نمطية مشوّشة تستهلك بلا حدود في سياقات غامضة بعيدة عن وجودها المتعيّن نحو: الغرب- الشرق / الحضري - البربري/ عصرنه - تقليد / تقدُّم - جمود... وعندما يظهر الرحّالة الترفّع الحضاري على السكان فهو بذلك يساير الفكر الفرنسي بل الأوروبي عامة[2] في ميله إلى اعتبار المجموعة التي ينتمي إليها وثقافتها أكثر تفوّقا من غيرها، ولعل تبنّي الغرب لتلك النظرة الدونية يعود إلى تأثرهم بجملة من الأحكام المسبقة والمواقف المتعصبّة والنظريات العنصرية المغرضة والتفسيرات الاختزالية لهذه البقعة من العالم ترجمها الكتاب بحساسية مرهفة في شكل اصطلاحات ورموز لها معاجمها الخاصة مثل: حق الصدارة – التهذيب – موطن الخيال...[3] وتؤكِّد الشواهد المعاصرة أنّ العقل الغربي يعيد إنتاج الأفكار الأفكار المغلوطة عن الشعوب الشرقية إعلاءً لتفوُّقه وسطوته فيما يجزم (إدوارد سعيد) على أنّ جوهر الإستشراق يكمن في ذلك: "التمييز الذي يستحيل اجتثاثه بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية"[4] أمّا (يوهان (يوهان جيزال) فيختصر شرق الكتاب بقوله: "يقدِّم خطاب الرحلة تناوباً في مشاهد السرد: تنقل، مغامرة، وغيرها... مشاهد وصفية: مناظر طبيعية، تقاليد، أشياء...، تنعكس غالباً في شكل أحكام مسبقة، أفكار مغلوطة،

وآراء ثابتة ينتج عنها مجموع مواقف مثل الرفض، الخوف، الحذر، الخ..."[5]

.. معان تاريخية متباينة:

---

[1]- ليلى عنان: الرومانسية الفرنسية بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي. مجلة فصول. ج02. م 03، ع 04. يوليو - أغسطس - سبتمبر 1983. ص: 122.

[2]- Puckler Muskau: Semilasso in Africa - Adventures in Algeria. [02vols]. London,1837. 02ème édition, Vol 02, pp:273 - 274.

[3]- Catherine Sauvat: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire.Flaubert. N° 250, février 1988, p:142.

[4]- إدوارد سعيد: الاستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01. ص:211.

5 -«Le récit de voyage présente une alternance des séquences narrative: déplacement, aventure, diverses... des séquences descriptive: paysages, coutume, objets..., elle se présent plus souvent sous la forme de préjugés, de stéréotype, et des idées fixes qui induisent ensemble de comportement tels que le rejet, la peur, la méfiance, etc... »

Gilles Boétsch et Christiane Villain - Gondossi: Du déterminisme biologique à la légitimation de l'inégalité et la nom - reconnaissance de l'autre; Racisme et antisémitisme. Hermes30. Cognition – Communication Politique.Stéréotypes dans les relations Nord - Sud, p:33.

يهرب الشعراء الرومانسيون غالبا إلى (الحقيقة الفنية)، ويرى الدكتور (محمد غنيمي هلال) أنّهم بذلك: "يكسبون الحقائق التاريخية ألوانا وإيحاءات فنية وروحية فتبدو كعالمٍ مثاليٍّ أحيانا."[1]

أرض الخلاص:

يسعى الرحَّالة الرومانسي إلى الاغتراب والذكريات والمناظر بحثا عن مكان تبتهج فيه الروح أبديا، عن أرض طفولة، عن حمام فتوة (Bain de jouvence)[2]، عن: "إمكانية خلاص كبرى"[3]، خلاصه من القلق والكآبة والحزن الذي ليس له دواء فيما عرف بـــ (ظاهرة السبلين) أو (داء العصر) أو (مرض الجيل). وتبدو الرحلة إلى الشرق مثل دورة كبيرة (un Grand Tour) انجذب لها الجيل الرومانسي حتى يشبع شهوة أو اشتياق لحب أوديبي فرويدي (الأم، الدفء، الحب)[4]؛ فرحل (شاتوبريان) كي يحب: «Pour se faire aimer»[5] فعشيقته (Nathalie de Noailles) لم تملكنّه من نفسها قائلة له: "سافر أولا، وسأرى بعدها."[6] وكان حب (لامارتين) لـــ (مدام جولي شارل) حبا مثاليا أفلاطونيا امتزجت فيه الروحية الروحية بالجسدية بنغمة سوداوية[7]، أمَّا حب (دو نرفال) الميؤوس منه للمثلة (جين كولون) فقد ألهمه أشكالا نسوية عديدة ظهرت حصريًّ في أعماله، وتجذَّر غرام (فلوبير) للسيِّدة (إليزا شليزنجر) بحمية صوفية[8] ذكّرنا بروايات الحب العنيف.

بين الواقع والخيال:

كان (ابن العربي) يرى أن الخيال قوة خلق تكشف أما التقييم فهو للعقل، ويتهرب مفهومه من المزج الذي تحدثت عنه (ليلى عنان) بين فكر القرن الثامن عشر ومشاعر القرن التاسع عشر[9]، ويضن علماء الظاهر من فلاسفة ومناطقة أن الخيال يكون غالبا تضليليا إيهاميا فيما تميل الرومانسية إلى التركيب وتحاول الجمع بين الخيال والواقع إن في المسرح أو التاريخ أو النقد أو الرواية، وبعد رحلتنا مع (خط سير من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس) سنة 1806 لـــ (شاتوبريان) وتدوينات (لامارتين) في (رحلة إلى الشرق) سنة 1832 و(رحلة إلى الشرق) لـــ (جيرار دي نرفال) سنة 1842 و (رحلة إلى الشرق) لـــ (فلوبير) سنة 1849 وكذا مجموعة (المراسلات) تبيَّن أنَّ الشرق كان طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر أداة تحرٍّ ودراسة لا نشأ أن تتجدد صورته باستمرار؛ تتغيَّر صورته تبعا لاصطدام الأحلام بالواقع، والبعد عن الملاحظات الصارمة للأشياء : "حركة المسافر واحدة أو تكاد وطاقة الخيال التي تدير الخطاب

---

[1]- محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية. القاهرة: مطبعة النهضة، دت. ص:61(بتصرف).

[2]- Catherine Sauvat: Deux voyageurs en Egypte. Magazine littéraire.Flaubert. N° 250, février 1988, p:46.

[3]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:79.

[4]-عمر كوش: عرض كتاب جان جبور (النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي). ص:75.

[5]- Henri Guillemin: L'homme des mémoires, p:149.

[6]- «Voyager d'abord, et je verrai ensuite.»

نفسه. ص:156.

[7]- د.جسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:172.

[8]- موسوعة المعارف الحديثة. الآداب 01. ص:77.

[9]- ليلى عنان: الرومانسية الفرنسية بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي. مجلة فصول. ج02. م 03، ع 04. يوليو - أغسطس - سبتمبر 1983. ص:22.

واحدة هي الأخرى أو تكاد والكل يعوِّلون في إنتاج خطاباتهم على قانون التعجب بغية القبض على الآسر والفاتن والمهيب الذي يثير الخوف والمتعة ."[1] فبدت رحلاتهم مثل سفر باتجاه الأقاصي والنهايات: "بالحلم وفي الحلم يتم ابتناء المعنى وبالحلم وفي الحلم تتم عملية توسيع دائرة المعنى."[2] ولعله شغف يعود في جانب كبير منه إلى الحكايات والأخيلة التي تعاقبت وتتعاقب على المشهد الذهني الأوروبي منذ قرون عديدة عن خزائن الشرق وما تحبل به من قصور عاجية وفاكهة عجيبة وإسراف في الأحجار الكريمة ... فهل وجد شرق ألف ليلة وليلة بعالمه السحري الغامض الخيالي مكانه في الرواية غير صالحة الاستعمال؟![3] إذ اختلطت الحقائق بمزاعم وتأويلات مُبالغ فيها خرجت من الواقع إلى خلق الأدباء الرحَّالة متحطِّمة حدود العقل، وقد انتهى الناقد الكبير (سانت بيف) إلى أن (شاتوبريان) هو وحده: "أول كاتب له خيال يفتتح القرن التاسع عشر ومنه تتدفق كما تتدفق من المنبع المحاسن والعيوب التي نراها حولنا."[4] وليتخيَّل كل واحد منَّا أنَّه رسام رسام لم يسبق له أن رأى الشرق أبداً ، قرأ رحلات (شاتوبريان) و(لامارتين) و(دو نرفال) و (فلوبير)، ويحاول التقيُّد بوصف الرحَّالة والانتباه إلى طريقة التلوين..

الأفكار المغلوطة (Stéréotype):

مركبة أحكام مسبقة سلبية عن مجموعة بشرية ما تفتقد إلى التفريق والصمود أمام التغيرات غرست في الخيال الجمعي وساهم في ترسيخها "كليشهات وكاريكاتير خاطئة"[5] وكم تهكمات موروث في شكل جمل جاهزة ومصطلحات سلبية أصبحت مبتذلة لفرط ترديدها من الرحَّالة، لكن علينا الرَّد على هاته الادعاءات المزيَّفة المُغرضة التي تضرب الإسلام والمسلمين في بلادهم وفي أقدس مقدساتهم، فنحن لا نستطيع أن نحجم دهشتنا مثلا حين نقرأ رسائل (فلوبير): "هؤلاء الشرقيون ألا يتكلمون هم أبدا عن أنفسهم بأنفسهم؟ ألا يعبِّرون هم إطلاقا عن مشاعرهم وعن حضورهم وعن تاريخهم ؟"[6] فـــ (فلوبير) هو الذي يتكلم بلسانهم ويمثِّلهم !

والرحَّالة الكاتب كرديفه المستشرق المحترف: "لم يكن يتقبل صورة موضوعية عن المشهد الإنساني خاصة أنه لم يستمع إلى الإنسان الآخر الذي أمامه ؛ لم يحاوره، لم يسمح له أن يمثل نفسه، بل كان يقول هذا الآخر ويمثله لأن الآخر غير قاد ر على تمثيل نفسه كما يرى الرحَّ الة المتمركز حول اثنيته ."[7] ولعله مسلك كل غربي تجاه الشرقي أو تجاه الآخر الذي لا يراه حقا.[8]

---

[1]- فؤاد: حركة المسافر وطاقة الخيال - دراسة في المدهش والعجيب والغريب. ص:62.
[2]- نفسه. ص:24(بتصرف).
[3]- د.حسام الخطيب: جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص:381.
[4]- الموسوعة العربية العالمية.14، ط 02. ص:08.
[5]- Gilles Boétsch et Christiane Villain - Gondossi: Du déterminìsme biologique à la légìtimation de l'inégalité et la nom - reconnaissance de l'autre; Racisme et antisémitisme. Hermes30. Cognition – Communication Politique.Stéréotypes dans les relations Nord - Sud, p:30.
[6]- Gustave Flaubert: Correspondances.T.1, p:387(بتصرف).
[7]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر : د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:48.
[8]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير . مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:91.

يعتقد الكثيرين أن كتابات الأدباء الرحَّالة تكون في كثير من الأحوال أداةً مكمِّلة لكتب الحضارة الإنسانية لذا يجب الإيمان بجدوى وعي الماضي وضرورته.[1] وما أجدر بنا أن نقوم نحن بقراءة هذا التراث حتى نعرف ماذا نأخذ وماذا نترك ونقف بجسارة على أرضية الحوار لكشف اللثام عن الهوية الحقيقية للثقافة و الذات العربية وإزاحة الغموض عن تراثنا الفكري والإنساني من عقولنا نحن أولا، وإذا كانت كتب التراث تُطبع حولنا بكثرة فعلينا أن نطمح كي تصير أكثر وتتشعَّب موضوعاتها خاصة أنَّها تُصَوِّل لموروث ثقافي وتؤثِّر في إنتاج مفكرين معاصرين وأجيال قادمة وتترك في الذاكرة صوراً لا تمَّحي، وإذا كنَّا نترجم آلاف الكتب التي تتحدث عنَّا كعالم عربي فعلينا أن نضاعفها إلى الملايين ولا بأس إن أفدنا من بعض الإضافات الجادَّة لكتَّاب غربيين تميَّزوا بالحياد والمصداقية دون التعصُّب لجنس أو لون أو مرجعية فكرية جامدة ، وما دمنا نتعلم التاريخ في المدارس فلها لا نتعلم نقده حتى ندخل المنظومة العالمية الحديثة بخطوات واضحة؟ ونحن في حاجة إلى قراءة مستمرة للتاريخ وفتحها على كتب الرحلات كوثائق مكمِّلة لكتب التاريخ و صالحة لتغذية رواية تاريخية، ولعلها تقول ما لا يقوله التاريخ وتوحي بما لا يوحي به، ومن هنا تأتي ضرورة التنبُّه إلى خطرها والحذر من الاعتماد عليها تماما في الدراسة التاريخية، ويبقى على المقارنين العرب البحث عن صوَرِهم في المتخيَّل الأجنبي سواء في قصص الرحل اليوتوبيا أو رواية النقد العام أو الكتابات الكتانية التي تمارس نقد الجزئيات.[2]

صور نمطية:

ساد الفكر الأروبي وآدابه وفنونه في القرن التاسع عشر توجُّه أُحادي لشبه رفض عنيف وعدواني كأنَّه نهائي اتجاه المنطقة العربية تراوح بين الازدواجية ومحاولة التوفيق بين المتناقضات؛ الهدم – البناء، النفي- الإثبات، العلم – الدين، العقل – القلب، الماضي – الحاضر، الاستقرار - التقدم...[3] ولم يلتزم أصحاب الإيديولوجيات الدينية ولا الإيديولوجيات الثورية جانب الموضوعية فيما قدَّموه ، بل وقعوا تحت أسر انحراف إيديولوجي أملى عليهم مواقف عدائية[4] قوامها بديهيات وقوالب نمطية جامدة يعوزها البرهان على صحتها انزلقت إلى أسطورة الطبائع الثابتة التي تقول بثنائية العقلية الغربية والعقلية الشرقية؛ الأولى منطقية وهي في تقدم مستمر بينما تعيش الثانية اللا عقلانية حالة ركود دائم، وأصبح الرحَّالة يحمل معه وهو يشرد رحاله صورة مسبقة عن شرق مخلوق مفتعل: "شرق خيالي غير موجود إلاَّ في عقول الغربيين أُعيد إنتاجه داخل الثقافة الغربية عن طريق الفن."[5] شرق كما يريده له الغرب أن يكون وليس الشرق الذي يريده الشرق لنفسه، والمثير أن تلك القوالب النمطية عن (العدو) راحت تتكرر في صور تداخلت مع إيهامات ملحمية وأسطورية غامضة انعكست في مياه الغرب وبقيت مخزونة في الوجدان الشعبي .[6] كانت صدمة

---

[1]- د.قاسم عبده قاسم: الرؤية الحضارية للتاريخ. دار المعارف.دت. ص:19.
[2]- د.سعيد علوّش: الأدب المقارن في العالم العربي. ص:484.
[3]- عبد الحكيم حسان: الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي والأمريكي. مجلة فصول. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. م 03، ع 03. ج01. أبريل - ماي - يونيه 1983. ص:11.
[4]- عمر كوش: عرض كتاب جان جبور (النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي). ص:95.
[5]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:12.
[6]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:08.

أوروبا كبيرة وهي ترى تدفقً جيوش منظَّمة بسرعة مذهلة نحو شبالجزيرة الأيبيرية ليصبح العرب في أقل من قرن عن بداية الفتح الإسلامي سادة نصف إفريقيا وآسيا واستقروا في إسبانيا وواصلوا تقدُّمهم حتى جبال (البيرينيه) جنوب فرنسا بعد هزمهم جنود (شارل مارتيل) يقول (نزبه خاطر)[1] في معركة (بواتيي) سنة 732م[2]، راع ذلك أوروبا وأقلقها فراح رجال دينها يدققون في نصوص (الكتاب المقدَّس) عن أصل هؤلاء ومعتقداتهم وسرعان ما صيغت صورة نمطية لأمة لا تستسيغ سوى العنف والتدمير والنهب والقتل ولا تؤم ن إلا بالخرافات والبدع ، فكانت الحروب الصليبية المتتالية ووُسمت الآداب الفرنسية بصورة العربي (الساراز ان) الاستحواذي يختطف العاشقة تارة وينتهك حرمة الوطن تارة أخرى وذلك منذ قصائد (غيوم دورانج) الملحمية التاريخية بداية القرن الحادي عشر (ق.11). كان حضور العربي يحقق تلك الزيادة في القيمة الميثولو جية لكنه وجد نفسه منذ أن دخل الصراع مع الغرب محاطا بقناع من الدلالات ؛ فهو مغربي عندما يحتل اسبانيا وشرقي عندما يريد استرجاع القدس وهمجي عندما يشق البحر الأبيض المتوسط زمن الإمبراطورية العثمانية[3]، ويرى (بورداخ) أن: "جزءاً مميزًا من تقاليد الفروسية وثقافتها وأدبها في العصر الوسيط يعود في أصله إلى الصيغة العربية الفارسية للتأثيرات الهلنستية"[4] أما الليالي وعالم النساء والسراي والحريم والجواري والحيوانات الخرافية فقد أسَّست لصورة نمطية عن شرق مستعبد وجعلت أي كاتب عاجز عن التخلص من هذه "الشبكة الخطابية"[5] ليستحوذ عليه أحيانا الصورة الأولية تماما فيقع في المطب المموَّه ويرى الأشياء بعيون مصابة بـ :"انحراف الرؤية"[6] تسلِّم بهمجي ة العربي وتؤمن بقصوره وتوقُّف خياله عند طور الإدراك الحسي للأشياء فلا يتقبل شرطه أي نمو أو أي تربية، وليس (فلوبير) الفرنسي نهاية القرن التاسع عشر حالة منفردة بل قال بما فيه الكفاية الكلام القليل الذي يأبى الغرب أن يسمع عن الشرق غيره![7] إنَّا نكاد وضع أيدينا منذ البداية على صورة مترسِّبة مشوَّه ة مختزلة وكأنَّهم أتوا حاملين دليلهم السياحي.. انتحال سياحي وشيفرة مبرمجة تغنيهم عن مهمة البحث لكن أوقعتهم في دائرة سحرية مغلقة لا مخرج فيها من خيال ملحاح يصرِّ أن الشرق كينونة ثقافية بائدة ذات قيمة طللية[8] وبلد جميل شاسع مشمس يجب التمتع به والتفسح فيه بحرية وسعادة جديدتين بينما يُغيَّب أهله وكأنهم غير موجودين ما يؤكِّد أن الأمور باقية على حالها ولا شيء قد تغير.

عصر الرومانسية بين أحلام الشعراء والأطماع الاستعمارية:

---

[1]- جان جبور: نقد الصورة السلبية عن الشرق جهلا وعداء. الطبعة الالكترونية:
http://maaber_life.tripod.com/tenth_issue/books_7.htm

[2]- شانتال داغرون و محمد قاسمي: عربي، هل قلت عربي؟ أحكام الغرب حول المسلمين والعرب خلال خمسة وعشرين قرنا. تر: فقيهي الصحراوي، تقديم ومراجعة عمر أوكان. ص:11.

[3]- نفسه. ص:88.

[4]- محمد التونجي: الآداب المقارنة. ص:09.

[5]- د.مي عبد الكريم محمود: تائهون في صحراء الإسلام. ص:110.

[6]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص ص:35 - 36.

[7]- د.دولت صالح العرب: مصر والشرق في مراسلات غوستاف فلوبير. مجلة عالم الفكر. م 14، ع 03. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:91.

[8]- Gérard de Nerval: Voyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:92.

انغمس الأدباء الرومانسيون في ما ظنوه عالما رومانتيكيا مبرقشا[1].. مسرحا ساحرا لألف ليلة وليلة، يتساءل (زولا) فمثبتا: هل تعبِّالرومانسية عن مجتمعنا بأمانة؟ هل تستجيب لحاجاتنا بشكل من الأشكال؟ بالطبع لا، لقد انقلب الرومانتيكيون على أنفسهم فـ: "خلقوا شرقا يصعب أن يكون شرقيا وغابات يصعب أن تكون من العصر القديم وعهودا يصعب أن تنسب إلى العصر الوسيط "[2]، وهذا أمر غاية في الأهمية عندما نصغي إلى التهمة الموجَّ هة إلى أدب الرحلات الذي يكتبه الغربيون أنَّ الوجه المبتسم للاستشراق وأن الاستشراق هو الوجه المثقَّف للإستعمار بعينه.[3] لم تفارق أجواء الحروب الصليبية والواقع الاستعماري والتحدِّي الحضاري والتعصُّب الديني العالمين الغربي والإسلامي على طول الخط تقريبا [4] وقد تتبلور الصور النمطية في مواقف ومعارك وتدخُّلات وإجراءات تنهل من خزَّان رمزي يكثِّف الوجداني والعقدي والقدسي قدَّمت المروِّغ لاحتلاله وساهمت في تهميشه باعتباره فضاء مغلقا منطويا على نفسه محكوم بالإستبداد الاجتماعي والسياسي، ورغم تمسُّك المستشرقين بالدافع العلمي لدراستهم المستفيضة عن البلاد العربية والإسلامية ويعترفون بلا أخلاقيات حكوماتهم التي وضعت علمهم ذاك في هذا الموقف المحرج، لكن تأرجُّح رحلاتهم بين الحلم والانجذاب للسحر الشرقي وتجدُّد الأطماع الاستعمارية[5] وتقديمهم التسهيلات المعرفية اللازمة لا شك ملكَّن أوروبا الاستعمارية من السيطرة على تلك المنطقة الاستراتيجية لأكثر من قرن كامل وزاد من حدَّة التنافس البريطاني الفرنسي لاقتسام تركة الإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض). لقد انحاز كثيرون على مدى التاريخ إلى قيم عليا نبيلة وآخرين إلى قيم متدنية، ونظرة عن قرب لبعض هؤلاء الذين أتوا إلى الشرق تضعنا في حيرة مما جاءوا من أجله وبراءته وبعُده عن وحي الاستعمار ومشاريعه[6]، وأحد هؤلاء يدعى (لامارتين) الذي يوصي أوروبا بشكل لا يقبل اللبس استعمار الشرق في مجموعة مقالات كتبها اعتبارا من 28 أوت 1840 بروحية مغلَّفة بكثير من المشاعر النبيلة لحماية حضارة الشرق المشرقة المشرفة على الانهيار ومن جانبه رحل (فلوبير) مع المصوِّر الفوتوغرافي (مكسيم دو كمب) كنوع من التقصِّي الجغرافي والاستكشاف الميداني الغالب على رحلات الشطر الأخير من القرن التاسع عشر والممهِّد الضروري لعمل السيطرة الإستعمارية ما يوحي بتغيُّر إدراكهم ل لشرق نصيًّا إلى إدراكه ممارسة والتمادي في التفاؤل بالآفاق الوردية التي كان بناء الإمبراطوريات يعد بها. استغل الغرب نقاط ضعف الشعوب للحافظ على وعي متعال يتأمَّل حلما استعماريا وقد أقنعوا أنفسهم وكثيرا جداً من قرائهم أن الحريم صفة أصيلة في الإسلام والعر ب وأنَّ التدخل الغربي الرجولي لمساعدة الشرق المؤنث وإصلاحه بدءاً من بنيته الإجتماعية الصغرى (العائلة) وانتهاءً إلى حكوماته أصبح ضرورة حتمية . كتب (فرانسوا كوبيه) في إطار التعاطف الفرنسي مع حركات التحرر في البلقان مسرحية (قصة الشرق) ترجمها

---

[1]- Puckler Muskau: Semilasso in Africa - Adventures in Algeria. vol 02, p:102.

[2]- عامر محمد بحيري: الرومانتيكية - الإفراط. مجلة الثقافة. السنة 04، ع 356. الثلاثاء ذي القعدة سنة 1364 هـ الموافق لـ 23 من أكتوبر 1945م. ص:43.

[3]- مجدي وهبه: الأدب المقارن ومطالعات أخرى. ص:21.

[4]- د.عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما). ص:29.

[5]- د.مي عبد الكريم محمود: تائهون في صحراء الإسلام. ص:134.

[6]- محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية. ط 02. ص:59.

(المنفلوطي، ت 1924)، حاول من خلالها منذ الفصل الأول والمشهد الأول التأكيد على أنَّ المعركة الدائرة بين البلقانيين والأتراك هي معركة بين الهلال والصليب هدفها تفتيت الإمبراطورية العثمانية ومساعدة حركات إحياء القومية اليونانية القديمة.

نسبية الرحلات:

تدور الموضوعية وجودا وعدما مع القوة المعرفية في خطاب الآخر ومدى تعقله وتجرده، إذ تقابل (الأنا) بـــ (الغير) في كل خطاب رحلة وعليه لا يمكن أن تتحقق الموضوعية إلاَّ إذا تجرَّد الرحَّالة عن انفعاله وابتعد عن الأحكام المسبقة وحاول استيعاب الواقع بعقلانية وامتلك القوة المعرفية: سرد الآخر: النظرة والذاتية، لكن: "من الواضح أن الغرب قد افتقد تماما الموضوعية والمنهج العلمي اللتين يدَّعيهما لنفسه عندما تعلق الأمر بدراسة الشرق وفي جميع أدواره فأصبح الشرق هو الشرق الذي (يصنعه) لأغراض في المعرفة والسلطة"[1]، يمكن لمس غياب الموضوعية والشطحات التي لا يقبلها العقل[2] في تأمُّل الشرق من مقاعد غربية وفي انعكاس طبائع الرحَّالة وأمزجتهم وشخصية كل منهم على وصفهم وفي مناسبات معينة[3] وفي صلته بالمحيط: قل لي كيف تنظر أقول لك من أنت، والرحَّالة مطالب بامتلاك حصيلة ثقافية جيِّدة وأن يكون غني المعلومات التاريخية وافرها" أو يمكن أن نأمل قول الحقيقة ."[4] ومن المفيد أن يتحدث عدَّة لغات وهنا تحضرنا عبارة (كونفوشيوس): "دون معرفة قوة الكلمات يستحيل معرفة البشر"، وقد يتحفَّظ الدليل (Le Guide) في إعطاء المعلومات فهو يرى في مهمته شيئا ناقصا كما قد يحرمهم الحاجز الثقافي من جمع المعلومات من الناس الذين يحذرون التكلم معهم الأمر الذي يتطلب تقول (جاكلين بيرين): "فضائل الشاك وكلفا بالمعرفة الصحيحة التي يدرك بواسطتها أي زيادة حاسمة يمكن إضافتها إلى المعارف الإنسانية."[5] ولعل الرحلات التي التي تنطوي على نوع من المغامرة وتسعى للبحث عن المجهول دون أن تعتمد على مرشد أو تدخل في إطار إرسالية منظَّمة غالبا ما تتسم بالجمال والقدرة على اجتذاب القراء، ويلتقط الرحَّالة في مروره بالبلاد التي يزورها مقطعا عرضيا فيجتني من مشهد كان لحظتها مقطوعا **عموديا** عن جذره وأسبابه وحيثياته أي من جملة العوامل التاريخية والحضارية المتصلة به وربما أوجدته و**أفقيا** عن الصورة الكلية للواقع الذي يكون ذلك المشهد جزءا منه حكما قاطعا وقد يكون المشهد صدفة فيكون الرحّالة عرضة لتعميم الخاص على العام وسطحية الرؤية واللاموضوعية واللا تاريخية[6]؛ نقرأ لـــ (لامارتين) حكما قاسيا في حق العرب عموما انطلاقا من حالة إستثنائية: "تكلَّم (فولتاي) في رحلته إلى سوريا عن هذا الدير قرب عينطورة، أين تمارس امرأة إسمها (هنديا) ما يمكن أن نطلق عليه فضاعات مخيفة على حديثي الترهب عندها. لايزال إسم وتاريخ (هندبا) حاضرين في هذه الجبال (...) اشتهرت بالقداسة بين بعض المسيحيين من طائفتها . كانت امرأة

---

[1]- إدوارد سعيد: الإستشراق/ المعرفة - السلطة - الإنشاء. تر: كمال أبو ديب. ط 01. ص:80.
[2]- مجدي وهبه: الأدب المقارن ومطالعات أخرى. ط 01. ص:24.
[3]- علاء الدين وحيد: عرض كتاب أنيس منصور (أعجب الرحلات في التاريخ). مجلة الكاتب. السنة 18، ع 203. فبراير 1978. ص:89.
4- «Ou on peut espérer dire la vérité.»
Edward W. Saïd, L'orientalisme; l'orient crée par l'occident. Traduction: Mona Cholet, p:152.
[5]- د.حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. ع 138. ص:195.
[6]- بيير جوردا: الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:30.

متعصِّبة بإرادتها أو خيالها، وقد نجحت في تحميس عدد من السذَّج والبسطاء . الأرض العربية هي أرض المعجزات؛ كل إنسان ساذج أو متعصِّب يستطيع أن يصيح عرَّ افا بدوره؛ السيدة (ستانهوب) إثبات آخر. هذا الخضوع للعجيب له سببين؛ لإحساس ديني واسع الإنتشار، ولخ لل في التوازن بين الخيال والعقل. لا تظهر الأشيبح إلاَّ ليلا؛ كل بلاد جاهلة مدهشة ."[1] أحسَّ نفس الرحَّالة وهو يجتاز واحدة من قرى الشام أنَّ وسط شعب من الملوك[2]، وذلك حين رأى شيخا جالسا قبالة قصره الريفي المسنَّن الصغير تلعب الخيول المسرَّجة الجميلة في باح ته ورأى وجهاء القرية يرتدون عباءات باذخة مبطَّنة بالفرو وأحزمة حريرية حمراء ملأى بالخناجر، لكن هل يعقل أن يكون هذا هو حال جميع قرى الشرق التي كانت حينها تحت وطأة الحكم العثماني؟![3]

وينعكس تعصُّب الرحَّالة في طريقة تقديمه للإنسان الآخر؛ إذ قليلا ما يُذكر باسمه أو يعرَّف فهو محروم من الكلام محتبس في صمت سخيف مقلق مناف للمنطق وكأنَّ مجرد عنصر من الزينة، وهنا تأتي مرة أخرى ضرورة إعادة قراءة تاريخنا والعودة إلى الوثائق، ولا يتحتم، كما يرى (محمد المويلحي)، أنَّ ما فيه نفع عند الغربيين يكون ذا نفع للشرقيين لـ :"اختلاف ذلك كله فيهم وتفاوته بينهم والشواهد كثيرة جمَّ أن ما يكون في باريس حسنا يكون في برلين قبيحا وما يكون في لوندرة (لندن) حميدا يكون في الخرطوم ذميما وما يكون في رومية حقا يكون في مكة باطلا وما يكون عند الغربيين جدًّ ا يكون عند الشرقيين هزلا ."[4] والطريف أننا قرأنا في حديث الليلة السادسة بين (أبي ح يان التوحيدي) والوزير العباسي (أبي عبد الله العارض) ما يشير إلى نسبية كل حضارة وعامل البيئة والظروف التاريخية وكيف أن الناس لم يرجعوا منذ تناقلوا الكلام في باب تفضيل أمة على أمة إلى صلاح متين واتفاق ظاهر: "لكل أمة فضائل ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوئ ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلِّها وعقدها كمال أو تقصير وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والنقائص والشرور مفاضلة على جميع الخلق مفضوضة بينهم ."[5] أما (زرادشت) الذي ارتحل إلى العديد من البلاد ورأى الكثير من الناس فقد انتهى إلى أن لا قوة أكثر سلطانا من دعوى الخير والشر: "لا يستطيع شعب أن يحيا دون أن يسن له قيماً ما يعني أن بقاءه رهين بمعاداته لقيم الخير والشر."[6] وأنَّ ما يعتبره البعض خيرا ير اه آخرين عاراً وفضيحة: "رأيت أشياء كثيرة شريرة يضفى عليها اللون

---

[1]-«Volney parle dans son voyage en Syrie, de ce couvent prés d'Antoura, où une femme, nommée Hindia, exerçait, dit- ton d'horribles atrocités sur ses novices. Le nom et l'histoire de cette Hindia sont encore très - présents dans ces montagnes (…) en renommée de sainteté parmi quelques chrétiens de sa secte. C'était une femme fanatisée par sa volonté ou par son imagination, et qui avait réussi à fanatiser un certain nombre d'imaginations simples et crédules. Cette terre arabe est la terre des prodiges; tout homme crédule ou fanatique peut y'devenir prophète à son tour; Lady Stanhope en sera une preuve de plus. Cette disposition au merveilleux tient à deux causes; A un sentiment religieux très - développé, et à un défaut d'équilibre entre l'imagination et la raison. Les fantômes ne paraissent qua la nuit; toute terre ignorante est miraculeuse.»

Alphonse de Lamartine.Souvenirs,impressions,pensées et paysages pendant un voyage en Orient.http://books.google.fr

[2]- نفسه.

[3]- بيير جوردا :الرحلة إلى الشرق - رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. تر: د.مي عبد الكريم وعلي بدر. ط 01. ص:30.

[4]- د. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور إثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة .ع 138. صدر الكتاب.

[5]- أبي حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة. ص ص:113 - 121.

[6]- نيتشه: هكذا تكلم زرادشت - ألف غاية وغاية. ص:91.

الأقحواني للشرف في مكان آخر ."[1] وأرجع (ابن خلدون) والسيدة (دو ستايل) و(مونتسكيو) سبب تباين أفكار الناس واختلاف نمط حياتهم إلى المناخ ولهذا لا يتناسب اللباس الشرقي مثلا مع الذوق الأوروبي، ويقتنع (سعيد علوش) بأنَّ: "ما كان محمودا في الغرب فهو مذموم في الشرق."[2] ولعل (لبيد ابن أبي ربيعة) قد سبقهم جميعا إلى ذلك بهذا البيت:

من معشر سنَّت لهم آباؤهم ولكل قوم سنَّـــــة وإمـــام ـــها

الرحلة والتواصل الحضاري:

اعتقد هؤلاء الرحَّالة أن الدواء لمحنتهم النفسية والحضارية يكون في البساطة والفطرة الأولى التي تحُققها حياة الشرق، وشيئا فشيئا: "تصاعدت الرغبة في إزالة حجاب الشرق واختراق غوامضه وبطريقة ما عدَّ كل واحد مرهم نفسه (كولومبسا ثقافيا) مدعوًّا لإعادة اكتشاف العالم القديم بدلا من العالم الجديد."[3] كانت أحلاماً يوتوبية يقول (ماريو فارغاس بوسا): "حين كنَّا صغارا، كنَّا نلعب لعبة نشكِّل فيها دائرة مغلقة وكان على الولد المعاقَب المطرود من الدائرة والراغب في الدخول إليها من جديد أن يطرح علينا السؤال الآتي: أهنا يبيعون البيض؟ فكنَّا نجيب: لا، بل أبعد قليلا، وفي صيغة أخرى أكثر رقيا كان السؤال المطروح يصبح: أهنا الفردوس؟ وكان الجواب بديهيا : لا، الفردوس ليس هنا إنه أبعد قليلا، تلك اللعبة الطفولية تعني بالنسبة لي البحث عن المستحيل، وما هو البحث عن المستحيل؟ إنَّه اليوتوبيا في ذاتها ."[4] أي الحنين إلى فردوس غريب ، بحث عن فردوس أرضي للإنسانية الجديدة؛ إنسانية القرن التاسع عشر وهرب نفسها القلقة المضطربة نحو آفاق جديدة، لكن رجوع لم يعالج مشكلة التحوُّل الحضاري، فكانت صيحة (Lesseps): "أيُّها الشرق.. أيُّها الغرب .. اقتربا، تناظرا، اعترفا ببعضكما، تسالما، تعانقا."[5] صيحة عكست عدم الانسجام الذي ميَّز علاقة الغرب بالشرق، وكان (أمين معلوف) يرى في اختلاف الشعوب وتنوُّع محمولها الحضاري عامل تقارب وليس عائقا، وفي اعتراف ملفت نادرا ما يصدر عن غربي يجهر (جان كلود بريخت): "لقد اكتشفنا أن هناك إخوة لنا يعيشون هناك وعرفنا أنه ليس مجتمعا قائما على المتع الحسية ، وقد أخطأ مونتسكيو عندما تصوَّر أن حكام الشرق أشبه بنيرون وأخطأ فولتير بدوره في كتابه (مقال في العادات) عندما نظر إلى حكومات الشرق على أنها حكومات عبثية."[6]

ينتهي هنا خط سيرنا مع النصوص الأكثر تنوُّعا، وأردناه شوطا منفعلا إيجابيا مع موضوع صدامي في محتواه وانهامي في نكهته كمن يعترض على المنحى التشويهي حيال الشرق والمبالغات المزمنة لكتاب فرنسيين كبار من حجم شاتوبريان ولامارتين ودو نرفال وفلوبير، وبحساب خلفي فيما يشبه

---

[1]- نفسه.

[2]- د.سعيد علوش: مكوِّنات الأدب المقارن في العالم العربي. ص:466.

[3]- Edward W.Said: Covering Islam - How the Media and the experts determine, How we see the rest of the world? p:89.

[4]- جومانا حداد: ماريو فارغاس بوسا يبحث عن "الفردوس" / غوغان بطلا روائيا. الموقع الخاص بـ Joumana Haddad على الرابط:
http://www.joumanahaddad.com/mokhtarat3_j.html

[5]- Lesseps: In orientalisme d'Edward Said (V.Ang), p:91.

[6]- محمود قاسم: سحر الرحيل إلى الشرق. ص:38.

(un Bilan)[1] يبدو أنَّ ما قدَّمته تلك الكتابات عن الشرق لم يرق إلى الكثير الذي أخذته منه ، يذكر (شواب) في كتابه(النهضة الشرقية) أنَّه و: "إذا كانت النهضة الأوروبية الحديثة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر نتيجة إطِّلاع وتعمُّق في التراث الكلاسيكي الإغريقي فإن نهضة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا ذاتها كانت حصيلة اطِّلاع على الشرق وتراثه فارتبطت الحركة الرومانسية بالشرق كما يدين مفكرون وأدباء كفلوبير وغيره لهذه (النهضة الشرقية)."[2]

يبقى علينا إذاً تحقيق الجانب الإيجابي بالانتباه إلى الجزئيات والتفاصيل التي تصدَّها أحيانا كثيرة عين المسافر والتفطُّن إلى ما ليس سوى إعادة إنتاج لموروث ثقافي قديم و مخلَّفات إيديولوجية قديمة تمكَّنت من الذهنية الغربية فعشَّشت ثم فرَّخت فيها على نحو لا نزال نراه اليوم، وتظل القدرة على هذا التمييز والعمل بموجبه من شروط العلاقة بين (الأنا) و(الآخر) وهو مسؤولية وهدف في الوقت ذاته، وإن بدا من المستحيل أن يتفهَّم الجار جاره وأبداً يندهش الواحد منهما من جنون الآخر وشروره ، خاصة وأن منطق الأشياء والأساس الذي يأتي أولا هو ذلك الذي يضمن لشعب ما التسيُّد والانتصار والقدرة على إثارة حسد الجار ورعبه، لكن هل يمكن علاج ذلك عن طريق: "التحرك بين الشرق والغرب"[3] و: "إسقاط العصابة عن تلك الأعين التي لا ترى صالحا إلا فيما يفكر فيه ويفعله أصحابها "؟[4] إنَّه منذ اللحظة التي تتعرَّف فيها على ضرورات جار ما ومناخه ونفسيته والأخطار المحيطة به فإنَّك تدرك لماذا اختار هذه الوسيلة أو تلك لتحقيق طموحاته، ونظن أنَّه لا يمكن الاستغناء أبدا عن مثل تلك ال دراسة والتي تدخل ضمن واحدة من أهم مجالات الأدب المقارن لما لها من دور في توعية الشعوب بحاضرها وماضيها ووسيلة لتعريفها بأوهام بعضها ومن ثمة العمل على تجاوزها في سبيل تقارب أحسن وتواصل متبادل وهو ما يمكن ترجمته بالحوار العقلاني والإنساني بين الشرق والغرب، والسفر في النهاية ليس وجهة يشدَّ إليها الرحال وتحقيق لرغبة في الانتقال فحسب، إنَّها أيضا سفر الإنسان في مدن ذاته المتشعِّبة عبر خلاياه ثم سفره خارج أناه باحثا ومكتشفا وثائرا ضد الرتابة وضد السأم الذي يرشح من المدن حين يجف نسغها الإنساني ، ومن هنا إطلاق الفلاسفة على السفر صفة "الازدهار الإنساني". ولعل أكثر ما ينقصنا حتى الآن هو الحلقة التي تربط الإنسانية يكون فيها الإنسان مع الإنسان على اختلاف الأقوام وحيث وجود ألف غاية وغاية، لكن إن لم تحقِّق الإنسانية هذا الهدف بعد بل إن لم تتفق على غاية واحدة، ألا يعني هذا أنها لا تزال غائبة أو لا وجود لها؟! لقد أخفق الغرب مرة أخرى في تحقيق رسالة التقارب والتفاعل مع الشرق وحان الأوان كي نعيد قراءة أنفسنا في مرايا الآخر خاصة أنَّ العالم الغربي اليوم يعمل على تجديد صور تفتقر إلى الصدق.

ث ذ

---

[1]- Gérard de Nerval: Voyage en orient (Lexique). Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié, p:95.

[2]- فريال جبوري غزال: عرض كتاب إدوارد سعيد (العالم والنص والناقد). مجلة فصول. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. م 04، ع 01. أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1983. ص:14.

[3]- يوهان فلجانج جوته: الديوان الشرقي. ص:184(بتصرف).

[4]- د.حسين محمد فهيم، أدب الرحلات {دراسة تحليلية من منظور اثنوجرافي}. سلسلة عالم المعرفة. ع 138. ص:21.

چے ئے ئے ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۋ ۋ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆچ[1]

صدق الله العظيم

فهرس المصادر و المراجع

[1]- سورة (صٓ)، آية[24].

المصادر

القرآن الكريم:

1. سورة التوبة.
2. سورة طه.
3. سورة فاطر.
4. سورة النور.
5. سورة **ص**.

المصادر العربية:

1. نرفال،جيرار دو.رحلة إلى الشرق (ثلاث أجزاء).القاهرة:المطبعة الوطنية، **1960**م.
2. نرفال،جيرار دو.أوريليا.لبنان:دار الفارابي،**2003**م.
3. فلوبير،غوستاف.التربية العاطفيَّة.تر:إيلى مارون خليل،تقديم:البيْر

تيبُوَديْه،ط**1**،بيروت:منشورات عويدات،ماريان.روائع الأَدب والفكر منقولة إلى العربية،**1983**م.

المصادر الأجنبية:

1. Alphonse de Lamartine.Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en orient - 1848 576pages. HYPERLINK "http://books.google.fr/books?id" http://books.google.fr/books?id
2. Alphonse de Lamartine.Méditation poétique, Nouvelles Méditation poétique,suivie de poésie diverses.Gallimard.Paris,1981.
3. Alphonse de Lamartine.Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833) ou note d'un voyageur.[Document électronique] HYPERLINK "file:///A:/b_fichiers/oulils" file:///A:/b_fichiers/oulils.JSP
   Ce document est extrait de la base de données textuelles Frantexte réalisée par INALF.1997.(1403 Ko).Num BNF de l'éd de Paris,1961.Frantext.N°239, 242 - 244.Reprod de l'éd de Paris:[s.n.],1861.
4. Chateaubriand,François- René de.Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.[document électronique].Document fourni par les éditions Acamedia. Édition 1861,numérisée par les éditions Acamedia et mise en ligne par la bnf. HYPERLINK "http://www.acamedia.fr" http://www.acamedia.fr
   Chateaubriand. François- René de, itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris http://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k101368g.im
5. François- Auguste. René de Chateaubriand.Un itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris, en allant par la Grèce en revenant par l'Egypte,la Barbarie et l'Espagne(1811).Librairie Dufour et Mulat. Paris,1852.
6. François- Auguste «René»,vicomte de Chateaubriand. Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à Paris.

7. François - René.De Chateaubriand.Œuvres complète.Garnier.Paris,1861,réédition,1865.
8. Gérard de Nerval.Le voyage en orient.2éme Edition.Garnier - Flammarion 1980.
9. Gérard de Nerval.Voyage en orient (03 vols);Tome premier;Tome deux:Les femme du Caire;Tome trois: Les Nuits du Ramazan.Les textes de la collection sont annotés sous la direction de Marcel Guilbaud de la bibliothèque nationale.Collection nationale des grands auteurs de la nouvelle librairie de France.Société générale d'édition et de diffusion.Paris,1999.
10. Gérard de Nerval.L'histoire du calife Hakam. L'Esprit frappeur.Paris.
11. Gérard de Nerval.Voyage au nord. Edition poésie et nouvelles.Publiée Paro France/ Maxi - Livre avec l'aimable autorisation des éditions Jean - Claude.
12. Gérard de Nerval.VVoyage en orient. Extraits présentés par Henry Bouillier, préface de Salah Stétié. S classiques de la civilisation françaises.Collection dirigée par Yves Brunsvick et paul Ginestier.libraire Marcel Didier.Paris,D.l.4e trim,1974.
13. Gustave Flaubert.Carnet de voyage. Bibliothèque historique.Paris.
14. Gustave Flaubert.Notes du voyage en orient. Jean- Jaques Ampère.1948.
15. Gustave Flaubert.Correspondences (02 vols). Gallimard.Paris,1973.
16. Gustave Flaubert.Extraits de voyage en Egypte. Grasset,1991.
17. Gustave Flaubert. Salammbô.Bierut:Œuvres immortelles. Dar Sader,2000.
18. Gustave Flaubert.Œuvres Complètes (y compris les œuvres inédits de jeunesse;la première éducation sentimentale,la première tentation de Saint Antoine et les notes de voyage,et une volumineuse correspondances).Préface de Jean Bruneau - présentation et notes de Bernard Masson. Edition du centenaire.Paris,1925.
19. Gustave Flaubert.Le dictionnaire des idées reçues. Préface de Jean Bruneau.Présentation et notes de Bernard Masson.Œuvre complètes.Tome deux.Seuil.Paris quatrième,1964.

20. Lamartine.Alphonse de.Souvenirs,impressions, pensées et paysages pendant un voyage en Orient (1832 - 1833) ou note d'un voyageur par M. de Lamartine. Wahlen.Bruxelles,1836.

21. Les souvenir ... en mode texte chez Gallica;Voir lien sur la page Lamartine.Villemin et la base Académie. Echantillon 1935.
© Base créée par R.wooldridge,2000.

22. M. de Lamartine.Œuvres complètes.Imprimerie de Vialat. Furne et Cie.Lagny.Paris,1850.

المراجع

المراجع العربية:

1. ابن خلدون،عبد الرحمن ابن محمد.المقدمة.تحقيق الأستاذ درويش الجويدي.ط1،بيروت:شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع،المكتبة العصرية،1999م.
2. أرسلان،شكيب.تاريخ الدولة العتمانية.جمع أصوله وحقّقه وعلّق عليه حسن السماحي سويدان.ط1،دمشق:دار ابن كثير للطّباعة والنّشر والتّوزيع،1432هـ/2001م.
3. أبو زيد،فاروق.عصر التنوير العربي.ط1،بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1978م.
4. أحمد مكّي،الطّاهر.الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه.ط1،القاهرة: دار المعارف،رمضان 1407هـ/مايو 1987م.
5. البري،محمد عبد الستار.محمد علي يتحدى أوروبا.دار الشروق.2001م.
6. التونجي،محمد.الآداب المقارنة.ط1،القاهرة:1419هـ/1990م.
7. الجمل،شوقي.تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها .القاهرة:ملتزمة الطبع والنشر،مكتبة الأنجلو المصرية،المطبعة الفنية الحديثة،أبريل 1971م.
8. الخطيب،حسام.الأدب الأوروبي تطوُّره ونشأة مذاهبه.دمشق:1972م.
9. الخطيب،حسام.جوانب من الأدب والنقد في الغرب.ط7،دمشق:منشورات جامعة دمشق،مديرية الكتب الجامعية،1417 - 1418هـ/1997م- 1998م.
10. السمرة،محمود.غربيون في بلادنا.ط1،بيروت:المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،1969م.
11. الشبوكي،محمد.ديوان الشيخ الشبوكي.رويبة:منشورات المتحف الوطني للمجاهد (المجموعة الأولى)،طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،1995م.
12. الشيخ،حليمة.ما قبل النص.برينال،الجزء الثاني.دت.
13. الصاوي الجويني،مصطفى.في الأدب العالمي القصة - الرواية - السيرة.الجزء الثالث.الإسكندرية:منشأة المعارف جلال حزى وشركاه،طباعة:مطبعة عصام جابر.دت.
14. العشاق،علي.دور الرحلات في الكشف عن حضارة الشرق القديم والعراق.سلسلة الندوات 5 (أدب الرحلة والتواصل الحضاري)،مكناس:جامعة المولى إسماعيل.كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1993.

15. الكاتب،سيف الدين.أطلس التَّاريخ القديم.الإصدار الثاني،حلب:دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع،**2005/1426**م.

16. المعوش،سالم.صورة الغرب في الرواية العربية.ط**1**،السلسلة الأدبية،بيروت:مؤسسة رحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع،**1998**م.

17. المنفلوطي،مصطفى لطفي.في سبيل التاج.دار النفيس للطباعة. د ط. د ت.

18. اليازجي،كمال.رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (**1800**م – **1900**م).د ط،بيروت:مكتبة رأس بيروت،**1912**م.

19. الموسوعة العربية العالمية **21**.ل.ط**1**،الرياض:مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر،**1416**هـ/**1996**م.

20. الموسوعة العربية العالمية.**14**. ش. ط**02**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر،**1416**هـ/**1996**م.

21. الموسوعة العربية العالمية**17**.غ – ف.ط**2**، الناشر:مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.الرياض،المملكة العربية السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر،**1419**هـ/**1999**م.

22. برومبير،فيكتور.غوستاف فلوبير.ترجمة:غالية شملي.ط**1**، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،**1978**م.

23. برى،باخر.إضاءات على كتاب (الاستشراق) لادوارد سعيد.مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر.دت.

24. بن قينة،عمر.في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما).الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.دت.

25. بوقرورة،عمر.الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث.القاهرة:**1988**م.

26. جوردا،بيير.الرحلة إلى الشرق،رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر،تر وتقديم:مي عبد الكريم وعلي بدر.دمشق:دار الأهالي،**2003**م.

27. حبشي حسن.رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي،مكتبة الثقافة الدينية.دت.

28. داغرون،شانتال وقاسمي،محمد.عربي،هل قلت عربي؟أحكام الغرب حول المسلمين والعرب خلال خمسة وعشرين قرنا.تر:فقيهي الصحراوي،تقديم ومراجعة:عمر اوكان.ردمك:أفريقيا الشرق:**1998**م.

29. دراقي،زبير.محاضرات في الأدب الأجنبي. سلسلة الدروس في اللغات والآداب.الجزائر:ديوان

المطبوعات الجامعية.دت.

30. دودو،أبو العيد.الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (**1830**م – **1855**م).الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،رقم النشر **435/75**.

31. روماي،جورج.معجم الرمزية.باريس:دار ألبان ميشال،**1995**م.

32. سافاري،الرسائل.الطبعة الكاملة،**1885**م.

33. سعد،فاروق.فتح ملف كوتشوك هانم.مكتبة المعارف.**2003**م.

34. سعيد،إدوارد.الإستشراق/المعرفة.السلطة.الاتشاء.تعريب:كمال أبو ديب.ط**1**، يروت:مؤسسة الأبحاث العربية،**1981**م.

35. شعيب،محمد عبد الرحمان.الأدب المقارن مسائله ومباحثه.بنغازي:**1969**م.

36. عبد العزيز عمر،عمر.تاريخ المشرق العربي (**1516**م – **1922**م).دار المعرفة الجامعية،**1996**م.

37. عبد الكريم محمود،مي.تائهون في صحراء الإسلام.دمشق:دار الأهالي **2003**م.

38. علّوش،سعيد.مكوِّنات الأدب المُقارن في العالم العربي – في سيميائية الاستشراق.ط**1**،الشركة العالميّة للكتاب سوشبريس،بيروت – لبنان:دار الكتاب اللبناني،الدار البيضاء دار الكتاب العالمي ب.ل،**1407**هـ/**1987**م.

39. عنان،محمد عبد الله.مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية،ط**2**،القاهرة:مكتبة الخانجي.دت.

40. غريب،جورج.أدب الرحلة تاريخه وأعلامه.بيروت:دار الثقافة.دت.

41. غريب،جورج.أدب الرحلة تاريخه وأعلامه.بيروت:دار الثقافة.دت.

42. غنيمى هلال،محمد.الأدب المقارن.بيروت:دار العودة،**1983**.

43. غنيمى هلال،محمد.الرومانتيكية.القاهرة:مطبعة النهضة،دت.

44. فضل،صلاح.تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية.مصر:**1980**م.

45. فوماروﻟي،مارك.شاتوبريان الشعر والرعب.باريس:منشورات فالوا،**2003**م.

46. فلوبير،غوستاف،مدام بوفاري.تر:حافظ مصلح.بيروت:**1973**م.

47. لوتسكي،تاريخ الأقطار العربية الحديث.ط**1**،بيروت:دار التقدم،**1971**م.

48. قاسم،قاسم عبده. الرؤية الحضارية للتاريخ.دار المعارف.دت.

49. كوش،عمر.عرض كتاب جان جبور:النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي.مؤسسة البيان للطباعة والنشر دار النهار للنشر **2001**م.

50. لامارتين، حياة محمد. باريس:معهد الآداب والعلوم والفنون العربة بالتعاون مع دار لارماتان الفرنسية للنشر والطباعة والمجلس الأعلى للثقافة في مصر.دت.

51. مانسفيلد،بيتر.تاريخ مصر الحديثة.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، **1995**م.

52. محمد التونجي،الآداب المقارنة.ط1،بيروت:دار الجيل،1419هـ/1995م.

53. محمد فهيم،حسين.أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور إثنوجرافي).سلسلة عالم المعرفة،ع 138،الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،شوال 1409هـ/ يونيو – حزيران 1989 م.

54. محمد يوسف نواب،عواطف.الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية مقارنة – الرياض:1417هـ/1996م.

55. مدام لافراندا،فلوبير بقلمه.تر:فؤاد قاسم.المنشورات العربية.دت.

56. مذاق بيروت.تأليف جماعي بإشراف ثريا خالدي.باريس:ميركور دو فرانس.2003م.

57. منصور،خيرى.الاستشراق والوعي السالب.ط2،.بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2005م.

58. موسوعة المعارف الحديثة.الآداب1.موسوعة "المعارف الحديثة" هي الترجمة العربية لموسوعة: ENCYCLIPEDIE DES CONNAISSANCES ACTUELLES التي سبق نشرها باللغة الفرنسية من طرف منشورات فيليب أوزو. تر:د.وساط مبارك. الرباط: منشورات عكاظ، مارس 2001م.

59. وهبة،مجدي.الأدب المقارن ومطالعات أخرى.سلسلة أدبيات.ط1،القاهرة:الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان،1991م.

60. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار،الجزء الثاني.بيروت:دار الجيل،دت.

61. إضاءات على الإستشراق الروسي،إنجاز جماعي عربي ودولي.الجزء الثالث.مكتبة الجمعة.الجمعة الدولية للمترجمين العرب.دت.

المراجع الأجنبية:

مراجع باللغة الفرنسية:

1. Alain Couprie.voyage et exotisme au dix- neuvième siècle;Chateaubriand - Hugo -Nerval - Flaubert - Baudelaire - Rimbaud - Le Conte de Lisle - Mallarmé.Profil Litterature.Collection dirigée par:Georges Décote.Hatier.Paris,Janvier **1986**.
2. Alphonse de Lamartine.Souvenirs, impressions, pensées et paysages pendant un voyage en orient - **1848 576pages**. HYPERLINK"http://books.google.fr/books?id" http://books.google.fr/books?id
3. André Marroi.René ou la vie de Chateaubriand.
4. Benoît de Sombres et Calmanlery.Sagesse du desert.Paris,2003.
5. Chantal Dagron et Mohamed Kacimi.Arab,vous avez dit arab?Balland.Collection le Nadir.Publié avec le concours du service culturel de l'Ambassade de France au Maroc,**1990**.
6. Charles Dantzig.Les écrivains français racontés par les écrivains qui les ont connus (choix, notice et préface).LesBelles Lettres. Paris,**1995**.
7. Chateaubriand.Le Génie du christianisme - Modernité de sa poétique romanesque.CMR,**2005**.
8. CollectionMicrosoft.Microsoft.corporation.©Encarta® **2005©1993 – 2004**.
9. Conseil international de la langue française,diffusion edicef.Paris,**1987**.
10. Cie.Lagny.Paris,**1850**.
11. François Coppée.Pour la couronne.Editeur I.S.D.Paris.
12. Gérard de Nerval.Poésie et nouvelle.Pro france/Maxi - Livre,**1992**.
13. G.clouget et C.fegda.Lamartine Collection.la vie anecdotique et pittoresque des grand écrivains.Paris.
14. Gustave Flaubert.Carnet de voyage. Bibliothèque historique.Paris.
15. Gustave Fréjaville.Les méditations de Lamartine. Société française d'éditions littéraires et techniques.Les grands événements littéraires.4e ed.Paris,**1991**.
16. Guy Michaud et Ph.Van Tieghem.Le Romantisme; Histoire de la

doctrine.Les documents France sous la direction du Guy Michaud.

17. Henri et Anne Stierlin.L'Egypte des Milles et une Nuit.Imprimerie Nationale.Paris,1999.
18. Henri Guillemin.Flaubert devant la vie et devant dieu.librairie plon.Paris,1939.
19. Henri Heine.De la France.Ed Michel Lévy,1857.
20. Henri Le Maître.Dictionnaire Bordas de littérature.
21. Jacques Ruffié.De la biologie à la culture (02vols).Garnier Flammarion,1883.
22. Jaques Ruffié.De la biologie à la culture (02Vols). Flammarion,1883.
23. Jacque suffel.Gustave Flaubert Chronologie et préface.Garnier Flammarion.Paris,1966.
24. Jean Beauté.Introduction à la littérature française.Chronique social.Lyon,Juin 1998.
25. Jean- Didier Urbain.L'idiot du voyage;Histoires de touristes.Paris,2002.
26. Jean D'Ormesson.Une autre histoire de la littérature française.septième édition.Points. Paris,1997.
27. Jean- Paul Roux.Secte ou religion;Les Druses du proche - orient.Clio 2006, Mars 2001.
28. Jean Royamond.Nerval par lui-même.Seuil -écrivain de toujours.Paris,1964.
29. J.M.Carre.Voyageurs et écrivains français en Egypte (02vols).Imprimerie de I.F.A.O.
30. Johann Wolfgang Von Goethe,Faust et le second Faust de Goethe (suivis d'un choix de ballades et de poésies traduits par Gérard De Nerval et précédés d'une notice par Théophile Gautier). Michel – Lévy frères.Paris,1868.
31. Joélle Redoune.L'orient arabe vu par les voyageurs anglais.Entreprise nationale du livre.Alger,1988.
32. J- P.Vérot.Encyclopédie de la littérature. Hachette.Paris,1955.
33. J. P. Vérot.Encyclopédie de la littérature.Librairie Général Française.La pochothèque Garzanti/Le livre de poche,2003.
34. Juoen Briand.Tradition Orphiques et tendances mystique dans la romantisme Français (1800 - 1855).Klinoksieck.Paris,1971.
35. Jean Royamond.Nerval par lui-même.Seuil .
36. Jean Beauté.Introduction à la littérature
37. Lamartine.La chute d'un ange:Fragment du livre primitif.1838,du même auteur.
38. Les référence à l'Itinéraire de Paris à Jérusalem et de Jérusalem à

Paris et au différents textes qui l'accompagnent.Edition Ladoga renvoient à l'édition de Emile Malakis (02 vols).The Johns Hopkins presse.Les belles lettres.Paris,1946.

39. Léon Cellier.Gérard de Nérval - l'homme et l'œuvre.Connaissance des lettres.Paris - GE,1956.
40. Louis Bouilhet.Kuchiuk - Hanem vue par Flaubert (poéme dédié à Flaubert).Festons et Astragales.1859.
41. Marchetti Marilia.Dimension ironique du voyage en orient de Nerval;Univers féminin et cliché dans Le dix- neuvième siècle.Mounier Clay PH.D - VC Davis - Californien.
42. Marie Aristide.Gérard de Nerval Le poète et L'homme.Hachette.Paris,1914,réédition,1955.
43. Maxime Du Camp,souvenirs littéraires (02 vols).Hachette.Paris,1883.
44. Michel Décaudin.Deux aspects du mythe au vingtième siècle.Paris,1970.
45. Michel Décaudin.Deux aspects du mythe au vingtième siècle.Paris,1970.
46. M.L Duf.L'orient romanesque.Montreal.1946.
47. M.Tourneux.Gérard de Nerval prosateur et poéte.L'Age du romantisme.3e livraison.Paris,1887.
48. M. de Lamartine.Œuvres complètes.Imprimerie de Vialat. Furne et Nerval collection.Seghers.Paris,7e éd,1972.
49. P.-G .Castex et P.Surer.Manuel des études littéraires françaises du dix- neuvième siècle. Librairie Hachette.Paris,1966
50. Philippe la Vergne.le myth. José Court,1855.
51. Philippe la Vergne.le myth. José Court,1855.
52. Pierre Campion.Nerval une crise dans la pensée.Collection interférences,1998.
53. Pierre Macherey.Pour une théorie de la production littéraire.Maspéro.Paris,1980.
54. Pierre Reboul.Chateaubriand (Atala / René) - Chronologie et préface.Flammarion,1969.
55. Philippe la Vergne.le myth. José Court,1855.
56. Raymond Jean.Nerval par lui-même.Seuil -Ecrivains de toujours.Paris,1964.
57. Remy de Gourment. La jeunesses de Lamartine.Promenades littéraires,2005.
58. René Waltz. Lamartine;Chefs - d'œuvre poétiques. Librairie Hachette.Paris,1931.
59. Silvaine Arabo.Sur carnet de Nerval.L'artiste.Paris,mai 1855.

60. Voyage en orient par Alphonse de Lamartine,texte établi, présenté et annoté par Sargua Moussa. Collection textes de littérature moderne et Contemporaine.©Biblio Monde.com Honoré champion.2000.
61. Le voyage en orient.Deuxième édition.Garnier Flammarion.1980.

مراجع باللغة الإنجليزية

1. Belte G.Hirch - Cha La IP. Thompson,préparation à la lecture.©S.Mounier Clay PH .D - VC Davis - californien.
2. Bynes.N & Moss.H.St.L.B.Byzantium;an introduction to East Roman civilisation.Oxford,**1953**.
3. Edward w.Said.Oriental's.Paritan.U.S.A,summer **1995**.
4. Edward w.Said.Covering Islam:how the Media and the experts determine - How we see the rest of he world. PXI (N.Y) Pantheons Books.**1981**.
5. H.R.P.Dickson.The arab of the desert. George Allen & unwinltd. London,**1959**.
6. Mohammed.A.AL.Da'mi. Arabian Mirrors and western Sooths a years in nine teenth- century; Approaches t arab - Islamic History.N:y:Peterlang.**2002**.
7. Puckler Musmau.Semilasso in Africa (adventure in Algeria (**02vols**).Deuxiéme édition.London,**1837**.
8. Veild Half -Triths.western Travellers;Peceptions of Middle Eastern women.I.B.Tarris & co Ltd publichers.London.New york,**1991**.

المجلات

المجلات العربية:

1. إبراهيم،مبارك.صحائف من أدب الغرب – أمّ شاعر أو (صحائف من يوميات مدام دى لامارتين).

mother of a poet or (page from the diarry of Mme de Lamartine).

ترجمه وأعدَّه للنشر يوستاس هارجريف**Hargrave Eustace**.مجلة الثقافة.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر،ع **725**.نوفمبر **1952**م.

2. أبو حديد،محمد فريد.العناصر الأوربية في دولة السلاطين.مجلة الثقافة.القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الخامسة،ع **258**.الثلاثاء **09** من ذي الحجة سنة **1362**هـ الموافق لـــ**07** ديسمبر سنة **1943**م.

3. أحمد سعيد،سامية.مع الشاعر جيرار دي نرفال في (رحلة إلى الشرق).مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات).بيروت:يونيو **1975**م.

4. أدهم،علي.شاتوبريان الأديب والمقاتل والسياسي عاش مكتئب ا.مجلة العربي .الكويت :وزارة الإعلام،ع **226**.رمضان **1397**هـ الموافق لـــ ايلول**1977**م.

5. انجيل،بطرس.الرحلات في الأدب الإنجليزي.مجلة الهلال (عدد خاص بأدب الرحلات).بيروت:يونيو **1975**م.

6. العجيلي،عبد السلام.من دفاتر الذكريات .. المأساة.مجلة العربي.الكويت:وزارة الإعلام،ع **293**.

7. الزاوى،الأخضر.دراسات في الأدب المقارن – صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو {دراسة فنية مقارنة}.مجلة جامعة باتنة.**1998**م.

8. الليفي،عبد الرحيم.المجابهة بين الخلطاء؛الإسلام والغرب .. مجلة الوحدة الإسلامية.السنة الثالثة،ع **25** شوال/ذو القعدة **1424**هـ الموافق لـــ كانون الأول **2003**م.

9. اليوسفي،محمد لطفي.قضية حيوية: صورة العربي في المتخيل الغربي.مجلة الثقافة النفسيةالمتخصصة. الرياض:مركز الدراسات النفسية والنفسية – الجسدية.المجلد الثالث عشر،ع **05**.نيسان/ابريل **2002**م.

10. بدوي،عبد الرحمن.جيته والشرق.مجلة الثقافة.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الأولى،ع **25**.الثلاثاء **02** جمادى الأولى سنة **1358**م – **20** يونيه سنة **1939**م.

11. جاماتي،حبيب.مجلة الهلال.بيروت:تموز **1955**م.

12. جبورى غزال،فريال.إدوارد سعيد العالم والنص والناقد.مجلة فصول.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب.المجلد الرابع،ع**01**.أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر **1983**م.

13- حسان،عبد الحكيم.الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي والأمريكي.مجلة فصول.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب.الجزء الأول.المجلد الثالث، ع **03**. ابريل/مايو/يونيو **1983**م.

14. حسني،نعمت.ذكريات العظماء:شاتوبريان.مجلة الثقافة.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الثانية عشرة، ع**576**.الاثنين **20** من ربيع الأول سنة **1369**هـ الموافق لـ **09** من يناير **1950**م.

15. خالد،وسيم.ملامح الشخصية المصرية.مجلة الكاتب.القاهرة:الدار القومية للطباعة والنشر.السنة الرابعة، ع **25**.يوليو **1965**م.

16. رستم،راشد.لامارتين – الشاعر الفرنسي،عربي.. مجلة الثقافة.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الأولى، ع **12**.الثلاثاء **30** محرم سنة **1358**هـ الموافق لـ **21** مارس سنة **1939**م.

17. رشدي،صالح.الرحَّالة الذين زاروا مصر ووصفوا حياتها.مجلة الكاتب.القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة.دار التحرير للطباعة والنشر.السنة الثانية، ع **20**.نوفمبر **1962**م.

18. زكي،عبد الرحمن.القاهرة في نظر المُستشرقين – أزهى عصور الاستشراق.مجلة الثقافة.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الثالثة، ع **03**.مارس **1979**م.

19. صالح العرب،دولت.مصر والشرق في مراسلات جوستاف فلوبير.مجلة عالم الفكر.الكويت:الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة – وزارة الإعلام.المجلد الرابع عشر، ع **03**.أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر **1983**م.

20. عبد الفتاح شاش،نفيسة.جيرار دي نرفال وعالم الأساطير المصريّة.مجلة عالم الفكر.الكويت:وزارة الإعلام.المجلد الحادي عشر، ع **03**. أكتوبر– نوفمبر– ديسمبر **1980**م.

21. عبد الله،محمد حسني.من تاريخ الأدب الفرنسي .. فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (**1768**م– **1848**م). مجلة الثقافة. القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الأولى، ع**41**.الثلاثاء **26** شعبان **1358**هـ الموافق لـ **10** أكتوبر **1939**م.

22. عسكر وفنانون – الحملة الفرنسية وإبداعات الفن.مجلة العربي.الكويت:وزارة الإعلام.

23. عكاشة، ثروت.التصوير الاشراقي في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر. مجلة العربي.الكويت:وزارة الإعلام. ع **226**. رمضان **1397**هـ الموافق لـ سبتمبر **1977**م.

24. عنان،ليلى.الرومانسية الفرنسيّة بين الأصل والترجمة في قصص المنفلوطي.مجلة فصول.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب.الجزء الثاني(الأدب المقارن).المجلد الثالث، ع **04**.يوليو/أغسطس/سبتمبر **1983**م.

25. فجه،محمد.صور من العلاقات المتبادلة بين أوربا وشمال بلاد الشام.مجلة التراث العربي.دمشق:إتحاد الكتاب العرب.السنة الرابعة والعشرون، ع **97**.آذار **2005**م الموافق لـ **1425**هـ.

26. ليفين،ز.ل.الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر،عرض وتقديم:سليمان الديراني.مجلة الطريق.بيروت،ع **03**.حزيران **1979**م.

27. مجلة الآداب الأجنبية.دمشق:اتحاد الكتاب العرب،ع **111**.صيف **2002**م.

28. محمد بحيرى،عامر.الرومانتيكية – الإفراط .. مجلة الثقافة.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب. السنة السابعة،ع **356**.الثلاثاء من ذي القعدة سنة **1364**هـ الموافق لـ **23** من أكتوبر سنة **1945**م.

29. محمد شحاته،عبد المنعم.صورة مصر بين الأسطورة والواقع في الرواية الفرنسية في الربع الأول من القرن العشرين.مجلة فصول.القاهرة:الهيئة المصرية العامّة للكتاب.الجزء الأول،المجلد الثالث،ع **03**.ابريل/مايو/يونيه **1983**م.

30. محمد شيحة،ضحى.أدب المراسلات في فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر.مجلة عالم الفكر. الكويت:وزارة الإعلام.المجلد الرابع عشر،ع **03**.أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر **1983**م.

31. محمد هريدي.البوفاريّة في الرواية المصرية والتركية – دراسة مقارنة.مجلة فصول.الهيئة المصرية العامة للكتاب.الجزء الأول،المجلد الثالث،ع **03**.ابريل/مايو/يونيه **1983**.

32. مدن مصر.مجلة المعرفة.المجلد الخامس عشر،بيروت: شركة انماء للنشر والتسويق. التوزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ش م م ل.الطباعة مؤسسة خليفة للطباعة. الناشر: شركة ترادكيم شركة مساهمة سويسرية – جنيف،**1984**م.

33. مصطفى،أحمد عبد الرحيم.عاشق الشرق بيير لوتي.مجلة عالم الفكر.الكويت:وزارة الإعلام.المجلد الخامس عشر،ع**01**. ابريل/مايو/يونيو **1984**م.

34. نسيم،جوزيف.نقاط التلاقي والصراع بين أوروبـاالوسطى والشرق.مجلة عالم الفكر.الكويت:وزارة الإعلام.المجلد العاشر،ع **01**.ابريل – مايو – يونيو **1979**م.

35. وحيد،علاء الدين.عرض كتاب أنيس منصور:أعجب الرحلات في التاريخ.مجلة الكاتب.الهيئة المصرية العامة للكتاب،السنة الثامنة عشرة،ع **203**. فبراير **1978**م.

36. بين الديكتاتورية والديمقراطية – المعركة الاستعمارية والصراع على اقتسام الثروات لمحور "الثقافة" السياسي.مجلة الثقافة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.السنة الأولى، ع **25**.الثلاثاء**20** جمادى الأولى **1358**هـ الموافق لـ **20** يونيه **1939**م .

37. مجلة الفيصل.الرياض:دار الفيصل الثقافية،السنة الثامنة،ع **91**.محرم **1405**هـ الموافق لـ تشرين الأول (أكتوبر) **1984**م.

المجلات الأجنبية:

1. Aurieut. sur de prétendus légendes orientales contées par Gérard De Nerval.Nouvelle revue des tradition populaire.Librairie celtique,n°5,1949 & n°1,1950.
2. Castellan.Lettres sur la Morée.Herbert De molain ville, bibliothèque orientale
3. Catherine Sauvat.Deux voyageur en Egypte.Magazine littéraire-Flaubert,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris,n° 250,février 1988.
4. Claude Duchetm: Sade dans Flaubert. Magazine littéraire - Flaubert,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris, n° 250,février 1988.
5. Evelyne Bloche - Dano.La bourgogne de Lamartine. Magazine littéraire,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris n° 390,septembre 2000.
6. Gilles Boétsch et Christine Villain - Gandossi.Du déterminisme biologique à la légitimation de l'inégalité et la nom - reconnaissance de l'autre;Racisme et antisémitisme.Hermes 30;Cognition,communication, politique - Stéréotypes dans les relations Nord - Sud.
7. Hacène Saadi.La construction de l'identité de l'autre à travers des textes littéraires français de Chateaubriand à Camus.Hermes 30;Cognition,communication,politique - Stéréotypes dans les relations Nord - Sud.
   Ce numéro est publié avec le concours de Centre National du livre CNRS Editions Paris, 2001.
8. Jean- Jacques Brochier: Gustave Flaubert et ses héritiers. Magazine littéraire - Flaubert,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris, n° 250,février 1988.
9. La nouvelle revue Française,avril 1913.
10. Les dédicaces d'auteurs de Radio France.La revue de presse de Radio France.Livres - Syrie Liban - SH - GR. Editions générales de vene©Fnc2002.
11. Nerval et l'expérience du daguerréotype.Rubrique extraite de la revue Etudes photographiques avec l'aimable autorisation de l'auteur Paul-Louis Roubert; n°4,mai 1998.
12. Patrick Wald Lasowski.Te rappelles tu Kuchuk - Hanem? Magazine littéraire - Flaubert,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris,n° 250,février 1988.

13. Philipe Antoine (I.U.F.M.d'Amiens),l'homme civilisé retombé dans l'état sauvage - politique sexualité et Religion dans l'Itinéraire de Paris à Jérusalem de Châteaubriand. Epoque : dix- neuvième Siècle.Localisation Moyen HYPERLINK "mailto:orient.http@google" orient.Conférence de séminaire du professeur François Moreau,Second semestre 06 Avril2004.Centre de recherche sur la littérature des voyages.
14. Yvan Leclerc,chronologie.Magazine littéraire,édition Odile Jacob en association avec les éditions du Seuil.Paris n° 250,février 1988.

الرسائل الجامعية

الرسائل الجامعية العربية

1. السعيد بوطاجين

قضية فلسطين في الشعر الجزائري المعاصر (**1948**م – **1986**م)، ماجستير،عين شمس **1991**م.

2. ثليجة ياسري

رحلة في الشرق لجيرار دو نيرفال – تآليف وتراجم عن الشرق،دبلوم الدراسات المعمّقة،جامعة الجزائر جوان **1980**م.

3. رشيد رايس

صورة الجزائر والجزائري في الكتابات النثرية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر،دكتوراه دولة **2003**م.

4. شعبان بن عصمان

صورة القدس في أدب شاطوبريان من خلال مؤلفه:الدرب من باريس إلى القدس ومن القدس إلى باريس،جامعة قسنطينة **1992**م.

5. عقاب بلخير

الحاضر والغائب في شعر خليل حاوي (من خلال دواوينه الأولى:نهر الرماد،الناي، الريح، بيادر الرجوع)،ماجستير،جامعة قسنطينة **1994**م.

6. وداد العيساوى

الرومانسية في شعر فيكتور هيغو،ليسانس،جامعة قسنطينة **1989**م.

الرسائل الجامعية الأجنبية:

1. Abdeljalil Alquarawi.La Tunisie dans les lettres française du dix- neuvième siècle.Thèse.Paris.**1969**.
2. Jamil Faris.Le Liban dans la littérature française de **19**e siècle.Thèse.Paris **4**.
3. Jean Richer.Nerval expérience et création.Thèse de doctorat,saba.Erythrea.
4. Schaeffer Gerald. Le voyage en orient de Nerval Etude des structure.Thèse,édition de la Becaninére, Neufechatel,**1967**.
5. Tlidja Yasri.Le voyage en orient de Gérard de Nerval structures et thèmes du désir.Diplôme d'Etudes Approfondies,directeur de Recherche de Lantri EL Foul. Université d'Alger,Juin **1980**.

الجرائد

1. اللامي،جمعه.ذاكرة المستقبل؛مئذنة في غرناطة .. يومية الخليج السياسية المستقلة.دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر،**2001**م.

2 . بغدادي،عباس.الرحلة إلى الشرق.يومية المدى السياسية العامة.دار مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون.

3. جبور،جان.نقد الصورة السلبية عن الشرق جهلا وعداء.يومية النهار.دمشق:الأربعاء **05** كانون الأول **2001**م.

4 . جريدة البيان.الملف السياسي.الاثنين **15** ربيع الأول **1422**هـ الموافق لـ **27** مايو **2002**م.

5. شلبي،أحمد.جريدة الجزائر اليوم.الجزائر،ع **331**.

6. قرانيا،محمد.الشاعر لامارتين عاشقا.جريدة الأسبوع الأدبي.دمشق،ع **926**. **02** أكتوبر **2004**م.

7. كموني،أحمد.الطفلة نور أدهشها أسماء العرعر و الشيح والعليق – رحلة في أرز الشوف.نادي البيئة في قلب الياس.جريدة المستقبل.الشركة العربية المتحدة،ع**1340**.الإثنين **20** تشرين الأول**2003**م.

8. نصر الله،حسين.عالم الشرق الساحر يجذب الفنانين الفرنسيين ويبهرهم.يومية الوطن.المملكة العربية السعودية:مؤسسة سمير للصحافةوالنشر.السنة الثانية،ع **447**.الخميس **05** شوال **1422**هـ الموافق لـ **20** ديسمبر **2001**م.

9. وينوك،ميشيل.أصوات الحرية – الكتّاب الملتزمون في القرن التاسع عشر.جريدة الرياض.مؤسسة اليمامة الصحفية،**2005**م.

جرائد باللغة الأجنبية:

- Rima Maktabi.Keserwan - The heart of mount Lebanon.A news paper story about Aintoura school.As it appeared in Annabar Lebanese newspaper on the 18th.Archives Aintoura School.A Kase wanite tradition.

الأحلام المزعجة

- Mille et une vie; Voyage au château de Saint - point à Poldiv en Bulgarie.Un film écrit et réalisé par Jean Luc Mage.Documentaire,2004 - 2005.Samedi 30 octobre à 16h15.Production/France3.Bourgogn Franche -comté.Collection les lieu et demeures de l'histoire.Droit de reproduction et de diffusion réservés©FranceTélévisions interactive.
  France3.fr.Adhérent du Geste est un site de groupe France Télévisions.Les site du groupe France2/France3/France5/RFO/France Télévisions.

مواقع من الإنترنت

1. http://fr.wikipedia.org/wiki/Alphonse_de_Lamartine
2. http://www.dissertationsgratuites.fr/dissertations/Le-Xixe-Siecle-Politique/55149.html
3. http://www.cosmovisions.com/ChronoOttomans.htm
4. http://fr.wikipedia.org/wiki/Bcharr%C3%A9
5. http://fr.wikipedia.org/wiki/Gustave_Flaubert
6. http://www.acr-edition.com/DU-MAROC-AUX-INDES-Voyages-en-Orient_a726.html
7. http://www.hku.hk/french/dcmScreen/lang3035/lang3035_nerval.htm
8. L'Egypte hallucinée de Gérard de Nerval - Afrik.com : l'actualité ...
9. http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=29560
10. http://www.alsaha.com/users/276574250/entries/232824
11. http://ar.wikipidia.org/wiki/ألفونس_دي_لامارتين
12. حميد عبد القادر، الواقعية في الرواية وميزة الصدق. يومية الخبر. الطبعة الإلكترونية:
http://www.elkhabar.com/ar/autres/maraya/2624 15.htm/
13. جان جبور، نقد للصورة السلبية عن الشرق جهلا وعداء. الطبعة الالكترونية:
http://maaber_life.tripod.com/tenth_issue/books_7.htm
14. جومانا حداد، ماريو فارغاس بوسا يبحث عن "الفردوس" / غوغان بطلا روائيا. الموقع الخاص بـ Joumana Haddad على الرابط:
http://www.joumanahaddad.com/mokhtarat3_j.html
15. لامارتين، الصحراء. الطبعة الإلكترونية:
http://www.alghad.com/?news=484033
16. د.محسن الرملي، هكذا تكلم فلوبير .. في حق وجرأة. مجلة أفق. الطبعة الاكترونية:
http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=1840

فهرس المحتويات

العنوان رقم الصفحة

المقدمة.....1-8

المدخل: التأصيل التاريخي والمعرفي لعلاقة الغرب بالشرق.....9

محتويات المدخل.....10

تحديد جغرافية المشرق العربي.....11-12

تحديد فترة القرن التاسع عشر.....14

نبذة تاريخية عامة عن القرن التاسع عشر في فرنسا.....14

الأوضاع السياسية.....14-16

الأجواء الأدبية والفكرية في فرنسا القرن التاسع عشر.....16

لمحة تاريخية عن المشرق العربي في القرن التاسع عشر.....17

مدخل تاريخي للدولة العثمانية.....17

أساليب الحياة العامة للشرق في القرن التاسع.....17

الأوضاع السياسية.....17

النظام الاجتماعي والسياسي في عهد الدولة العثمانية.....17-19

الأجواء الثقافية لشرق القرن التاسع عشر.....19-21

علاقة أوروبا بالمشرق العربي قبل القرن التاسع عشر.....21-22

دوافع رحلة الكتاب الفرنسيين إلى المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر.....22

1- أسباب سياسية.....22

التوسُّع الاستعماري.....22-23

2- أسباب مادية وتقنية.....23

التقدم التقني.....23

تطور وسائل النقل.....23

الطباعة.....23

تطور وسائل الإعلام.....23-24

3- أسباب ثقافية وفكرية.....24
حكايات ألف ليلة وليلة.....24
الاستشراق.....25
أ -الاستشراق العلمي.....25
ب -الاستشراق الديني.....25
ج- الاستشراق الفني.....26
الرومانسية.....26-28
انتشار تعلم اللغة العربية.....28
الترجمة.....28
4- أسباب روحية.....28-29
الغريب.....29-30
الفصل الأول.....31
المبحث الأول:شاتوبريان.....32
محتويات المبحث الأول.....33
نبذة عن حياة شاتوبريان 34-44
آثاره الأدبية.....44-47
عرض الرحلة.....48
1.المستوى العام.....48
تاريخ النشر.....48
مسار الرحلة.....48-49
أهم محطات الرحلة.....51-57
2.المستوى الفني.....57
أسلوب الرحلة.....57-60
مسار الزمان والمكان.....60-61

المبحث الثاني: لامارتين.....62
محتويات المبحث الثاني.....63
نبذة عن حياة لامارتين.....64-68
آثاره الأدبية.....69-71
عرض الرحلة.....72
1.المستوى العام.....--72
تاريخ النشر.....72
مسار الرحلة.....72-78
أهم محطات الرحلة.....78-83
2.المستوى الفني.....83
أسلوب الرحلة.....83-85
المبحث الثالث: فلوبير.....86
محتويات المبحث الثالث.....87
نبذة عن حياة فلوبير.....88-98
آثاره الأدبية.....98-100
عرض الرحلة.....101
1.المستوىالعام.....101
تاريخ النشر.....101
مسار الرحلة.....101-106
أهم محطات الرحلة.....106-113
2.المستوى الفني.....113
أسلوب الرحلة.....113
مسار الزمان والمكان.....114
الفصل الثاني: جيرار دو نوفال.....115
محتويات الفصل الثاني.....116
نبذة عن حياة جيرار دو نرفال.....117-121

آثاره الأدبية.....122-121
عرض الرحلة.....123
1.المستوى العام.....123
تاريخ النشر.....123
مسار الرحلة.....144-123
2.المستوى الفني.....144
أسلوب الرحلة.....147-144
مسار الزمان والمكان.....147
الفصل الثالث: دراسة موازنة.....148
محتويات الفصل الثالث.....149
شاتوبريان.....150
1.صور توبوغرافية.....150
القدس.....151-150
2. صور بشرية.....154-152
لامارتين.....154
1.صور توبوغرافية.....154
القدس.....154
لبنان.....155
2.صور بشرية.....158-155
جيرار دو نرفال.....158
1. صور توبوغرافية.....159
القاهرة.....159
لبنان.....159
2.صور بشرية.....161-159

غوستاف فلوبير.....162
1.صور توبوغرافية.....162
النيل.....162
الصحراء.....162
لبنان.....162
2.صور بشرية.....166-162
خلاصة عامة.....170-167
الخاتمة.....186-171
فهرس المصادر والمراجع.....218-187
ملحق بالخرائط والصور.....220-219
فهرس المحتويات.....226-221

ملحق للخرائط والصور

العنوان رقم الصفحة

خريطة الشرق الأوسط..... 13
خط سير رحلة (شاتوبريان).....50
موقع (Bécharré) في لبنان.....81
كرواسيه (croisset) سنة 1840. رسم بالريشة لبرار (E.Berar).....90
القاهرة. صورة فوتوغرافية لـ (مكسيم دو كمب).....104
(غوستاف فلوبير) في القاهرة.صورة فوتوغرافية لـ (مكسيم دو كمب).....104
خط سير رحلة (جيرار دو نرفال)، 1843.....125
خط سير نصف- منشود، نصف- تجربة معيشة لـ (جيرار دو نرفال).....127